RAGIP PAŞA
854
1001

T. C.
MILLI EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 854

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابن عنب
عفى عنهم

١٠٠٩
ط
٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذى على منوالِ ارادته وتدبيره تنسج مقاطع الامور
ومن ينبوع فضائله الى لجج قدره تجرى تيارُ الاعصارِ والدهور
اذاق بعضَ بنى آدمَ بأسَ بعضٍ ليبلوهم ايّهم احسن عملاً وهو
العزيز الغفور، وارسل عليهم فى القرن الثامن من الهجرة
بحارَ فتنٍ اقبلت كقطع الليلِ المظلم، لم يَدِ احد ماهى فاذا هى تمود
احمده حمدَ من كان على شفا حفرةٍ من نارها فانقذه منها واشكره
شكرَ من ورطه فيها عدله فانجته ايادى فضله عنها، واشهد
ان لا اله الا الله الحكم العدل، الذى يقتص للمظلوم من الظالم
يومَ الفصل، واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله الذى
ارسله رحمةً للعالمين، وجعله رسولَه الله وخاتمَ النبيين،
فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السرّ المصون، ونبّأ بما كان
فى الازل وبما يكون الى يوم يبعثون، واستعاذ من غلبة
الدَين وقهر الرجال، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح
الدجال، صلى الله عليه صلوةً تذكى المسك الاذفر فى صدور
الكتب والتواريخ، وتدنى لقائلها فى دار الجزا ثمراتِ الحسناتِ
من اعلى الشماريخ، وعلى آله واصحابه الذين افاضوا سيولَ
الفتح فى الاقاليم فعمروها، وشيّدوا اركانَ الاسلام واتاروا
الارضَ بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر ما عمروها
وسلم تسليما غزيرا دائما ابدا كثيرا اما بعد فلما كان فى التواريخ

عبرةٌ لمن اعتبر، وتبيصرةٌ لمن افتكر، واعلامٌ انّ قاطن الدنيا
على سفر، واحضارٌ لصورةِ حالِ من مضى وغبر، كيف قدروا قدرَ
ونهى وامر وبنى وعمر، وغلب وقهر، وكسر وجبر، وجمع وادخر،
وتكبّر وفجر، وكيف عبس وبسر، وضحك واستبشر، وتقلّب
فى اطواره من الطفولية الى الكبر، الى ان قلّبته ايدى الغير،
واختطفته وهو آمنٌ مايكون مخاليبَ القضاءِ والقدر، فخالط
ماصفا من عيشه الكدر، فتنغص حتى ذهب عنه ماحلا ومر،
انّ فى ذلك لعبرةً لمن اعتبر، وتذكرةً لمن ادكر، وتبصرة لمن
استبصر وكان من اعجب القضايا بل من اعظم البلايا، الفتنةُ
التى يحار فيها اللبيب، ويدهش فى دجى جندسها الفطنُ الاريب،
ويسفه فيها الحليم، ويذل فيها العزيز ويهان الكريم، قضيةً
تيمور رأسَ الفساق، الاعرجَ الدجال الذى اقام الفتنة شرقاً
وغرباً على ساق، اقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى فى
الارض فاسد فيها واهلك الحرث والنسل، وتيمم حين عمته
النجاسة الحكمية صعيدَ الارض فغسل بسيف الطغيان كلَ اغرّ
محجّل فتحققت نجاسته بهذا الغسل اردت ان اذكر منها مارأيته
واقصّ فى ذلك مارُوِيته، اذ كانت احدى الكبر، وامّ العبر،
والداهية التى لايرضى القضاءُ فى وصفها بذا القدر، والله اسأل
الهامَ الصدق، وسلوكَ طريقِ الحق انه ولىّ الاجابة، ومسدّدُ
سهمِ المرامِ الى غرضِ الاصابة وهو حسبى ونعم الوكيل فصل
فى ذكر نسبه، وتدريج استيلائه على الممالك وسببه اسمه
تيمور بناء مكسورةٍ مثناةٍ فوقاً، وياءٍ ساكنةٍ مثناةٍ تحتاً، وواوٍ
ساكنةٍ بين ميم مضمومةٍ وراءٍ مهملةٍ، هذه طريقة املائه وفى
التصريف زنة بنائه، لكن كرة الالفاظ الاعجمية، اذا تداولها
صولجانُ اللغة العربية، خرطها فى الدوران على بناء اوزانها،

وخمل وخبر

و دحرجها كيف شاء في ميدان لسانها، فقالوا في هذا تارة تمورد
اخرى تمرلنك، ولم يجر عليهم في ذلك حرج ولا ضنك، وهو بالتركي
الحديد ابن ترغاى ابن ابغاى ومسقط رأس ذلك الغدار، قرية
تسمى خواجه ايلغار، وهي من اعمال الكش، فابعدها الله من حش،
والكش مدينة من مدن ماوراء النهر، عن سمرقند نحو من ثلث
عشر شهر، قيل دوى ليلة ولد كان شيئاً شبيه الخوذة ترآئى
طايراً في عنان الجو، ثم سقط الى فضاء الدوة، ثم انبث على الارض
وانتشر، وتطاير منه مثل الجراد والشرر، وتراكم حتى ملأ البدو
والحضر، وقيل لما سقط الى الارض ذلك السقيط، كان كفاه
مملوتين من الدم العبيط، فسألوا عن احواله الزواجر والقافة
وتفحصوا عن تاويل ذلك من الكهنة واهل العيافة، فقال بعضهم
يكون شرطياً، وقال بعض ينشأ لصاً حراميتاً، وقال قوم بل يكون
قصاباً سفاكاً، وقال آخرون بل يصير جلاداً بتاكاً، وتضافرت
هذه الاقوال الى ان آل امره الى ما آل، وكان هو وابوه من
الفدادين، ومن طائفة اوشاب لا عقل لهم ولا دين، وقيل
كانا من الحشم الرحاله، والاوباش البطاله، وكانت ماوراء النهر
مأواهم وتلك الضواحي مشتاهم، وقيل كان ابوه اسكافاً فقيراً
جداً، وكان هو شاباً حديداً جلداً، ولكنه لما كان به من القلة يتحرق
وبسببه تلك الاجرام تتضرد وتتضرم، ففي بعض الليالي سرق
غنمة واحتملها، فضربه الراعي في كتفه بسهم فابطلها، وثنى
عليه باخرى في فخذه فاخطلها فازداد كسراً على فقره، ولؤماً
على شره، ورغبة في الفساد، وحنقاً على العباد والبلاد، وطلباً
في ذلك الاضراب والنظرا، وعشا عن ذكر الرحمن فقيض له من
الشياطين القرنا، مثل عباس وجهانشاه وقمارى وسليمان
شاه، وايدكو تيمود وجاكو وسيف الدين، نحوار بعين لادنيا لهم

واصله من كش مدينة مشهورة بماوراء النهر بينها
وبين سمرقند يوم واحد وكان ابوه رجلا حشيما
بين اهله وكان جده قراچار يوناهم من عظماء
الامراء الجكيزية وكان جنكيزخان ارسله مع ابنه
جغتاى الى ماوراء النهر حين ولى جغتاى على
تركستان وجعل ملاك الامر بيد الامير المذكور

الحش الخشيش والكش
الصوت

ويقال ان امه
او جدته من ذرية
جنكيزخان وكان
مولده في شوال سنة
ست وثلثين وسبعمايه
بخارى

دم عبيط بين العبطة بالضم
طرى

الفدادون الصيت الحراثي و مالك المئين من الابل الى الالف
والمتكبر بجمع الفدادون وهم ايضا الحالون و
الرعيان والبقارون والحمارون والفلاحون
واصحاب الوبر والمكثرون من الابل
قاموس

وبره
كر

ولادين

ولادين، وكان مع ضيق يده، وقلة عدده وعدده، وضعف
بدنه وحاله، وعدم ماله ورجاله، يذكر لهم انه طالب الملك
ومورد ملوك الدنيا موارد الهلك، وهم في ذلك يتناقلون
عنه هذا النقل، وينسبونه الى كثرة الحماقة وقلة العقل، و
يدنونه ويقبلون اليه، ليسخر امنه ويضحكوا عليه شعر
ان المقادير اذا ساعدت ** الحقت العاجز بالحازم فشرع
فيما يقصده، والقضا يرشده، والقدر ينشده، شعر
** لا يوئسنك من مجد تباعده، فان للمجد تدريجا وترتيبا **
** ان القناة التي شاهدت رفعتها، تنمو فتنبت انبوبا فانبوبا **
وكان في بلد الكش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري هو معتقد
تلك البلاد، وعليه لكل من قصد شيئاً من امر الدين والدنيا
الاعتماد، فذكر ان تيمود وهو فقير عاجز، بين عزموهوم وذل
ناجز، لم يكن له سوى ثوب قطني، وانه باعه واشترى بثمنه راس
ماعز، وقصد الشيخ المشار اليه، وعول فيما قصده عليه، وقد
ربط بطرف حبل عنق ذلك العناق، ودبق نفيسه بالطرف
الآخر من ذلك الرباق، وجعل يتشحط على عصا من جريد حتى
دخل على ذلك الشيخ المفيد فصادفه هو والفقرآء مشغولين
بالذكر، ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر، فلا زال
قائماً حتى افاقوا من حالهم، وسكتوا عن قالهم، فلما وقع نظر الشيخ
عليه، سارع الى تقبيل يديه، واكب على رجليه، فتفكر الشيخ
ساعة، ثم رفع راسه الى الجماعة وقال كان هذا الرجل بذل
عرضه وعروضه، واستمدنا في طلب ما لا يساوى عند الله تعالى
جناح بعوضة، فنرى ان نمده ولا نحرمه ولا نرده، فامدوه بالدعا
اسعافاً لما طلبه، فاشبهت قصته قضية ثعلبه، ورجع من عند
الشيخ وخرج، وعرج بعد ما عوج الى ما عرج وقيل انه كان

يعني اعزاوجدا كما يفهم من سائر
التواريخ

العناق كسحاب الانثى من اولاد المعز

فى بعض تحوماته فضل الطريق صورة، كما ضلها معنى وسيرة، و
كاد يهلك عطشا وجوعا، وساد على ذلك اسبوعا، فوقع فى اثناء ذلك
على خيل السلطان، فتلقاه الجشارى باللطف والاحسان، وكان
تيمور ممن يعرف خصايص الخيل بسماتها، ويفرق بين هجاناها وهجينها
بمجرد النظر الى هيأتها، فاطلع الجشارى على ذلك منه، واخذ علم
ذلك عنه، وزاد فيه رغبة، وطلب منه دوام الصحبة، وجهزه
الى السلطان مع افراس طلبها منه، واخبره بفضيلته، وماشاهده
عنه، فانهم السلطان عليه، ووصى به الجشارى وردده اليه، فلم
ينشب الجشارى ان مات فتولى تيمور وظيفته، ولا زال يترقى
عند السلطان حتى تزوج شقيقته، ثم انه غاضبها فى بعض مكافحاته
ومقاله، فعيرته بما كان عليه من اول امره وحاله، فسل السيف
ونحاها على انها تفر من بين يديه، فلم تكترث به ولم تلتفت اليه
فضربها ضربة ازهق بها نفسها، واسكنها رمسها، ثم لم يسعه
الا الخروج والعصيان، والتمرد والطغيان الى ان كان من امره
ماكان وكان السلطان اسمه حسين، وهو من بيت الملك ونافذ
الكلمتين، وتحت ملكه مدينة بلخ وهى من اقصى بلاد خراسان،
ولكن كانت بحارا وامرها جارية فى ممالك ماوراء النهر الى
اطراف تركستان وقيل كان ابوه امير مائة عند السلطان
المذكور، وهو بالجلادة والشهامة بين اضرابه مشهود،
ويمكن الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان،
وتنقل الاحوال والحدثان والاصح ان اباه ترغاى المذكور كان
احد اركان دولة السلطان ورأيت فى ذيل تاريخ فارسى يدعى
المنتخب، وهو من بدو الدنيا الى زمان تيمور وهو شئ عجب،
نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيز خان من جهة النساء حبائل
الشيطان ولما استولى تيمور على ماوراء النهر وفاق الاقران،

الجشار اخراج الدابة للرعى كالتجشير
والجشار صاحب مرج الخيل
قاموس

تزوج ببنات الملوك فزادوه فى القابه كوركان، وهو بلغة
الموغول الختن لكونه صاهر الملوك وصار له بينهم سكن،
وكان للسلطان المذكور من الوزراء اربعة، عليهم مدار المضرة
والمنفعة، وهم اعيان الممالك، وبرأيهم يقتدى فى المسالك، والترك
لهم قبايل وشعب تكاد توازى قبايل العرب، وكل واحد من هؤلاء
الوزراء كان من قبيله، لسراج آرايه فى تميرها فتيلة طويلة،
قبيلة احدهم تسمى ارلات وقبيلة الثانى تدعى جلاير،
وقبيلة الثالث يقال لها قاوجين وقبيلة الرابع اسمها برلاس،
وكان تيمور ابن رابعهم فى الناس، فنشأ شابا لبيبا، هماما حاذما
جلدا اريبا، فكان يصاحب نظراءه من اولاد الوزراء ويعاشرهم
اضرابه من فتيان الامراء الى ان قال لهم فى بعض الليالى، وقد
اجتمعوا فى مكان خالى، واخذت منهم العشرة والنشاط،
وارتفعت استار الاسرار وامتد البسط بساط، ان جدتى
فلانة، وكانت من ذوى العيافة والكهانة رأت منامات فاقت
منه احلاما، وعبرته بانه يظهر لها من الاولاد والاحفاد،
من يدوخ البلاد، ويملك العباد، ويكون صاحب القران،
ويذل له ملوك الزمان، وذلك هوانا، وقد قرب الوقت ودنا
فعاهدونى ان تكونوا الى ظهرا وعضدا، وجناحا ويدا، وان
لا تستحيلوا عنى ابدا، فاجابوه الى ما دعاهم اليه، وتقاسموا
ان يكونوا فى السراء والضراء معه لا عليه، ولم يزالوا يتجاذبون
اطراف هذا الكلام، فى كل مقام، ويتفاوضون فيض غدير
هذا الغدر من غير احتشام واكتتام، حتى انس برقه قاطن كل
مصر وشام، وخاض فى حديثه كل قديم هجرة من خاص و
عام، وشعر به السلطان، وعلم ان خلافه فى دوح المملكة بانى
فاراد ان يرد كيده فى نحره، ويريح الدنيا من شره، والعباد

والبلاد من عاره وعرّه، ويعمل بموجب ما قيل شعر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم،

فاخبره بذلك بعض الناصحين فخرج وهوى الى حضيض العصيان وهو سالم فرح ويمكن انه في بعض هذه الاوقات، واثناء هذه الحالات توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه، واستمده كما ذكر فيما عوّل عليه، فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه وفتحته من مستغلقات الامكنة، انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري وهمة الشيخ زين الدين الخوافي وما لقيت بركة الا بالسيد بركة وسيأتي ذكر زين الدين وبركة ثم قال تيمور ما فتحت ابواب السعادة والدولة علي ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الي الا من سهام سجستان، ومن حين اصابني ذلك النقصان، انا في ازدياد الى هذا الاوان، والظاهر ان بدء امره وخروجه في تلك الفتنة كان فيما بين الستين والسبعين والسبع مائه وقال لي شيخي الامام العالم العامل الكامل المكمل الفاضل فريد الدهر وحيد العصر علامة الورى استاذ الدنيا علاء الدين شيخ المحققين والمدققين قطب الزمان مرشد الدوران ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد البخاري نزيل دمشق ادام الله تعالى ايام حيوته وامد الاسلام والمسلمين بميامن بركاته في شهور سنة ست وثلاثين وثمانمائه ان تيمور قتل السلطان حسين المذكور في شعبان سنة احد وسبعين وسبعمائة ومن ذلك الوقت اشتغل بالملك وكانت وفاته في شعبان سنة سبع وثمانمائه على ما سيأتي فمدة استيلائه مستقلا ستة وثلاثون سنة وذلك خارج عن مدة خروجه والى حين استيلائه ولما خرج صار هو ورفقاؤه يتحرمون في بلاد ما وراء النهر ويعاملون الناس بالعدوان والقهر فتحرك لدفعهم كل ظاعن وساكن وضيقوا عليهم تلك المغاني والاماكن

ويحرمه

فقطعوا

فقطعوا اجيحون وصفر منهم ذلك المكان، واشتغلوا بالمحرم في بلاد خراسان خصوصا في ضواحي سجستان، ولا تسل عما افسد في مفاوز باورد وماخان، فذهب بعض الليالي وقد اضرم بهم السغب واشتعل فيهم من الجوع اللهب فدخل حايطا من حوايط سجستان قد اوى اليه بعض رعاء الضان، فاحتمل منها رأسا وادبر فشعر به الراعي وابصر، فاتبعه للحين الحين، وضربه بسهمين اصاب باحدهما فخذه وبالآخر كفه، فلله دره شاعرا اذا بطل بهذا الضرب الموزون نصفه، ثم ادركه واحتمله، والى سلطان هرات المسمى بملك حسين اوصله فبعد ضربه امر بصلبه وكان للسلطان ابن رأيه غير متين، يدعى ملك غياث الدين فشفع فيه واستوهبه من ابيه، فقال له ابوه انه لم يصدر عنك ما يدل على صلاحك، وسيسفر عن نجابتك وفلاحك وهذا جغتائي حرامي مادة الفساد لئن ابقى ليهلكن العباد والبلاد، فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمي وقد اصيب بالدواهي ورمي ولا شك ان اجله قد اقترب فلا تكونن في موته السبب فوهبه اياه، فوكل به من داواه الى ان اندمل جرحه وبرأ قرحه فكان في خدمة ابن سلطان هراة من اعقل الخدم واضبط الكفاة فتوفرت عنده حرمته وارتفعت درجته وسمعت كلمته فعصى من نواب السلطان نايبه المتولي على سجستان فاستدعى تيمور ان يتوجه اليه فاجابه الى ذلك وعول عليه واضاف اليه طايفة من الاعوان فوصل الى سجستان، وقبض على نايبها المتمادي في العصيان، واستخلص اموال تلك البلاد، واخذ من اطاعه من الاجناد، وتلا اية العصيان بالجهر وارتحل بمن معه الى ما وراء النهر وقيل بل كان في خدمة ابن السلطان الى ان ودع ابوه الحياة وانتقل، واستقر ولده في الملك واستقل فعند ذلك هرب تيمور الى ما وراء النهر

بشغلوا

وقد قوى منه الرأس والظهر، وكان اذ ذاك وقد اجتمع عليه
رفقاؤه، وانحاز اليه اصحابه المتحرمون وعشراؤه، فارسل غياث
الدين الطلب وراءهم، وقصد ان يكفى المسلمين شرهم وعناءهم
وهيهات فقد كان سبق العذل السيف، وضيع اللبن فى الصيف
ذكر عبوره جيحون على فترة وما جرى من عبرات بهذه العبرة
فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا،
ولم يمكنهم التوانى لان الطلب كان شبههم باغيا، فقال تيمور
لاصحابه النجاء النجاء، ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته
وليلق نفسه فى الماء، وتواعدوا الى مكان، وقال توجهوا من غير
توان، فمن لم يات الموعد يعلم انه قد فقد، فتهافتوا هم وخيولهم
فى ذلك الماء العجاج، والتيار الزخار والامواج، تهافت الفراش
على السراج، ولم يعلم واحد منهم حال الآخر، ولا اطلع من تقدم
منهم على امر من تاخر، وكابدوا احوال الموت، وشاهدوا اهوال
الفوت، فنجوا ولم ينقص منهم واحد، واجتمعوا الى ذلك الموعد،
وذلك بعد ان امنت منهم البلاد، واطمأن فى مسالكها كل راج
وغاد، فجعلوا يتجسسون الاخبار، ويتتبعون الآثار، ويحاربون
الله ورسوله، ويودون عباده ويقطعون سبيله، ولم يزل على ذلك
يجرى ويمشى الى ان قصد مدينة قرشى ذكر ما جرى له من خبطه
فى دخوله الى قرشى وخلاصه من تلك الورطه فقال يوما لاصحابه
وقد اضر به الدهر واضرى به، واخصب منهم ربع الفساد و
اعشب، ان بالقرب منا مدينة نخشب، مدينة ابى تراب النخشبى
رحمة الله عليه مدينة مصونة، مسورة مكنونة، لئن ظفرنا بها
لتكونن لنا ظهرا وملاذا، وملجأ ومعاذا، وان حاكمها موسى لو
حصلناه، واخذنا ماله وقتلناه، لتقوينا بما له من خيول وعده،
ولحصل لنا فرج بعد الشدة، وانا اعلم لها من ممر الماء دربا هينا

الدخول

الدخول واسعا رحبا، فشمروا اذيالهم، وتركوا فى مكان خيلهم واستعملوا
فى نيل مرادهم ليلهم، ودخلوا حبس المدينة وقصدوا بيت الامير
وكسروا الحصير، ودفعوا ايديهم فصادفوا ايديهم والحصير، وكان الامير فى البستان
خارج البلد، فاخذوا ما وجدوا له من اسلحة وعدد، وركبوا خيله
وقتلوا من وجدوا من الاكابر غيله، فاجتمع عليهم اهل البلد وارسلوا
الى الامير فادركهم بالمدد، فتراكم عليهم البلا باطنا وظاهرا، فلم
يجدوا لهم سوى الاستسلام ناصرا فقال له اصحابه لقد القينا
بانفسنا الى حقيقة الهلاك من هذا المجان، فقال لا عليكم ففى
مثل هذه المواطن يمتحن الرجل ويزان، فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا
صفا، واندفعوا نحو باب المدينة يدا واحدة زحفا حاطمين على
العدو من غير توان ولا هدو، فانى اظن انه لا يثبت لكم شى ولا
امامكم حى، فامتثلوا امره ورفعوا الصوت وقصدوا الباب
خايضين غمار الموت وهجموا على العساكر هجوم الليث، واندفقوا
ولا اندفاق الغيث، ففتح لهم عند فتح الباب، لامر يريده مسبب
الاسباب، فلم يلو امامهم احد على احد، ولا نفعه ما هو فيه من
العدد والعدد، فرانثنوا الى مكانهم سالمين، ولم يزالوا على ذلك
عائثين عابثين، واجتمع عليهم اصحابهم وانحاز اليهم من
اهل الشرقية، فارسل السلطان اليهم عسكرا غير مكترث بهم
فكسروه، واستولوا على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل
ما ادخروه، قلت شعر لاحقرن شان العدو وكيده، فربما صرع
الاسود الثعلب، وقيل ان البعوضة تدمى مقلة الاسد، وقيل
فربما قمرت بالبيدق الشاه، ذكر من استرقه ذلك الجاف واستعبده
من احرار ملوك الاطراف، واسل تيمور ولاة بلخشان، وكانت
الولاية بها لاخوين وهما بها مستقلان، تلقيا ذلك عن ابيهما
وكان السلطان نزعهما من ايديهما فتراقرا فيها على ان يكونا

الطريق الصعب الغليظ

وصفا صحر

يقف صم

فضح لهم عند الباب

فى الف واضرابهم فصاروا نحوا
من ثمانية ولم يتميز اليهم صح

من تحت امره واسترهن اولادهما عنده فصارا اسيري قهره فلما راسلهما تيمور على طاعته اجاباه ودخلا تحت كلمته

ذكر نهوض المغل على السلطان وكيف تضعضعت منه الاركان

ثم ان المغول نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين فاستعد لهم وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين فانكسر السلطان فراسلهم ايضا ذلك الجان واسم حاكمهم قمر الدين خان فاجابوا مراده واقتفوا ما اراده وسلطوه على السلطان ليستخلص من يده بلاده وواعدوه بمصاهرتهم وامدوه بمظاهرتهم ورجعوا الى بلادهم وقد اسلموه زمام قيادهم فقويت بذلك شوكته وسكنت القلوب هيبته فلم يسع السلطان الا بذل الجهد والامكان في اطفا نائرته وقطع دابرته فجعله نصب عينيه وتوجه بنفسه اليه بعسكر جرار كالبحر الزخار حتى انتهى الى مكان يسمى فاغلغا وهو ضد فان بينهما مضيق هو الجادة العظمى والطريق يسير المار في ذلك مقدار ساعة وفي وسط الدرب باب اذا اغلق واحمي فلا شئ مثله في المناعة وحواليه جبال كل منها عن يمينه قد شمخ وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ فصح ان يقال فيه انف في السماء واست في الماء فاخذ العسكر فوق ذلك الاربند من جهة سمرقند وتيمور على الجانب الآخر وهو كالمضايق والمحاصر ذكر الحيلة التي صنعها والخديعة التي ابتدعها فقال تيمور لاصحابه اني اعرف هنا جادة خفية مسالكها ابيه لا تطؤها الخطا ولا يهتدي اليها القطا فهلم نسري ليلنا ونقود في السرى خيلنا فنصبحهم من ورائهم وهم امنون فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون فاجابوه الى ذلك وشرعوا في قطع تلك الوعور والمسالك وساروا ليلهم اجمع وبلغ الفجر المطلع فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش ولم يمكنهم الرجوع واذ نت الشمس بالطلوع فوصلوا وهم الجميع على حذر وقد اخذ في التحميل وعزم

الدربند

الى العسكر

على الترحيل فقال اصحابه بئس الراى فعلنا في قبضة العدو حصلنا لقد وقعنا في الاشراك والقينا بايدينا انفسنا الى الهلاك فقال تيمور لا ضرر توجهوا نحو العسكر وانزلوا بمرأى منهم عن خيلكم واتركوها ترعى واقضوا من ورد النوم والراحة ما فاتكم في ليلكم فتراموا عن خيلهم كانهم صرعى وتركوا خيولهم ترعى شعر

واذا السلامة احرستك عيونها ... ثم فالمخاوف كلهن امان

واصطدبها العنقا فهي حبائل ... واقتدبها الجوزا فهي عنان

فجعل العسكر يمر بهم ويحال انهم من حزبهم حتى اذا استراحوا ركبوا خيولهم وصاحوا ووضعوا السيوف في اعدائهم راكبين اكتافهم من ورائهم فقتلوا قتلا ذريعا وغادروهم جريحا وصريعا وعم الخطب المد لهم ولم يعلم احد البلاء كيف دهمه واتصل الخبر بالسلطان وقد خرج التالا في عن حيز الامكان فهرب الى بلخ وقد سلخ من المملكة اي سلخ وشرع تيمور في النهب والغارات والسلب ثم ضبط الاثقال وجمع الاموال ولم يدع الناس والمدار

واطاعوه وهم ما بين راض وكاره فاستولى على ممالك ماوراء النهر وتسلط على العباد بالغلبة والقهر واخذ في ترتيب الجنود والعساكر واستخلاص الحصون والدساكر وكان نايب سمرقند واحد الاركان شخصا يدعى علي شير من جهة السلطان فكاتبه تيمور على ان تكون الممالك بينهما نصفين ويكون معه على السلطان حسين فوضى علي شير بذلك وقاسمه الولايات والممالك وتوجه اليه وتمثل بين يديه فزاد في اكرامه وبالغ في احترامه

ذكر توجهه الى بلخشان واستنصاره بمن فيها على السلطان

ثم انه ترك علي شير بعد ما ركن اليه وقصد بلخشان فاستقبله ملكها وتمثل بين يديه واتحفه بالهدايا والخدم وامداه بالجيوش والحشم فسار وهما معه من بلخشان قاصدين بلخ لمحاصرة السلطان

اليد رهكبير السيد الشريف والمقدم في المسلم واليد عند خصومه

فتحصن منهم فاحاطوا به من كل مكان فاخرج اولادهما الذين
كانوا عنده فى الرهان فضرّاعنا قهم بمرائى من ابويهم ولم يرق لهم
ولا من عليهم ثم انه ضعف حاله وقل عنه خيله ورجاله فنزل
مستسلماً للقضاء والقدر راضيا بما ذهب فى قضاء الله من ماحلا
ومر فقبض عليه تيمور وضبط الامور ثم رد اميرى بلخشان
اليها مكرمين وتوجه الى سمرقند ومعه السلطان حسين وذلك
فى شعبان سنه احدى وسبعين بعد ما خلا من الهجرة سبع مائة سنين
فوصل الى سمرقند واتخذها دار ملكه وشرع فى تمهيد قواعد الملك
ونظمها فى نظام سياسته وسلكه ثم انه قتل السلطان واقام
من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من ذرية جنكيزخان وقبيلة
جنكيزخان هم المتفردون باسم الخان محمود والسلطان لانهم هم قريش
الترك لا يقدر احد ان يتقدم عليهم ولا يمكن احد من انتزاع
ذلك الشرف من يدهم ولو قدر احد على ذلك لكان تيمور الذى
استخلص الممالك وسلك المسالك فرفع سيورغاتمش دفعا
للمطاعن وقطعا للسان كل طاعن وانما لقب تيمور الامير الكبير
وان كان فى اسره كل امر منهم ومأمور والخان فى اسره كالجماد
فى الطين وشبيه الخلفاء بالنسبة فى هذا الزمان الى السلاطين
واستمد بعلى شير نائبا فى سمرقند فكان يكرهه ويستشيره فى اموره
ويقدمه ذكر وثوب توقتاميش خان سلطان الدشت وتركستان
ثم ان توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار لما رأى ما جرا بين
تيمور والسلطان حسين فارد م قلبه وغار وذلك لعلة النسب
وسبب الجوار وهيأ العسكر الجرار والجيش الزخار وتوجه الى
مصاف تيمور من جهة سغناق واترار قريبا من نهر خجند وهو
نهر سيحون وسمرقند بين نهرى سيحون وجيحون فقامت بين
العسكرين سوق المحاربة فلم يتفق بينهم فيها سوى معاملات

فخرج اليه تيمور من سمرقند
وتلاقيا باطراف تركستان صح

المضاربة

المضاربة ولا زالت رحى الحرب تدور الى ان انطحن عسكر تيمور
فبينا عسكره قد قل وعقد جنوده انحل واذا برجل يقال له السيد
بركة قد اقبل فقال له تيمور وهو فى غاية الضرر يا سيدى السيد
جيشى انكسر فقال له السيد لا تخف ثم نزل السيد عن فرسه
ووقف واخذ كفا من الحصبا وركب فرسه الشهبا ونفخها فى
وجه عدوهم المردى وصرخ بقوله يا غى قاجدى فصرخ بها ايضا
تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدى وكان عباسى الصوت فكانه دعا
الابل الظماء بجوت جوت فعطفت عساكره عطف البقر على اولادها
واخذت فى المجالدة مع اضدادها واندادها ولم يبق فى عسكره من
جذع ولا قارح الا وهو يقوله يا غى قاجدى صالح ثم انهم كروا
كرة واحدة بهمة متعاقدة ونهمة متعاضدة فتراجع جيش توقتاميش
منهزمين وولوا على اعقابهم مدبرين فوضع عسكر تيمور فيهم
السيوف وسقوهم بهذا الفتوح كاسات الحتوف وغنموا الاموال
والمواشى واسروا اوساط الرؤس والحواشى ثم رجع تيمور الى
سمرقند وقد ضبط امور تركستان وبلاد خجند وعظم لديه
السيد بركة وحكمه فى جميع ما استولى عليه وملكه وهذا السيد
اختلف القول فيه فمن قائل انه كان مغربيا بمصر حجاما فذهب
الى سمرقند وتسيد بها وعلا قدره وتسامى ومن قائل انه كان
من اهل المدينة الشريفة ومنهم من يقول انه من اهل مكة المشرفة
وعلى كل حال فانه كان من اكبر الاعيان فى بلاد ماوراء النهر و
خراسان لا سيما وقد امد تيمور بهذه النجدة وخلصه بهذه
اللطيفة المصادفة للقضاء والقدر من هذه الشدة فقال له تيمور
تمن على واحكم لدى فقال له يا مولانا الامير ان اوقاف الحرمين
الشريفين فى الاقاليم كثير ومن جملة ذلك اندخوى فى ممالك
خراسان وانا واولادى من جملة مستحقى ذلك الاحسان

واذا اقيم اصل ذلك وحضمه وعلم قضمه وخضمه وضبطت اوقافه
ومصادف ذلك وصرافه ما كانت حصتى وحصته او لادى اقل من
هذه القصبة فى هذا الوادى فاقطعنى اياها فاقطعه اياها مع مضافاتها
واعمالها وقراها وهى الى الآن فى يد اولاده واسباطه واحفاده

ذكر على شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفة والشرود

ثم ان تيمور وقع بينه وبين على شير مخالفة والولايات فانحاز
الى كل منهما طائفة فاغتاله تيمور وختله ثم قبض عليه وقتله فصفت
الممالك لتيمور بعض الصفا وهرول الى طاعته من الناس كل اوجه
وراس كانا فى التأبى وقفا

ذكر ما جرى لدعاد سمرقند والشطار

مع تيمور وكيف احلهم دار البوار وكان فى سمرقند طائفة من الدعار
كثيرون وهم انواع فمنهم مصارعون ومناقفون وملاكمون وفعالون
وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن والعداوة والمقاتلة بينهم
قائمة على مر الزمن ولكل طائفة منهما رؤس وظهور واعضاد
وضروس وكان تيمور مع ابهته يخافهم لما كان يظهر له عنادهم
وخلافهم فكان اذا قصد جانبا اقامه فى سمرقند نائبا فاذا بعد عن
المدينة خرج من تلك الجماعة طائفة فخلعوا النايب واخرجوا مع
النايب واظهروا المخالفة فما يرجع تيمور الا وقد انفرط نظامه
وتخبطت اموره وتشوش مقامه فيحتاج الى تجديد تمهيد وتخريب
وتشييد فيقتل ويعزل ويعطى ويجزل ثم يتوجه لتمهيد مما لكه
وتوطيد مسالكه فيعودون الى عكرهم ويثوبون الى ختلهم ومكرهم
وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار فضاق تيمور ذرعا بالاشرار
والدعار فاعمل الحيلة فى اغتيالهم وكف اذاهم واستيصالهم فصنع سورا
ودعا اليه الخلايق كبيرا وصغيرا وصنف الناس اصنافا وجعل كل
ذى عمل الى عامله مضافا وميزا ولئك الدعار مع رؤسائهم على حدة
وفعل معهم ما فعله انوشروان ابن كيقباد بالملاحدة وارصد له

فى احد الاطراف انصارا وقرر معهم ان كل من ارسله اليهم يولونه
دمارا ويكون ارساله اليهم على قتله شعارا ثم انه جعل يد عوارؤس
الناس ويسقيهم بيده الكاس ويخلع عليهم افخر الملابس واذا افضت
النوبة من اولئك الدعار الى احد سقاه كاسه وخلع عليه واشار
ان يتوجه به نحو الرصد فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل وثوب
الحيوة فهتكوه وسكبوا عسجد قالبه فى بوتقة الفناء فسبكوه
الى ان اتى على آخرهم واستوفى بذلك قطع دابرهم ومحا آثارهم
واطفا نارهم فصفت له المشارع وخلا ملكه عن مجاذب ومناع
ولم يبق له فى ماوراء النهر ممانع ولا مدافع

فصل فى تفصيل ممالك سمرقند وما بين نهرى بلخشان وخجند فمن ذلك سمرقند وولاياتها
وهى سبعة توامانات واندكان وجهاتها وهى تسعة توامانات والتومان
عبارة عما يخرج عشرة الاف مقاتل وفى ماوراء النهر من المدن
المشهورة والاماكن المعتبرة المذكورة سمرقند ومسورها قديما
على ما زعموا اثنا عشر فرسخا وكان ذلك على عهد السلطان جلال
الدين قبل جنكيزخان ورايت حد مسورها من جهة الغرب قصبة
بناها تيمور وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف
يوم والناس الى الآن يحفرون سمرقند العتيقة ويخرجون دراهم
وفلوسا سكتها بالخط الكوفى يسبكون الفلوس ويخرجون منها
فضة ومن مدن ماوراء النهر مرغينان وهى التخت كانت قديما
وبها كان ايلك خان ومنها خرج الشيخ الجليل العلامة برهان الدين
المرغينانى صاحب الهداية رحمه الله تعالى وخجند وهى على ساحل سيحون
وترمد وهى على ساحل جيحون ونخشب وهى قرشى المذكورة والكش
وبخارا واندكان وهى اماكن مشهورة وغير ذلك

ومن الولايات بلخشان وممالك خوارزم واقليم صغانيان الى غير ذلك من الاطراف
الواسعة والاكناف الشاسعة وفى عرفهم ماوراء جيحون الى جهة

المشرق توران وماكان فى هذا الطرف الى جهة المغرب ايران فلما
اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد كانت توران لافراسياب وايران
لكيكاوس ابى كيقباد فصل فى ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر
بعد استصفائه ممالك ماوراء النهر ولما صفت له ممالك ماوراء النهر
وذلت لاوامره جوامح الدهر شرع فى استخلاص البلاد واسترقاق
العباد وجعل ينسج بانامل الحيل الاشراك والاوهاق ليصطاد
بذلك ملوك الاقاليم وسلاطين الآفاق فاول ماصاهر المغول
وصافاهم وهادنهم وهاداهم وتزوج بنت قمر الدين ملكهم وصاد
آمنا من تبعتهم ودركهم وهم جيرانه من جهة الشرق ولا تباين
ما بينه وبينهم ولا فرق اذ العلة وهى الجنسية والمجاورة حاصلة
للجهتين والملة وهى التورة الجنكيزخانية ممشاة فى كلا الدولتين
فامن شرهم وكفى كيدهم وضرهم ذكر تصميمه العزم وقصده الاطراف
واول ممالك خوارزم فحين امن مكرهم وشد بالمصالحة
ثغرهم صمم العزم على التوجه الى ممالك خوارزم وهم جاوروه غربا
بشام ومباينوه بتمشية قواعد الاسلام وتخترهم مدينة جرجان
وهى من اعظم البلدان وهذه المملكة ذات مدن عظيمة وولايات
جسيمة وتختها مجمع الفضلاء ومحط رحال العلماء ومقر الظرفاء والشعراء
ومورد الادباء والكبراء ومعدن جبال الاعتزال وينبوع بحار اهل
التحقيق من ارباب الهدى والضلال فنهرها كثيرة وخيراتها غزيرة
ووجوه فضايلها مستنيرة واسم سلطانها حسين صوفى وهو
من الاعتقادات الباطلة عوفى ومدن ماوراء النهر وضع بعضها
قريب من بعض لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض واهل
خوارزم كاهل سمرقند فى اللطافة وافضل من اهل سمرقند فى
الحشمة والظرافة يتعاطون المشاعرة والادب ولهم فى فنون
الفضل والمحاسن اشياء عجب خصوصا فى معرفة الموسيقا والانغام

وعراق هو مغرب ايران صح

ويشترك فى ذلك الخاص منهم والعام وتما هو مشهور عنهم ان
الطفل فى المهد منهم اذا بكى او قال آه فان ذلك يكون فى شعبة دكاه
فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين صوفى غايبا عنها فنهب
حواليها وما وصلت يده اليه منها ولم يقدر عليها فلم يكترث بها
ولا التفت اليها ثم لما اطراف حاشيته وعاد الى مملكة ذكر عوده
ثانيا الى خوارزم ثانيا ثم انه شد حزام العزم وكر ثانيا الى خوارزم
باستعداد تام وجيش طام وكان سلطانها ايضا غايبا فاقام لجميلة
بكرها خاطبا فحاصرها وضاجرها وشدد على اعناق مسالكها النوابيب
وكاد ان يشب باديا لها منه المخاليب فخرج اليه رجل من اعيانها
كان تاجرا وله قدم صدق عند سلطانها يقال له حسن سوديج
والتمس منه ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج وان يبذل له ما طلب
فى مقابلة ما يريد من اسير وسلب فطلب منه حمل مايتى بغل فضة
ترفع الى خزاينه نضة فلم يزل يراجعه ويلاطفه ويمانعه حتى صالحه
على ربع سواله وقام المصالح بذلك من ماله وصلب حاله ووزن
ذلك فى الحال واخذ تيمور فى الترحال وكف عن الاذى شياطين
جنده وعزم على التوجه الى سمرقند ذكر مراسلته ملك غياث
الدين سلطان هراه الذى خلصه من الصلب وراودنيه اباه
ثم انه راسل سلطان هراه ملك غياث الدين الذى كان مفيئه
عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه وطلب منه الدخول فى
ربقة الطاعة وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب الاستطاعة
والا فقصد دياره وبلغه دماره فارسل ملك غياث الدين يقول
صحبة الرسول اما كنت خادما لى واحسنت اليك واسبلت
ذيل احسانى ونعمتى عليك فخنت وقتلت وفتكت وقتلت و
فعلت فعلتك التى فعلت وذلك بعد ان نجيتك من الضرب و
الصلب فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب فعبر

٩

جيحون وتوجّه اليه، فلم يكن لغياث الدين قوّة الوقوف بين يديه، فارسل الى حشمه وسكان قراه فاجتمعوا هم ومواشيهم حول هراة، وحفر خندقاً حول البساتين محيطاً بالرّعاع وضعفة المساكين وحصر نفسه في القلعة، وحسب ان يكون له بذلك منعة، وذلك لركاكة رأيه اوّلاً وآخراً وجمود قريحته وقلّة عقله وانعكاس فكره ودولته، فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار، ولكن احاطت به العساكر دايراً مادار ومكث تيمور في الامن والدّعة، وعدوّه في الضيق بعد السّعة فاضطرّ الرّؤس والحواشي ومارت الانعام والمواشي وغصّ البلد بالزّحام، وهلكت الخواصّ والعوامّ واضناهم الوصب وانضاهم السّغب وعلاهم الصراخ والضّجب، فارسل اليه السّلطان يطلب منه الامان وعلم انّه اختنق بسببه وانّه اعانه اوّلا فبلي به فذكّره سابقة العرفان وما اسداه اليه من احسان وطلب منه تأكيد الامان بالايمان فحلف له تيمور انّه يحفظ له الذّمام القديم وان لا يراق له دم ولا يمزّق له ادیم فخرج اليه ودخل عليه وتمثّل بين يديه فدخل تيمور الى المدينة وصعد الى قلعتها الحصينة وصحبته السّلطان وقد احاطت به جنود هراة والاعوان فاشار واحدٌ من ابطال صاحب هراة الى السّلطان انّ يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه وقال له ما معناه انا افدي السّلطان بنفسي ومالي واقتل هذا الاعرج ولا ابالي فلم يجبه الى اشارته واستسلم لقضاء الله تعالى وارادته وقال انّ لله تعالى تصريفاً في عباده ولا بدّ ان ينفذ فيهم سهم مراده ولا مفرّ من القضاء ولا محيد عمّا قدّر الله تعالى وقضى شعر واذا اتاك من الامور مقدّر ... وفررت منه فنحوه تتوجّه وهذا ست لا بدّ من ظهوره فلا نبحث عن حقيقة امره فمن غالب القضاء غلب ومن ناهب الزّمان سلب ومن قاوى تيّار المقدور غرق ومن استلذّ بالغفلة مشاربَ اللهو شرق وذكر عند ذلك مقالة ابيه له واطّلع على حقيقته ولكنّ السّهم خرج

قلت من ليس بصارف سعة تقديره يخلفه في تدبيره ثمه

فما امكن

فما امكن ردّه الى فوقه ذكر اجتماع ذلك الجافي بالشيخ زين الدين ابي بكر الخوافي وكان في بعض قدماته خراسان سمع انّ في قصبة خواف رجلاً قد منحه الله تعالى الالطاف عالماً عاملاً كبيراً فاضلاً ذاكراماتٍ ظاهرةٍ وولاياتٍ باهرةٍ وكلماتٍ زاهرةٍ ومقاماتٍ طاهرةٍ ومكاشفاتٍ صادقةٍ ومعاملاتٍ مع الله تعالى بالصّدق ناطقةٍ يدعى الشيخ زين الدين ابا بكر لطائر اجتهاده في حظيرة القدس اعلى وكره فقصد تيمور رؤيته وتوجّه اليه وجماعته فقالوا للشيخ انّ تيمور قادمٌ عليك وواصلٌ اليك يقصد رؤيتك ويرجو بركتك فلم يفه الشيخ بلفظه ولا رفع لذلك لحظه فوصل تيمور اليه فنزل عن فرسه ودخل عليه والشيخ مشغولٌ بحاله على عادته جالسٌ في فكره على سجّادته فلما انتهى اليه قام الشيخ فاحدودب تيمور منكبّاً على رجليه فوضع الشيخ على ظهره يديه قال تيمور لولا انّ الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة لخلته انزض ولقد تصوّرت انّ السّماء وقعت على الارض وانا بينهما رضضت اشدّ رضّ ثم انّه جلس بين يدي ذلك المنتجب على ركبتي الأدب وقال له بالملاطفة في المحاورة على سبيل الاستفهام لا المناظرة يا سيّدي الشيخ لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والانصاف وان لا يميلوا الى الجور والاعتساف والاعتساف فقال له الشيخ امرناهم ونقدّمنا بذلك اليهم فلم يأتمروا فسلّطنا الشّحك عليهم فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبه وقال ملكت الدّنيا وربّ الكعبة وهذا الشيخ هو الموعود بذكره ثم انّ تيمور قبض على مَلِك هراه واحتاط على ما ملكت يداه وضبط ولايتها جانباً جانباً وقرّر لكلّ جانبٍ نائباً وتوجّه الى سمرقند قافلاً بما امكنه وحبس السلطان في الميذنه وارصد عليه بابها وكلّ بحفظه اصحابها واضاف اليهم لشدّة الحفاظ الزّبانية الشّداد الغلاظ وذلك لحلفه ان لا يريق دمه وان يحفظ له ذمّه

فلم يرق له دماء ولكنه قتله في الحبس جوعًا وظمأ ذكر عوده الى خراسان
وتخريبه ولايات سجستان ثم عاد الى خراسان وقد عزم على الانتقام
من اهل سجستان فخرج اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح فاجابهم
الى ذلك على ان يمدوه بالسلاح فاخرجوا اليه ما عندهم من العدة ورجوا
بذلك الفرج من الشدة فخلفهم وكتب عليهم قساماب بالغة ان مدينتهم
غدت من السلاح فارغة فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم
فاضاف بهم جنود المنايا عن بكرة ابيهم ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر
ولا مدر ومحاها فلم يبن لها عين ولا اثر ورحل عنها وليس بها داع ولا
مجيب وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم اصيب ذكر لي الشيخ الفقيه
زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن ابي الفتح الكرماني الحنفي نزيل دمشق
بمدرسة الحقيقة في سنة ثلث وثلاثين وثمانمائة ان الذين تخلصوا
من القتل من اهل سجستان بهزيمة او غيبة او بنوع لطيفة من الله
تعالى لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها اراد وا ان يجمعوا بها فاضلوا
يوم الجمعة وما اهتدوا اليه حتى ارسلوا الى كرمان من دلهم عليه
ذكر قصد ذلك الغدار ممالك سبزوار وانقيادها اليه وقدوم واليها عليه
ثم لما اثار بسجستان ما اثار قصد بعساكره مدينة سبزوار وكان
واليها يدعى حسن الجودي مستقلا بالامارة وهو رافضي فما امكنه
الا الاطاعة واستقباله من الهدايا والخدم بما استطاعه فاقره
على ولايته وزاد في دعايته فصل وكان من عادة تيمور وفكره
انه كان في اول امره اذا نزل باحد مستضيفا استنسبه وحفظ اسمه
ونسبه وقال له اذا بلغك اني استوليت على الممالك استقليت
فأتني بعلامة كذا فاني اكافيك اذا فلما انتشر ذكره وشاع امره
وفشا في الدنيا خبره وخبره هرعت الناس بالعلايم اليه ووفدت
من كل فج عميق عليه فكان ينزل كل احد منزلته ويحله مرتبته ذكر
ماجرى لذلك الداعر في سبزوار مع الشريف محمد رأس طائفة الدعار

وكان

وكان في مدينة سبزوار رجل شريف من الشطار يدعى السيد
محمد السربدال معه جماعة من الرجال كلهم دعار يسمون السربدالية
يعني الشطار وكان هذا السيد رجلا مشهورا بالمآثر والفضايل
مذكورا فقال تيمور علي به فاني ما جئت الا بسببه وقد كنت
متشوقا اليه ومتشوفا لعلم ما لديه فدعوه له فدخل عليه فقام اليه
واعتنقه وقابله ببشرة منطلقة واكرمه واداناه وقال له في جملة
فحواه يا سيدي السيد قل لي كيف استخلص ممالك خراسان واحوزها
واني احوزها اقاصيها وادانيها وماذا افعل حتى يتم لي هذا الامر
وارتقي هذا المسلك الصعب الوعر فقال له السيد يا مولانا الامير
انا رجل فقير وقير من آل الرسول من اين انا وهذا الفضول واني
وان قيل لي شريف رجل عاجز ضعيف لا طاقة لي بموارد المهلك
ومن اناحتي اشاوف لمصالح الملك ومن داخل الملوك او خارجهم
او عارضهم في امورهم او ما زجهم كان كالعايم بين مجمع البحرين
وكالجاثم في منتطح الكبشين والخارج عن لغة لحان وشتان بين
المأمون والطحان فقال له لابد ان تدلني على الطريقة وتخبرني
عن المجاز الى هذه الحقيقة ولولا اني تفرست فيك ذلك وتكهنت
ان برأيك تقتدى المسالك واتك اهل لهذه المعرفة ما فهت لك
ببنت شفة ولا استغنيت عنك استغناء التفه عن الرفه فان
فراساتي ايا سية وقضاياي كلها قياسية فقال ذلك المشير
ايها الامير اوتسمع في هذا مقالتي وتتبع اشارتي فقال ما استشرتك
الا لاتبعك ولا جاريتك الا لامشي معك فقال ان اردت ان يصفو لك
المشرب وتنال الممالك من غير ان تتعب فعليك بخواجه علي ابن المؤيد
الطوسي قطب فلك هذه الممالك ومركز دايرة هذه المسالك فان
اقبل عليك بظاهره لم يكن ببباطنه الا معك وان ولى عنك بوجهه
فلن يفيدك غيره ولن ينفعك فكن على استجلاب خاطره وحضوره

اليك ابلغ جاهدٍ فانه رجل صلب وظاهره و باطنه واحدٌ فان طاعة
الناس منوطة بطاعته وافعال الكل مربوطة باشارته فما فعل فعلوا
فان حط حطوا وان رحل رحلوا وكان هذا الرجل اعني خواجه على المذكور
رجلاً شيعياً موالياً علياً يضرب السكة باسم الاثنى عشر اماماً ويخطب
باسمائهم وكان شهماً هماماً ثم قال السيد يا امير ادعُ خواجه على فان
لبى دعوتك وحضر حضرتك فلا تترك من انواع الاحترام والتوقير
والاكرام والتكبير شيئاً الا واوصله اياه فانه يحفظ لك ذلك ويرعاه
وانزله منزلة الملوك العظام في التعظيم والتوقير والاحترام
ولا تدع معه شيئاً مما يليق بحشمتك فان ذلك كله عايد الى حرمتك
وعظمتك ثم خرج السيد من عند تيمور وجهز قاصده الى خواجه على
المذكور يقول له انه قد مهد له الامور فان جاء قاصده فلا يتوقف عن
الطاعة ولا يقعد عن التوجه اليه ولا ساعة ويكون منشرح البال
آمناً سطواته في الحال والمآل فاستعد خواجه على لقدوم الوارد
وورود القاصد وهيأ الخدمات والتقادم والمحمولات وضرب
باسمه واسم مولاه الدرهم والدينار وخطب باسمهما في جوامع الامصار
وقعد لامر منجزاه واقام للطلب مستوفزاً واذا بقاصد تيمور جاءه
منه بكتاب فيه من اللطف كلام واليق خطاب يستدعيه مع انشراح
الصدر وتوفير التوقير وتكثير البر فنهض من ساعته ملبياً بلسان
طاعته ولم يلبث غير مسافة الطريق وقدم بامل فسيح وعهد وثيق
فلما اخبروه بوفوده جهز لاستقباله اساورة جنوده وستر سروداً
شديداً وكانه استأنف ملكاً جديداً فلما وصل قدم هدايا فاخرة
وتحفاً متكاثرة وطرايف ملوكية وذخاير كسروية فعظمه تعظيماً
بالغاً واولاه انعاماً سايغاً واسبل على قامة رجائه من خلع اعزازه
واكرامه ذيلاً سابغاً واستمر به على ولايته وزاد في بره وكرامته
فلم يبق في خراسان امير مدينة ولا نايب قلعة مكينة ولا من يشار

اليه الا قصد تيمور واقبل عليه فمن اكابرهم امير محمد حاكم باورد
وامير فلان حاكم سرخس وانتشرت هيبته في الآفاق وبلغت
سطوته ماز ندران وكيلان وبلاد الري والعراق وامتلأت منه
القلوب والاسماع وخافه القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه
شجاع كل هذا في مدة قصيرة وايام قلايل يسيرة نحواً من سنتين
بعد قتله السلطان حسين ذكر مراسلة ذلك الشجاع سلطان عراق
العجم ابا الفوارس شاه شجاع ولما صفت له بلاد خراسان واذعن
لطاعته كل قاصٍ ودانٍ راسل شاه شجاع سلطان شيراز وعراق
العجم يطلب منه الطاعة والانقياد وارسال الاموال والخدم ومن
جملة كتابه ونحوى خطابه انه الله تعالى سلطني على ظلمة الحكام والجايرين
من ملوك الانام ورفعني على من ناواني ونصرني على من خالفني
وعاداني وقد رأيت وسمعت فان اجبت واطعت فبها ونعمت والا فاعلم
ان في قدمي ثلاثة اشياء الخراب والقحط والوباء واينما كل ذلك عايد
عليك ومنسوب اليك فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته ومهاداته
ومصاهرته ومصافاته وزوج ابنته بابن تيمور ولم يتم ذلك السرور
لحدوث شرور فانقبضت تلك المباسطة بواسطة افساد الواسطة
وتثريب الخطابة وتخريب الماشطة قلت بديهاً مضمناً

اذا انخدعت لامرءٍ واسطةٌ ... فاحذر دهاه وكن منه على وجلٍ
واعلم بان طباع الانس قد جبلت ... من الجفاء ومن مكرٍ ومن دخلٍ
فلا تثق ابداً شيئاً بواسطةٍ ... واشرع بنفسك فيه غير متكلٍ
فانما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجلٍ

ومد عنان الكلام في هذا المقام يخرجنا عن المرام ولكن تمت رياض
المحبة زاهرة وارباض المودة عامرة وقفول المراسلة والمصادقة
بين الطرفين سايرة واستمروا على ذلك من غير نزاع الى ان توفي
شاه شجاع وكان شاه شجاع هذا رجلاً عالماً فاضلاً يقرر الكشاف

تقويراً شافياً كاملاً وله شعرٌ رائقٌ وادبٌ فائقٌ فمن شعره العربي على
ما قيل، الا انّ عهدي في الغرام يطول، واسباب صبري لا تزال تزول
اصون هواها كلما ذرّ شارق، ولكنّها بي قد يئست تخول
ومن لم يذق صرف الصبابة في الصبا علمتُ يقيناً انه لجهول

ومن شعره الفارسي

اي بكام عاشقان خسنت جميل، كي كزينم ديكري برتو بديل
كر زيادت غافلم عيشم حرام، ور زجورت دم زنم خونم حلال
هر كسي تدبير كاري ميكند، ما رها كرديم بانعم الوكيل

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر وابوه كان من افراد الناس ومن اهل
البر تسكن ضواحي يزد وارقوه ذا بأسٍ شديدٍ يخافه القريب والبعيد
ويرجوه وكان قد نبغ بين يزد وشيراز حوالي من عرب آل خفاجه
سدّ على سالكي الطريقه حقيقة المجاز يدّعي جمال لوك افقر الغنيّ
واباد التعلوك لا يبالي بالرجال قلّت او كثرت ولا يكترث بكواكب
اذا الكواكب على رأسه انتثرت، فاباد طائفةً من البلاد واهلك
الحرث والنسل والله لا يحبّ الفساد، فكمن له ابو شاه شجاع في بعض
وهدٍ او بقاعٍ، ثم قابله مواجهةً وكافحه مشافهةً ونازله فصرعه
وقطع رأسه وانتزعه وقصد برأسه السلطان فقدّمه على سائر
الاعوان واقطعه اماكن عدّه وقربه وجعله عُدّةً لكلّ شدّه
وكان له عِدّة اولاد واقارب واحفاد كلٌّ منهم رئيس مطاع فمن
اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع فصار كلّ منهم ذا كلمة
نافذه ويدٍ مطيعةٍ آخذه ولم يكن للسلطان ولد ينقر وراه في
امور الملك او ينقب فلما اقبل عليه رائد المنيّة اجابه وولّى مدبراً
ولم يعقب وكان اذ ذاك وقد ثبّت اوتاد محمد بن مظفر فتقدّم في
ومن سواه تأخر فصار في ممالك عراق العجم الملك المطاع واستقلّ من
غير تشاقٍ ونزاع وتصرّف في الممالك كيف يشاء وردّاه الله تعالى خلعة

النبأ

قل اللهمّ مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وما تّ في حيوته ولده شاه
مظفر المشهور وخلّف ولده شاه منصور ثم جرى بين شاه شجاع وابيه
من النزاع والشرود ما لا خير فيه وقبض على ابيه وقهره وفجعه في
كريمتيه واعدمه بصره وتمكّن من السلطنة واستقرّ وكان به مرض
جوع البقر بحيث انه كان لا يقدر على الصوم لا في السفر ولا في الحضر
وكان كثيراً ما يدعو الله الغفور ان لا يجمع بينه وبين تيمور فلما
ادركه الاجل وطوى فراش الموت منه بساط الامل احضر ماله
من اقاربَ واولادٍ وقسم عليهم الممالك والبلاد فولّى ابنه لصلبه
زين العابدين شيراز وهي كرسيّ الملك ومقصد الوافدين واقطع
اخاه السلطان احمد ولايات كرمان واعطى ابن اخيه شاه يحيى يزد
وابن اخيه شاه منصور اصبهان واسند وصيّته بذلك الى تيمور
وخلّد ذلك في رقٍّ منشورٍ واشهد على ذلك من حضر مجمعه وكان
كمن سلّم الريح لزوبعة فلما دجّ الموت ثوب عمر شاه شجاع انتشر بين
اقاربه شقّ الشقاق والنزاع فقصد شاه منصور زين العابدين
وقبض عليه واستولى على شيراز وفجعه بكريمتيه وخالف عمّه و
نقض حبل عهده وفعل مع ابنه ما فعل ابوه بجدّه وحبل هذه
القصّة ممدود والاشتغال بنقضه وابرامه يخرج عن المقصود
فاسعَ تيمور وامتعض وتجرّع الغصص وارتهض ولكن ارتقب في ذلك
انتهاز الفرص ذكر توجّه تيمور مرّة ثالثة الى خوارزم بالعساكر
العابثة العابثة ثم انّ تيمور جدّد الحزم وصمّم العزم على التوجّه الى
خوارزم فتوجّه الى تلك البلاد من خراسان على طريق استراباد
وكان سلطانها ايضاً غايباً فاراد ان يولّي عليهم من جهته نايباً
فخرج اليه حسن المذكور وصالحه واشترى منه الشرود و
المقابحَه وقال له يا مولانا الامير كلّنا عندك اسير ولكن سلطاننا
غايبٌ واذا اقيم من جهتك علينا نايبٌ ثم رجع الينا السلطان

فلابدّ ان يقع بينهما شنآن، واذا كان الامر كذا فربّما يصل الى منه اذاء
فيكون ذلك سبب تأكيد العداوة، ويزداد بينكما الجفا والقساوة،
فيفيض حَنَقُك على المسلمين، ويقع فساد والله لا يحبّ المفسدين،
وَهَبْ انّ حسين صوفى صار نائبك، فكلّ الخلق يجب عليه ان يراعى
خدمتك وجانبك، ورأيك اعلى، واتباع مرسومك اولى، فسمع تيمود
كلامه، وقبل قوله وفوّض للرحيل خيامه وكان لحسن المذكور
ابنٌ غير فالح له عملٌ غير صالح، فكأنّه فتك بحظيّةٍ من حظايا السلطان
وذاع ذلك فى المكان، وفاح ذفره فى انف الزمان، فلم يتقيّد بذلك
الفعل القبيح حسن، وقال انّ لى على السلطان منّا واىّ منٍّ حيث انّى
حميت بلده من كلّ ظلومٍ كفّارٍ، وبذلت فى ذلك مالى ووجاهتى ثلاث
مرارٍ، فلابدّ ان يقابل هذه المصالحة بالعفو عن جريمة ولدى والمسامحة
فلمّا آب السلطان من سفره، واطّلع على حقيقة الامر وخبره، قبض على
حسن وولده وقتلهما، والقاهما بين يدى اَسَدِ قهرهِ فاكلهما وخرّب
ديارهما، ونقل الى خزانته شعارهما ودثارهما، ثم لم ينتب حسين
صوفى ان توفّى، وولى بعده ولده يوسف صوفى، وكان تيمود قبل
ذلك قد صاهرهم، وناصرهم على مخالفيهم فظاهرهم، وزوّج ابناً
له يدعى جهان كير، عقيلةً منهم ذات قدرٍ كبيرٍ، واصلٍ خطيرٍ، ووجهٍ
مستنيرٍ، احسنَ من شيرين واظرفَ من وَلّادَه، ولكونها من بنات
الملوك كانت تدعى خانزاده، فولدت له محمد سلطان وكان فى
نجابته واقباله ساطع البرهان، فلمّا شاهد تيمور فى شمائله مخايلَ
السعادة، وقد فاق فى النجابة اولاده واحفاده اقبل دون الكلّ
عليه، وعهد مع وجود اعمامه اليه، لكن عاند الدهر ذلك الظلوم،
فتوفى قبله فى آخر شهر من بلاد الروم، وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى
ذكر توجّه ذلك البائقة الى خوارزم مرّة رابعة،
فلمّا سمع تيمود ما جرى على حسن من الشرور تحزّن وشدّد الأزرار

ووجّه ركاب الغضب الى خوارزم فاخذها وقتل سلطانها وهدم
اركانها وخرّب بنيانها وولى على ما بقى منها نائباً من عنده ونقل جميع
ما امكنه نقله منها الى ممالك سمرقند، وتاريخ خراب خوارزم عذاب ٧٧٣
كما انّ تاريخ خراب دمشق خراب ٨٠٣ ذكر ما كان ذلك الجان راسل به
شاه ولى امير ممالك مازندران ثم انّه لمّا كان توجّه الى خراسان
راسل شاه ولى امير ممالك مازندران، وكاتب الامراء المستقلّين
بذلك المكان، فمنهم اسكندر الجلايرى وارشيوند وابرهيم القمّى
واستدعاهم الى حضرته كما هو جارى عادته، فاجابه بالضرورة
ابراهيم وارشيوند واسكندر، وتأبّى عليه شاه ولى ذلك الغضنفر
ولم يلتفت الى خطابه، وخشن له فى جوابه ذكر مراسلة شاه ولى
سلاطين العراق وما وقع فى ذلك من الشقاق وعدم الاتفاق
ثم ارسل شاه ولى الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان والى
السلطان احمد ابن الشيخ اويس متولّى عراق العرب وآذربيجان
يخبرهما بورود خطابه وصدور جوابه، ثم قال انا ثغركما، وان انتظم
امرى انتظم امركما، وان نزل بى منه بايقة فانها بكما لاحقة،
فان ساعدتمانى بمددٍ كفيتكما هذا النكد، والّا فتصيران كما قيل
من حلقت لحية جاره فليسكب الماء على لحيته، فامّا شاه شجاع فلطح
قوله ورماه، وهادن تيمود كما ذكر وهاداه، واما السلطان احمد
فاجاب بجوابٍ مهملٍ، وقال هذا الاشلّ الاعرج ما عساه ان يفعل
ومن اين ومن اين، للاعرج الجغتائى ان يطأ العراقين، وان بينه
وبين هذه البلاد لخرط القتاد، ولكم بين مكانٍ ومكان، فلا يخلو
العراق لخراسان، ولئن عقدت على التوجّه الى ديارنا نيّته لتحلّن
منيّته، ولترتحلنّ عنه امنيّته، فانا قومٌ لنا البأس والشدّة،
العدّة والعدّة، والدولة والنجدة، ولنا يصلح التسامح والتأبّى حتى
كانّه فينا قال المتنبّى شعر نحن قومٌ ملجنٍ فى زىّ ناسٍ

فوق طيرها شخوص الجمال فلما علم ذلك منهما شاه ولى وايقن ان كلا
منهما عن شجوه خلى قال اما انا فوالله لاوا قفنه بعزم صادق ونفس
مطمئنة فليئن ظفرت به لانذ دنّ بكما فى الامصار ولاجعلنكما عبرة
لاولى الابصار وان ظفرنى فلا على ما يصل منه اليكما فليئن لن
البلاء الطام والقضاء العام عليكما ثم استعد للقائه واستسلم لقدر
الله تعالى وقضائه ولما تراءى الجمعان واتصلت المراشقة بالضراب
والطعان نبت شاه ولى ساعة لما نابه من شر وهر ثم ولى الدبر
لما حطمه ما رأى من كر وفر وتبع السنة فى الفرار مما لا يطاق
وتوجه الى الري اذ ما امكنه التوجه الى العراق وكان بها امير
مستقل يدعى محمد جوكار متصرفا بحكومته فى تلك القرى والامصار
وكان شجاعا وملكا مطاعا ومع ذلك فانه دارى تيمور وراعى منه
بعض الامور وخاف سطوته وبأسه فقتل شاه ولى وارسل الى تيمور
راسه ذكر ما جرى لابكر الشاسبانى من الوقايع مع ذلك الجانى
وكان فى بعض ولايات مازندران رجل يسمى ابابكر من قرية تدعى
شاسبان وكان فى الحروب كالاسد الغضوب وكان قد اباد وابار
الجم الغفير من عساكر التتار اذا انتمى فى المجال لا يثبت له الرجال
وان وضع العمامة اقام فيهم القيامة ولا زال يكمن بين الروابى
والجبال ويجندل الجنود والابطال حتى صارت تضرب به الامثال
وترعد منه الفرائص ولو فى خلف الجبال فكان القايل منهم يقول
لمركوبه اذا علق عليه او سقاه فتأخر عن الما اوجفل من المخاضة
كأن ابابكر الشاسبانى فى الما او بين العليق تراه وقيل لم يتضرر عسكر
تيمور فى مدة استيلائه مع كثرة حروبه ومصافاته وابلائه
الا من ثلاثة انفار اضر وابه وبعسكره غاية الاضرار واوردوا
كثيرا منهم موارد النار احدهم ابوبكر الشاسبانى وثانيهم سيدى
على الكردى وثالثهم امة التركمانى فاما ابوبكر هذا فذكروا انه

طيف الخيال

فى بعض مضايق مازندران تغلبت عليه الجغتاى من كل مكان و
سدوا عليه وجه المخلص وشدوا حبل المقنص فألجاوه الى جرف
مقابلة جرف مقدار ثمانية اذرع ما بين الجرف الى الجرف كان
قعر جُنب العقير او وادٍ فى قعر السعير فنزل ابوبكر عن جواد ال
ضمر وضم من احد الجرفين الى الآخر بما عليه من السلاح والمغفر
ولم ينل منهم ضرا وبخاكما بخانا بط شرا ثم اتصل بجاشيته وابادهم
ونقل الى طاحون الفنا منهم من استكمل دياتهم وحصادهم فثم ما
ادرى امره الى ما ذا وكيف تقلبت فيه الاحوال واما سيدى على
الكردى فانه كان اميرا فى بلاد الكرد معه طايفة من الخيل الجرد
والرجال غير المرد فى جبال عاصية واماكن وعرة متقاصية فكان
يخرج هو وجماعته ومن شملته طاعته وينزل على قم المضايق ممن
هو به واثق فيشن على عسكر تيمور الغارات ويدرك فيهم للمسلمين
الثارات ويقتطع من حواشيهم وما يمكنه من مواشيهم ثم يرجع الى
اوكاره بما قضى من اوطاره ولم يزل على ذلك الثبات فى حياة تيمور
وبعد ان مات الى ان ادركته الوفاة ففات واما امت التركمانى
فانه كان من تراكمة قراباغ وله ابنان قد وضع كل منهم على قلب
تيمور اى داغ وكانت الحروب والنزال بينهم وبين امير انشاه و
عساكر الجغتاى لا تزال وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصى وجانبا
فات الاستقصا الى ان غدر واحد من المنتسبين اليهم فطلب
غرتهم ودل عسكر امير انشاه عليهم فبيتوهم ليلا واراقوا من
دمهم سيلا فاستشهد الثلاثة فى سبيل الله رحمهم الله قلت

واصعب فتنة تشميت الاعداء وانكى مسه تخذيل الموالى

وقيل

ظلم ذوى القربى اشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
اذا كان هذا بالاقارب فعلكم فماذا الذى ابقيتم للاباعد

عن جواده المضمر وظفر من الجرف الى الارض

جنب

بعقبه الايمن

ذكر توجه تيمور الى عراق العجم وخوض شاه منصور غمار ذلك البحر الخضم

ولما ان توفى شاه شجاع ووقع بين اهله كما مر النزاع واستمر امر العراق العجمى على شاه منصور وخلصت ممالك مازندران وولاياتها لتيمور وكان شاه شجاع قد اوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر ووكل امره اليه وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله مع ابن عمه زين العابدين فاحتج بذلك ومشى عليه فاستمد شاه منصور اقاربه فكلهم صار محاربه وغدا مجاذبه ومجانبه واقام كل منهم يحفظ جانبه فتهيأ لملاقاته وحده بنحو الفى فارس كاملى العدة بعد ان حصن المدينة وحوطها بالاهبة المكينة ورتب خيلها ورجلها وحرض على التصبر والتربص اهلها فقال له اكابر اعيانها والرؤس من سكانها كانا بك فى المقتحم وسد الحرب قد التحم وقد منعناه من الوصول الينا ودافعناه عن الهجوم علينا وربما جندنا له رجالا وابطلنا من عسكره ابطالا ثم اذا تصنع انت بالفى راكب مع ذا الغمام المتراكم المتراكب فربما يحل عقدك او يغل جندك فلا ترى لنفسك فى الهيجا الا طلب الخلاص والنجاء وتترك لنا الحمى على وضيم بعد ان ذلت بنا معهم القدم ولا ينفعنا بعد تأكيد العداوة الندم ولا يجبر اذ ذاك هذا الكسر الا بالقتل والنهب والاسر فوضع يده على دبوسه شاه منصور وقال هذه الالف فى الكاف السادسة من اقر من يفر من تيمور اما انا فاقاتل وجندى فان خذلنى جندى قاتلت وحدى وبذلت فى ذلك جدى وجهدى وعانيت عليه وكدى وكدى فان نصرت نلت قصدى وان قتلت فما على ممن بقى بعدى وكانى انا كنت الحاضر والخاطر فى خاطر الشاعر حين قال اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه واراد بذلك حفظ مدنه فضاع فى ضياعه ثم جمع رؤسا شيراز واجنادها وافلاذ كبدها

واولادها وقال ان هذا عدو ثقيل وهو وان كان خارجيا فهو فى بلادنا دخيل فالرأى انى لا انحصر معه فى مكان ولا اقابله بضراب وطعان بل انتقل فى الجوانب واتسلط انا ودعاياى عليه من كل جانب فنضع اكنافه ونقطع اطرافه ونواظبه بالنهار ونراقبه بالليل ونعد له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل فكلما وجدنا منه غرة كسرنا منه القفا والغرة فتارة نطحه واخرى نرمحه وكرة بخرحه ومرة بخدحه فنسلبه الهجوع ونمنعه الرجوع فيشتد عليه المضايق ويستد عليه الطرق والطرايق غير ان القصد منكم يا احرار ويا نمور القفار ونسور الفقار ان تحتفظوا بضبط الاسوار ولا تغفلوا عنها اناء الليل واطراف النهار فانى ما دمت بعيدا عنكم لا يدنو احد منهم منكم وان حاصركم ففيكم كفاية واستودعكم الله وهو نعم الوقاية وغاية ما تكونون فى هذه البؤسا مقدار ما واعد الله تعالى نبيه موسى ولله هذا الرأى ما كان امتنه ووجه هذا القصد ما كان احسنه ثم انه خرج ذاهبا وقصد جانبا

ذكر دقيقة تصدت فجلت ونفضت ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت

فبينا هو عند باب المدينة جايز نظرته سعالاة من مشومات العجايز فبدرته بالملام وآذته بالكلام ونادت بلسان الاعجام انظروا الى هذا تركش بحرام دعى اموالنا وتحكم فى دمائنا وفارقنا احوج ما نحن اليه فى مخاليب اعدائنا جعل الله حمل السلاح عليه حراما ولا انجح له قصدا ولا اسعف مراما فقدحت زنادة وجرحت فؤاده وتأججت نيران غضبه واحرق الكداس تدبره شواظ لهبه وثارت نفسه الأبية واخذته حمية الجاهلية حتى ذهب لب ذلك الرجل الحازم وغلط فامسى وهو لغلطه ملاما دنم فثنى عنان عزمه وكف اسنان ازمه واقسم لا يبرح عن

فتصفع اكنافه

واولادها

المقاومه، ولا يرجع فى مجلس قضآء الحرب عن ملازمة المصادمه،
ويجعل ذلك دابه صباحا وعشآ الى ان يعطى الله النصر لمن يشآء ثم قابل
ورتب اطلابه وقاتل، وكان فى عسكر شاه منصور، امير خراسانى
مباطن لتيمور يدعى محمد بن زين الدين من الفجرة المعتدين وجل العساكر كان
معه، فساد الى تيمور واكثر الجند النآس تبعه، فلم يبق منهم الآ دون
الالف، فما فر واحد منهم من الزحف، فثبت شاه منصور بعد ان تضعضع
منه الامور، فلم تزل تيران الهيجآء تنتطح، وزناد الحرب توری اذ تقدح
وشوارد السهام تتطاير، وثمار الرؤس بمناجل السيوف تقطف فتتناثر
حتى اقبل جيش الليل، وشمر للهزيمة جند النهار الذليل، فتراجع كل
منهم الى وكره، واعمل شاه منصور فكره فى مكره، فعهد الى فرس جفول
من بين الخيول، واتى بها عسكر العدو، وقد اخذ الليل فى الهدو،
ثم ربط فى ذنبها قدرا من النحاس ملفوفة فى قطعة بالاس وشدها
شدة احكم وثاقها، وصوب رأسها نحو العدو وساقها، فجالت الفرس
فى العسكر واضطربت، واختبطت الناس واحتربت، وانسابت جداول
السيوف فى بطون تلك البحار وانسربت، حتى كان الساعة اقتربت
او السمآء عليهم بالشهب انقلبت، او الارض بهم اهتزت وربت، وشاه
منصور واقف حواليهم كالبادئ المطل عليهم يقتل من شد ويبيد

ابطاله

ذكر ما نقل عن شاه منصور وما انتهى من عسكر تيمور من الحرب والقتال من وقت صبح الليل الى صبح النهار

من فذ وصار والحما قيل شعر

الليل داج والكباش تنتطح، نطاح جد ما اراها تصطلح
فقائم وقاعد ومنبطح، فمن نجا برأسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فنى منهم نحو من عشرة الاف نفس
فلما قوض الليل خيامه، ورفع النهار اعلامه، علموا البلآء كيف دهاهم
وليت الليل لم يكن فارق ذراهم، ثم ان شاه منصور اصبح وقد قل
ناصره، وفل مؤازره، فانتخب من جماعته فئة نحوا من خمسمائة فجعل
يصول بهم صولة الاسد، ويخوض بهم غمار الموت فلا يلوى امامهم

احد على احد، ويميل يمنة ويسرة وينتسب ويصيح اذا شاء منصور
الصابر المحتسب، فتراهم بين يديه حمر مستنفرة فرت من قسورة،
وقصد مكانا فيه تيمور فهرب منه ودخل بين النسآء واختفى بينهن
وغطى بكسآء فبادرنه وقلن نحن حرم واشرن الى طائفة من العسكر
المضطرم، وقلن هناك بغيتك وبين اولئك طلبتك فالوى
راجعا وتركهن محادعا، وقصد حيث اشرن اليه وقد احاطت
جموع العساكر وحلقت عليه قلت بديها

وما حزا اعناق الرجال سوى النسا، واى بلاء قالهن به ابلا
وكم نار شر احرقت كبد الورى، ولم يك الا مكرهن لها اصلا

وكان على فرس فاقت خصالا يضوب فيهم بسيفين يمينا وشمالا وفرسه
السبوح كانت تقاتل معه وتصدم وتكدم من يقربها فى تلك المعمعه
وكانه ينشد معنى ما قلته فى مرآة الادب شعر

يد الله قوتنى ففلت يداهم، وهذى يدى فيهم بسيفين تضرب
فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعال، افترقت امامه يمينا وشمالا
وان كانوا كلهم من اهل الشمال ولكن شعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده

حتى انهكته الحرب وكلت يداه من الطعن والضرب وجندلت
ابطاله وقتلت خيله ورجاله وتغيرت من كل جهة احواله وسدت
طرايقه وشدت مضايقه وخرست شقاشقه وضرست فيالقه
وخمدت بوارقه وهمدت بيارقه وحص جناحه وقص نجاحه وخف
راحه واثقله جراحه وسكنت همهمته وسكت غمغمته فانفرد
عن اصحابه وقد آده الجراح واودى به ولم يبق معه فى ذلك
البحر سوى نفرين احدهما يدعى توكل والآخر مهتر فخر واخذه
الدهش وغلب عليه العطش ونشف الرهج والوهج كبده وطلب
شربة ماء فما وجده ولو وجد ما يبل بريقه لما قدر احد ان يقطع

عليه طريقه فرأى الأولى طرح نفسه بين القتلى فاطرح بينهم
نفسه ورمى اهبته وسيبه فرسه وقتل توكل وبخا فخر الدين
وبه من الجراح نحو من سبعين وعمر بعد ذلك حتى بلغ تسعين
وكان من الابطال والمصارعين فتراجع جيش تيمور وتضامه
وانتقش بعد ان بلغ موارد الحمام وذلك بعد ان قتل منهم مالا
يعد وافنى ليلا ونهارا مالا يحصر ولا يحد وطغق تيمور فى
القلق والضجر والارق لفقد شاه منصور وعدم الوقوف
على حال ذلك الاسد الهصور اهو فى الاحياء فيخشى فكره ام انتقل
الى دار الفناء فيومن مكره فامر بتفتيش الجرحى والتنقيب عنه
بين القتلى والطرحى الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب ويعمد
حسام الضياء من الظلام فى قراب فعند ماضم دينار البيضا تحت
ذيل ملاءة الضيا ومد نساج القدرة فى جو الفضاء سداه والليل اذا
سجى ونثر على سطح هذا الاديم الميناء دراهم كواكبه الزهراء واتسع
الظلام واتسق عثر واحد من الجفتاى على شاه منصور وبه ادنى
رمق فتشبث شاه منصور بذلك الانسان بل الشيطان الخوان
وناداه الامان الامان انا شاه منصور فاكتم عنى هذه الامور وخذ
منى هذه الجواهر وخافت فى قضيتى ولا تجاهر ولا رأيتك ولا
رأيتنى ولا عرفتك ولا عرفتنى وان اخفيت مكانى ونقلتنى الى
اخدانى واعوانى كنت كمن اعتقنى بعد ما اشترانى ومن بعد ما امانى
احيانى وكنت ترى مكافاتى وتغنم مصافاتى ثم اخرج لك من الجواهر
ما يكفيه وذويه الى اليوم الآخر فكان فى قصته واستكشاف غصته
كالمستغيث بعمرو عند كربته فما عم ان وثب على شاه منصور وحز
رأسه واتى به الى تيمور وحكى له ما جرى بتخبير المشترى فما صدقه
ولا فى كلامه استوثقه بل اخرج من قبايله وشعوبه من عرفه به
فعرفوه بشامة كانت فى وجهه علامة فلما علم انه شاه منصور بعينه

وجزوه

ومتز له صدق ذلك الرجل من مينه تحنق وتحيف وتحرق لقتل
شاه منصور وتاسف ثم سال ذلك الرجل عن محتده وعن والده
وولده وعن قبيلته وذويه ومخدومه ومربيه فلما استوضح اخباره
وعلم بخباره وجباره ارسل مرسومه الى مستولى تلك الدارة فقتل
اهله واولاده واعوانه وانصاره وآله واحفاده واختانه واصهاره
وقتله شر قتلة ومحا آثاره وصادر مخدومه وقتله وخرب ديارة
ثم ارسل الى اطراف مما لكه مطالعات يذكر فيها صورة تلك
المصافات والمواقعات وما شوهد من وثبات شاه منصور
ثباته وغشيانه غمرات الحرب وضرباته وما حصل فى واقعة القتال
على الحديد فى صف مرسلاته وكيف زلزلت العاديات وولولت
النسا فى فتح بخراته بعبارات هايلة وكلمات فى ميادين الفصاحة
والبلاغة جايلة وهذه المطالعات تقرا فى المحافل والمشاهد
وتتلى فى المصادر والموارد ويستمد منها ذوو الآداب ويغنى
بحفظها الكتاب والصبيان فى الكتاب ذكر ما وقع من الامور
والشرور بعد واقعة شاه منصور فاستولى تيمور على ممالك فارس
وارض عراق العجم وراسل من داناه من اقاربه شاه شجاع وملوك
الايم واستمال الخواطر وآمن البادى والحاضر ورحل فجاء
مدينة شيراز وضبط احوالها وقرر فيها خيلها ورجالها ونادى
بالامان للقاصى والدان فلبت دعوته ملوك البلاد ولم يسعهم
معه الا الطاعة والانقياد فوصل اليه سلطان احمد من كرمان
وشاه يحيى من يزد وعصى سلطان ابو اسحق فى سيرجان فانهزم وخلع
على من اطاع وانقاد ولم يتعرض لمن اظهر العناد ولم يشق بينه وبين
مخالفيه العصا واكرم من اطاع ليوقع بذلك من عصى وطرح على
شيراز وساير البلدان مآل الامان واقام فى كل بلدة من جهته نايبا وتوجه
الى اصفهان واحسن الى زين العابدين الذى هو وصيه من ابيه

رايت اخبار بعض المعتنين انه فى شوال
سنة خمس وتسعين ورد رسول صاحب
بساط ابو فون صاحب مصر بالاعلام ان
تيمور قتل شاه منصور وانه تولى على شيراز
وسائر البلاد وارسل رايته الى حاكم
بغداد وامره بالاطاعة وهو ومن معه
من الجماعة وارسل اليه خلعة وان يضرب
السكة باسمه ويخطب بذلك فى يوم جمعة
فلبس الخلعة وامتثل كل ما به امر
وانه علق راس شاه منصور بعد ما طاف به
على السور وما اظن لذلك صحة

ووظف له من الجوامك والادرارات ما يكفيه وذويه ذكر
ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان فلما وصل الى اصفهان
وكانت من اكبر البلدان مملوة بالافاضل محشوة بالاماثل وبها
شخص من علماء الاسلام والسادة الاعلام قد بلغ في العلم النهاية
وفي العمل والاجتهاد النهاية افعاله مبرورة وكراماته مشهورة
ومآثره مذكورة ومحاسنه على جبهة الايام مسطورة وهو معتقد
المسلمين وكاسمه امام الدين وكان اهل اصفهان يذكرون له تيمور
ويحذرون من شره اى محذور فيقول لهم مادمت فيكم حيا لا يضركم
كيده شيئا فان وافاني الاجل فكونوا من اذاه على وجل فاتفق انه في
وصول تيمور توفي الشيخ المذكور فاصبحت اصبهان ظلمات بعضها
فوق بعض بعد ان كانت نورا على نور فتضاعفت حسرتهم وترادفت
كسرتهم فوقعوا في الحيرة وصاروا كابي هريرة رضي الله عنه حيث يقول
للناس هم ولي في اليوم همان هم الجراب وهم الشيخ عثمان
فقد الجراب وقتل الشيخ عثمان فخرجوا اليه وصالحوه على جمل من الاموال
فارسل فيهم لاستخلاصها الرجال فوزعوها على الجهات وفرضوها
على الحارات والمحلات وتفرق فيهم المستخلصون فكانوا يعينون
فيهم ويعينون واستطالوا عليهم فجعلوهم كالخدم وتوصلوا الى ان
مدوا ايديهم الى الحرم فانتكوا منهم اى نكاية فرفع اهل اصبهان الى
رئيسهم الشكايه وكثرت منهم الشكية وهم قوم لهم حمية وقالوا الموت
على هذه الحالة خير من الحيوة مع هذه الاستطالة فقال لهم رئيسهم
اذا اقبل المساء فاني اضرب الطبل لكن لا تحت كساء فاذا سمعتم
الطبل قد دق فالقول قد حق فليقبض كل منكم على نزيله وليحتكم
فيه بسمين رأيه وهزيله فاتفقوا على هذا الرأى المعكوس والامر
المنكوس في الطالع المنحوس وقصروا مدى انظارهم السقيمه عن
قصارى هذا الامر الوخيمه ولما تعرى العنان من ثوب نوره وابدل

الجو قاقمه بسموره ومضى هزيع من الليل ضرب الرئيس الطبل
فحل بالمستخلصين الويل فقتلوهم وكانوا نحو من ستة الاف
واصبحوا وقد غرسوا في دوح العصيان اغصان الخلاف فاثمر ذلك
لهم الحور بعد الكور وبان لهم البوار فاصبحوا بورا بهذا البور
ولما سل الفجر حسامه وحسر النهار لثامه بلغ تيمور ذلك الصنع
الميشوم فنفخ الشيطان منه في الخيشوم فارتحل من فوره واستل
عضب غضبه ونثل جعبة جوره وتوجه نحو المدينة مزمجرا
مصراع متكالبا مستأسدا متمترا فوصل اليها واخنى عليها وامر
بالدماء ان تسفك وبالحرمات ان تهتك وبالارواح ان تسلب و
بالاموال ان تنهب وبالعمران ان تخرب وبالزروع ان تحرق
وبالضروع ان تخرق وبالاطفال ان تطرح وبالاجساد ان تجرح
وبالاعراض ان تثلم وبالذمم ان تسلم ولا تسلم وان يطوى بساط
الرحمة وينشر مسح النقمة فلا يرحم كبير لكبره ولا صغير لصغره
ولا يوقر عالم لعلمه ولا اديب لفضله وحلمه ولا شريف لنسبه
ولا منيف لحسبه ولا غريب لغربته ولا قريب لقرابته وقربه
ولا مسلم لاسلامه ولا ذمي لذمامه ولا ضعيف لضعفه ولا جاهل
لركاكة رأيه وسخفه وبالجملة فلا يبقى على احد ممن هو داخل البلد
فاما اهل المدينة فعلموا انه ليس للجدال مجال فضلا عن ضراب
وقتال وان قبول الاعتذار محال وانه ليس ينجيهم من ريب المنون
مال ولا بنون ولا يقبل منهم في تلك الساعة عدل ولا تنفعهم شفاعة
فتحصنوا بحصون الاصطبار وتدرعوا دروع الاعتبار وتلقوا
سهام القضاء من حنايا المنايا بمجن تسليم المراد واستقبلوا ضربات
القدر من سيوف الحتوف باعناق التفويض والانقياد فاطلق
في ميادين رقابهم عنان الحسام البتار وجعل مقابرهم بطون
الذياب والضباع وحواصل الاطيار ولا زالت عواصف الفناء

تحتهم من انجماد الوجود حتى حصروا عدد القتلى فكان نحو ست
مرات من امة يونس بن متى فاستغاث بعض البصراء بواحد من
رؤس الامراء وقال البقية في البقية والرعاية في الرعية فقال
ذلك الامير للسائل الفقير اجمعوا بعض الاطفال عند بعض القلاع
فلعل ان تلين منه عند رؤيتهم شيئا ما عسى ولعل فامتثلوا ما به
امر ووضعوا شرذمة من الاطفال منه على الممر ثم ركب ذلك
الامير مع تيمور واخذ به على تلك الاطفال ومر ثم قال له انظر
يا مخدوم نظر الراحم الى المرحوم فقال لهؤلاء الطرحى الاشقياء
فقال اطفال معصومون وامة مرحومون محرومون استحق القتل
بوالديهم وحل غضب مولانا الامير على اكابرهم وذويهم وهؤلاء يستر
حمونك بعواطفك الملوكية وصغرهم ويستشفعون اليك بذلهم
وضعفهم ويتمهم وفقرهم وكسرهم ان ترحم ذلهم وتبقي على من بقي لهم
فلم يحر جوابا ولا ابدى خطابا ثم مال بعنان فرسه عليهم ولم يظهر
انه بصر بهم او نظر اليهم ومالت معه تلك الجنود والعساكر حتى اتى
على الاول منهم والاخر فجعلهم طعمة للسنابك ودقة تحت اقدام
اولئك ثم جمع الاموال واوسق الاحمال ومال راجعا الى سمرقند
بما نال وكم بين هذه الامور والقضايا من دواه وبلايا واخبار
وحكايات وتجهيز سرايا وتولية وعزل وابراز هزل في صورة جد
وجد في صورة هزل وبناء وهدم وصد ورد وتعمير غامر وتخريب
عامر وتهان وتعاز وانحراف وتواز ومباحثات مع علماء ومناظرات
مع كبراء ودفع وضعاء ووضع شرفاء وتمهيد قواعد وتقريب اباعد
وتبعيد ادان وبروز مراسيم الى كل قاص ودان الى غير ذلك
مما لا يكاد يحصر ولا يضبط بديوان ولا دفتر ذكر ضبطه
طرف المغل والجغتا وما صدر منه في تلك الاماكن وانى ولما وصل الى
سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير مع سيف الدين الامير

الى اقصى ما تبلغ اليه مملكته وتنفذ فيه كلمته وهو وراء سيحون
شرقا سوا آخذا في نحو ممالك الموغول والجتا والخطا نحوا من مسيرة
شهر عن ممالك ماوراء النهر فمهدوا هنالك الوهد واليفاع وبنوا
فيه جملة من القلاع واقصاها بلد يسمى اشبارة فبنوا فيه حصنا
حصينا معدا للنهب والغارة وخطب من بنات الملوك ملكة اخرى
فكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى والاخرى الملكة الصغرى
فاجابه ملكهم الى ما سأل واناب الى ما طلبه منه بالاطاعة وبذل
وارتجت منه اقاليم الموغول والخطا وذلك لما بلغهم عافتك
في كل طرف وبتك من بلاد الاسلام وسطا وكان السفير في ذلك
الله داد اخا سيف الدين المذكور وهو الذي استخلص اموال
دمشق ونزل في دار ابن مشكور فامر تيمور ببناء مدينة على طرف
سيحون من ذلك الجانب وعقد اليها جسرا على متن النهر
بالمراسي والمراكب وسماها شاه رخية وهي في اماكن رخية
وسبب تسميته ابنه شاه رخ بهذا الاسم ووسم هذه المدينة
بهذا الوسم انه كان على عادته مشغولا بلعب الشطرنج مع بعض
حاشيته وقد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل وكانت
احدى حظاياه معه حاملا فرمى على خصمه شهرخا فذبل خصمه
لذلك وارتخى وبينما خصمه قد وقع في الاين واذا بمبشرين جاءا
مخبرين احدهما ببشره بولد والاخر ببشره بتمام عمارة البلد فسماها
بهذين الاسمين ووسمها بهذين الوسمين ذكر عود ذلك الافواق
الى ممالك فارس وخراسان وفتكه بملوك عراق العجم واستصفائه
تلك الولايات والامر ثم عاد بعد تمهيد البلاد وتوطيد قواعد
ممالك تركستان الى بلاد خراسان فاستقبله الملوك والكبراء
والسلاطين والوزراء وسارعوا اليه من كل جانب ما بين راجل
وراكب ملبين دعوته حذرين سطوته مغتنمين خدمته

وسلموه الانجاد والاغوار والاطواد والقفار والقرى وسكانها
والذرى وقطانها والقلاع العاصية وربطوا بذيل امره كل
ناصيه ممتثلى اوامره مجتنبى زواجره عاقدى نطاق عبوديته
بانامل الاخلاص تابعى رايد فرضائه على نجايب الولا والاختصاص
فمنهم جميع من مر ذكره من المطيعين ومن كانوا فى الشواهق ممتنعين
منيعين ومن جملتهم اسكندر الچلابى احد ملوك مازندران وارشيوند
الفارسكوهى ذاك الاسد الغضبان صاحب الجبال والشوامخ العاصية
والقلال وابرهيم القمى صاحب النجدة والمعدة لكل شدة واطاعه السلطان
ابو اسحق من سيرجان فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر نفرا
مابين سلطان وابن سلطان وابن اخى سلطان كلهم فى مماليكه ملك
مطاع مثل سلطان احمد اخى شاه شجاع وشاه يحيى ابن اخى شاه شجاع
سوى ملوك مازندران وسوى ارشيوند وابرهيم وملوك خراسان
ولما سلك السلطان ابو اسحق نمط اقاربه فى الطاعة وعمل على ذلك
الطرز خلف ببلده سيرجان نايبا له يقال له كودرز فاتفق فى
بعض الايام انه اجتمع عند تيمور هؤلاء الملوك العظام فكانوا عنده
فى خيمة له وهو بينهم وحده فاشار واحد منهم وقد امكنت الفرصة
ان يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصة فاجابه بعض وامتنع بعض
وقال لمن رضى بذلك من لم يرض ان لم تكفوا وعن هذا المقال تقفوا
اخبرته بهذه المقالة واطلعته على هذه الحالة فامتنعوا عن هذا الرأى
المتين والفكر الرصين لاختلافهم ولا يزالون مختلفين وكانه طالع
احوالهم او تفرس اقوالهم فاسترها فى نفسه ولم يبدها لهم ثم تمكث
اياما وجلس للناس جلوسا عاما وقد لبس ثيابا حمرا ودعاها ولاء
الملوك السبعة عشر طرا ثم امر فقتلوا جميعا فى ساعة واحدة صبرا
ثم لما ابادهم ضبط بلادهم وجمع طريفهم وتلادهم وقتل اولادهم
واحفادهم واقام فى مماليكهم اولاده وامرأه واحفاده واسباطه

واجناده

واجناده وسبب قتله هؤلاء الملوك وفتكه وتمزيقه ستر حيوتهم و
هتكه ان بلاد العجم كانت لا تخلو عن الملوك الاكابر ومن ورث
الملك والسلطنة كابرا عن كابر وهى مماليك واسعة اطرافها شاسعة
مدنها وافرة وقراها متكاثرة واوتادها راسخة وعرانين
اطوادها شامخة ومخدرات قلاعها ناشزة ومضمرات مكامنها
ومعاقلها غير بارزة وكواسر اكاسرها كاسرة ونواشز جوارحها
للظهور ناشزة ونمور دغارها طامرة وببور شطارها طافرة
وثعابين ابطالها فى جداول الجدال ظاهرة وتماسيح اقيالها فى
بحار الحراب قاهرة فنظر تيمور بعين بصيرته فى ذيله تأمله و
مرآة فكرته فرأى انه لا يزكو له ورد عارضها من شوكة عارض
ولا يصفو ورد ثغر فايضها من شارب معارض ولا يثبت له فى
بنيان مماليكها اساس تحكم ولا ينبت له فى بستان مسالكها غراس
تنعم وكان قصده ابقاء مبانيها واجراء اموره على ما اقتضته الدولة
الجنكيزخانية فيها فلم يمكنه عمل فلاحة سلطنة فى بسيط ارضها
وسوق انهار اوامره فى جوانب مماليكها طولها وعرضها الا بقلع علائق
علايق انساب اكابرها وكسر قراحى اخشاب احساب اكاسرها فسعى
فى استيصال فرعهم واصلهم واجتهد فى اهلاك حرثهم ونسلهم وجعل
لا يسمع لهم ببزة نطفة فى ارض رحم الا قلعها ولا يشم منهم رايحة
زهرة فى كمين الا قطعها وقيل انه كان فى مجلس فيه اسكندر
الچلابى وكانه كان مجلس نشاط ومقام انشراح وانبساط فسأل
اسكندر فى ذلك المحضر وقال ان حكم القضاء بافساد بنيتى
من تراه يتعرض لاولادى وذريتى فاجابه وهو فى حالة الشطح
وقد خلت عليه دماغه ووضع سراج العقل منها فوق السطح اول
من ينازع اولادك المشايم انا وارشيوند وابرهيم فان نجا من
مخاليبى منهم احد فانه لا يخلص من انياب ابرهيم الاسد وان افلت

احد منهم من ذلك البند فانه لا مخرج له من شرك ارشيوند وكان
ارشيوند وابرهيم غايبين فلم يتعرض تيمور لاسكندر بضرر و
شين واراد بالابقاء عليه وقوعه مع صاحبيه فلما افاق اسكندر
ندم على ما قال فقال لا مفر من قضاء الله ولا مجال ولا عتب فى ذلك على
انطقنى بذلك الله الذى انطق كل شئ ثم ان اسكندر وابرهيم هربا
فقبض على ارشيوند والقاه فى النازعات فصار نبا وهتك حريم عمره
اذ جرعه اوّل الوعد فاقرأه آخر نوح وسبأ ثم ان اسكندر لم يرَ له اثر
ولا سمع عنه الى يومنا هذا خبر وكان كبير الهامة طويل القامة اذا
مشى بين الناس كان علامة حتى قيل ان يدى ذلك القصر المشيد
كانتا نخوا من ثلاثة اذرع ونصف بالحديد وابرهيم القى اسمر على
انكاشه ثم مات على فراشه فكان ذلك سبب ايراده الملوك وابنائهم
المهالك فصل ثم ان تيمور عصى عليه كودرز فى قلعة سيرجان
وقال ان مخدومى شاه منصور موجود الى الآن وكان هذا الكلام
فاشيا فى الخاص والعام فكان كودرز يتوقع ظهوره ويرجى على
ذلك اعوامه وشهوره فحاصر تيمور قلعة سيرجان فلم يلج له عليها
سلطان فوجه اليها عساكر شيراز ويزد وابرقوه وكرمان واضاف
اليهم عساكر سجستان وذلك بعد ان شملها العمران وكان نايبها
يدعى شاه ابا الفتح فحاصروها نحوا من عشر سنين وهم ما بين ظاعنين
عنها وعليها مقيمين وهى بكر لا تفتح لطالبها بابا وعانس لا يملك خاطبها
منها خطابا وكان تيمور ولى كرمان شخصا يدعى ايدكو من اخوان
السلطان فكان هو المشار اليه وفى العسكر هو المعوّل عليه ولما
تحقق كودرز من شاه منصور وفاته وخذله الانصار واعجزه
الانتصار وفاته وكان ابو الفتح يراسله كل ساعة ويتكفل له عند
تيمور بالشفاعة فاذعن للصلح واستمهل فى ذلك ابا الفتح ونزل
مترامیا عليهم وسلم الحصن اليهم فحنق ايدكو عليه لكون عقد الصلح

لم يحل على يديه فقتله من ساعته ولم يلتفت الى ابى الفتح وشفاعته
فاخبر تيمور بذلك وكان فى بعض الممالك فغضب عليه غضبا شديدا
ولكن فات التدارك فصل مما يحكى عن ايدكو هذا متولى كرمان
انه كان بها للسلطان احمد اخى شاه شجاع ولدان صغيران احدهما
يدعى سلطان مهدى والآخر سليمان خان وكان سليمان خان فى غاية
الحسن واللطافة حاويا معانى الملاحة والظرافة معتى بالكمال
مربى بالدلال الفاظه رايقه والحاظه راشقه والارواح اليه
شايقه وارباب الالباب له عاشقه حركاته فى القلوب ساكنة
ولفتاته للخلق فاتنة كما قيل شعر

نسيم عبير فى غلالة ماء ... وتمثال نور فى اديم هواء

وعمره اذ ذاك ستة اعوام ولكن مفتتن به الخاص والعام فعزم
ايدكو على اتلافهما والحاقهما باسلافهما ولم يكتف من تلك
الدرّة بانها صارت يتيمة ولا رقّ لامّه التى خربت ديارها لكونها
مخدّرة كريمة ولم يكن له مدافع ولا عنهما ممانع فطلب من الجلادين
من يعتمد فى ذلك عليه فلم تطب نفس احد ان تمتدّ يده بمكروه اليه
ومضى على ذلك مدّة والخلق بسبب هذه القضية فى ضيق وشدّة
حتى وجدوا عبدا اسود كانه للبلاء مرصد وكان الشياطين له
عبده والعفاريت جنود وحفده وثوب ليل القهر من سدا آسوده
انتسج واصل الشجرة التى طلعها كانه رؤس الشياطين من حبّة فؤاده
نبت فنبج يستلذّ عند صداصوته خوار الثيران ويستحسن عند
خيال صورته مشاهدة الغيلان قلت شعر

زبانية النيران تكره وجهه ... وحين تراه تستعيذ جهنّم

قد نزع الله من قلبه المرحمة وجبل فؤاده على المأثمة فارغبوه
فى ان يختلهما ويقتلهما وكانت عين سليمان خان رمدا وقد سكن
فى حجرة دايته وتهدّى فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته واغتاله

وهو راقد فى حجر دايته وضربه فى جنبه بخنجر فنفذه من الجنب الآخر
فارتفع الضجيج والولوله ووقع الهجيج فى الناس والزلزله وعم المأتم
امه الواهة واهلها وطفق الناس يبكون عليها ولها والظاهر ان هذه
الامور كانت باشارة تيمور وعسكره ذلك الظلوم الكفار ما كان
يخلو عن مثل هذه الشرور والاشرار ولو كان فاعله من غيرهم لكن
لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم حكاية لما ارتحل عن الشام
بجنوده الغزيره كان مع واحد منهم منها اسيره كشفت ايدى النوائب
قناع عصمتها ولطمتها وعلى يدها بنت لها رضيع فغطتها فلما قربوا
الى حماه جعلت البنت تأنّ انين الاواه ولما بها من المضض المنكى
تنكد وتبكى ومعهم جمّال من بغداد منطو على الفساد محتو على النكاد
مجبول على الغلاظة والقساوة معمول من الغظاظة والغباوة مملو
من البذا متضلع من الاذى لم يخلق الله تعالى فى قلبه من الرحمة
شيأ فينتزع ولم يودع لسانه لفظا من الخير فيستمع فاخذ تلك
البنت من امها فداد فى وهمها انه انما اخذها ليخفف من همها وكانت
راكبة على جمل ثم انقطع ساعة عن الثقل ثم وصل ويده خالية
وقهقهته عاليه فاستكشفت امها حالها فقال مالى ومالها فهوى
عقلها وهى فطرحت نفسها ونحت نحوها فاخذتها وانقلبت واتت
بها وركبت فتنا ولها منها مرة اخرى على ان لا يسومها ضراء ثم غاب
عنها ورجع وقد صنع كما صنع فالقت نفسها ثانيه وعدت اليها ثانية
وجاءت وهى عانيه وقطوف جفونها دانيه فركبت واخذتها ووضعتها
على كبدها التى منها فلذتها فاخذها منها مرة ثالثه بنية فى الفساد
عايثه وحلف لها يمينا حانثه انه بحملها ينوء ولا يمسها بسوء فحملها
ساعه ثم تخلف عن الجماعه ورمى بها فى بعض البطاح وفعل بها
ما فعله اليهودى بصاحبة الاوضاح وجاء ويده الدامغة بالاثم
ملأى ومن البنت فارغه وقد سلبها سلبها وجلب الى امها جلبها

فاطرحت

فاطرحت نفسها باكيه وراءت الرجعى جاريه فقال لها لا تبقى
كفيتك همها فارجعى واركبى وانت وناحت ووقعت فى العناء
وان كانت استراحت والناس على دين ملوكهم سالكون طرايق
سلوكهم سبب دخوله الى عراق العرب وان كان ايذاؤه لا يحتاج الى سبب
ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم ودانت له الملوك والامم
وانتهت مراسيمه الى حدود عراق العرب غضب السلطان احمد
صاحب بغداد واضطرب فجهز جيشا عرمرما وجعل رئيسهم اميرا
مقداما مقدما يدعى سنتاى فتوجه الجيش نحو الجغتاى فبلغ
تيمور خبر الجيش وخبره فسر بذلك قلبه وانشرح صدره
فجعل ذلك سببا لمرها وشته وذريعة لمحاربة ملك العراق ومنا
وشته وانفذ جيشا كرارا بل بحرا زخارا فتلاقيا بصدق نية
على مدينة سلطانيه وصدق كل منهما صاحبه الضراب وسدد
لنحره السنة الاسنة وسهام الحراب واستمد بحر الجغتاى من
افواج امواجه واصطدم فانكسر فى قساطله قنيات جند سنتاى
فانهزم ووصل فلهم الى بغداد وتشتتوا فى البلاد فالبس
سلطان احمد لسنتاى المقنعة وشهره فى بغداد بعد ان ضربه
واوجعه وكف تيمور عن عناده وقفل متوجها الى بلاده
سكون ذلك الزعزع الثاير وهدوء ذلك البحر المايد لتطمئن منه
الاطراف فيحطمها كما يريد ويديرها الدوايد ثم ان تيمور خرج من
سمرقند الى ضواحيها وجعل يتنقل فى جوانبها ونواحيها وبنى
حواليها قصبات سماهن باسماء كبار المدن والامهات وقد صفت
له سمرقند وولاياتها وممالك ماوراء النهر وجهاتها وتركستان
وما فيها من البلاد ونايبها من جهته يدعى خدايداد وخوارزم
التى بها فتك وسطا وكاشغر وهى فى بحر ممالك الخطا وبلخشان
وهى ممالك على حده عن ممالك سمرقند متباعده واقاليم خراسان

فبلت وصاحت صح

وغالب ممالك مازندران ورستمدار وزاولستان وطالقان
وطبرستان والرى وغزنة واستراباد وسلطانية وقزوين وسائر
تلك البلاد وجبال الغور المنيعة وعراق العجم وفارس الشامخة الرفيعة
وكل ذلك من غير منازع ولا مجاذب ولا ممانع وله فى كل مملكة من
هذه الممالك ولد او ولد ولد او نائب معتمد انموذج مما كان يفود
ذلك الظلوم الكفور من عساكره فى بحور ويغوص على امور ثم يفود
بشرور ومن جملة ذلك غوصه من ماوراء النهر وخروجه من بلاد اللور
ثم انه مع اتساع مملكته وانتشار هيبته وصولته وشيوع اراجيفه
فى الاقطار وبلوغ تخاويفه تجاويف الاقاليم والامصار وتقل انتقاله
وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله كان يجرى فى جسد العالم
مجرى الشيطان من ابن آدم ويدب فى البلاد دبيب السم فى الاجساد
قلت شعر يصوب يمنة ويصيب يسره ٭ وينوى جبهة والقصد نقره
بينا يكون له فى المشارق بارق فيالق اذ لمع له فى الغرب بوارق
بوابق وبينما نغمات طبوله وضربات اعواده تقرع فى حصار العراق
واصفهان وشيراز واذا برنات اوتاره وبوقات بوابقه تسمع فى
مخالف الروم ومقام الرها وتى وركب الحجاز فمن ذلك انه كان مكث
فى سمرقند مشغولا بانشآء البساتين وعمارة القصور وقد امنت
منه البلاد واطمأنت الثغور فلما انتهت اموره وبلغ الكمال قصوره
امر بجمع جنده الى سمرقند ثم امرهم ان يصنعوا لهم قلانس ابدعها
وعلى صورة من التركيب والتضريب اخترعها فيلبسونها ويسيرون
ولما بين الى اين يصيرون ليكون ذلك لهم شعارا وقد كان ارصده
فى كل جهة من ممالكه جشارا ثم رحل عن سمرقند واشاع انه قاصد
خجند وبلاد الترك وجند ثم انه اندمس فى دردور عسكره وانغمس
كانه فى لجة بحر انغمس ولم يشعر احد اين عطف ولا الى قصد انخطف
ولا زال فى تأويب واسآد وجوب بلاد بعد بلاد يسير سير الكواكب

ويجرى جرى المراكب ويطرح ما وقف وكل من نجايب الجنايب
حتى نبع من بلاد اللور ولم يكن لاحد به شعور وهى بلاد عامرة
خيرتها متكاثرة وفواكهها وافرة واسم قلعتها بروجرد وحاكمها
ملك عز الدين العباسى وهى وان كانت فى الحضيض لكن كانت
تسامى بمناعتها حصون الجبال الرواسى وهى مجاورة همذان
ومتاخمة عراق العرب كاذربيجان فاحاط بالقلعة وما حواليها
وحاصر ملكها المتولى عليها ولما كان صاحبها بلا عدد ولا عُدَد
ولا اهبة ولا مدد وكان فى صورة المتوكل المحتسب فاتاه
البلآء من حيث لا يحتسب لم يسعه الا طلب الامان والانقياد
له والاذعان فنزل اليه وسلم قياده فقبض عليه وضبط بلاده
ثم ارسله الى سمرقند وحبسه وضيق عليه نفسه ونفسه ثم بعد
ذلك بمدة خافه ورفع عنه ما نابه وصالحه على جمل من الخيل
والبغال وردّه الى بلاده واستنابه ولما استخلص ذلك الكفور
ولايات تلك الكفور واصل السير الى همذان فى اقرب زمان
فوصل اليها واهلها غافلون فجاها البأس بياتا او هم قائلون
فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى وكان عند الملوك مصطفى
ولديهم مرتضى فشفع فيهم فشفعه على ان يبذلوا مال الامان
ويشتروا باموالهم ما منّ عليهم به من الارواح والابدان
فامتثلوا امره وفعلوا ووزّعوا ذلك فجمعوه والى خزاينه نقلوه
فدعته نفسه الجانيه ان طوح عليهم المال مرة ثانيه فخرج اليه
ذلك الرجل الجليل ووقف فى مقام الشفاعة مقام البأس
الذليل فقبل شفاعته ووهبه جماعته ثم انه سدك بمكانه
وجثم حتى تلاحق به عسكره والتأم ابتداء تخريب ذلك الخرب
اذربيجان وممالك عراق العرب ولما بلغ السلطان احمد بن الشيخ
اويس ما فعله بغنم رعاياه جيرانه اللور وهمذان ذلك الاويس

علم انه لابد له من قصد مملكته ودياره لانه هو باداه بالسرو
طرح على شرار طايره شراره وان عسكره وان كان كالسيل العارم
فانه لامقاومة له بحره وتياره وانه اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى
ولا مقابلة لسحرة فرعون مع عصا موسى قلت شعر

السيل يقلع مايلقاه من شجر بين الجبال ومنه الصخر ينفطر
حتى يوافى عباب البحر تنظره قد اضمحل فلا يبقى له اثر

فاستعد للبلاء قبل نزوله وتاهب له قبل حلوله فتشمر للهزيمة
وعلم ان ايابه سالما نصف الغنيمة واقتصر من بسيط فقه المقاتلة
والمقابلة على الوجيز وصمم على الخروج من ممالك بغداد والعراق
وتبريز وقال لنفسه النجاء النجاء وجهز مايخاف عليه صحبة ابنه
السلطان طاهر الى قلعة البجا وارسل فى تيمور الاشعار والهجاء
فمن ذلك ماترجمته فقلت لئن كانت يدى فى الحرب شلاء
فرجلى فى الهزيمة غير عرجاء ثم قصد البلاد الشاميه وذلك فى سنة
خمس وتسعين وسبعمائة فى حيوة ملك الظاهر ابى سعيد برقوق رحمه الله تعالى
فوصل تيمور الى تبريز وذهب بها الذليل والعزيز ووجه الى
قلعة البجا العساكر لانها كانت معقل السلطان احمد وبها ولده
وزوجته والذخاير وتوجه هو الى بغداد ونهبها ولم يخربها ولكن
سلبها سلبها وكان الوالى بالبجا رجلا شديد البأس يدعى التون
عند السلطان احمد مأمون وله اليه ركون ومعه جماعة من
اهل النجده واولى البأس والشده نحو من ثلثمائة رجل فى العده
فكان ينزل بهم التون اذا اخذ الليل فى السكون ويشن الغارة
على تلك العساكر والمكان المسكون فوهن امر العسكر فابلغوا تيمور
هذا الخبر فامدهم بنحو اربعين الف مقاتل مشهور مع اربعة امراء
كبيرهم يدعى قتلغ تيمور فوصلوا الى القلعة ولم يكن اذ ذاك التون
فيها وكان قد خرج للغارة على من ضواحيها فبينا هو راجع واذا بالنقع

ساطع فلما اطلع طلع الخبر قال ابن المقفع فقيل كلا لا وزر فعلم انه
لا ملجا من الله الا اليه فثبت جاشه وحاشيته وتوكل عليه وقال
ان الرؤس فى مثل هذا المقام انما يكونون تحت الاعلام فاحطموا
نحو قلب هؤلاء اللئام فاما تبلغوا المرام او تموتوا على ظهر الخيل
وانتم كرام اذ لا ينجيكم من هذا الكرب سوى الطعن الصادق
والضرب قلت كريما مت والا مت لئيما فما والله بعد الموت موت
فتعاضدوا بهمة صادقه وعزيمة على حصول الخلاص من الله واثقه وقد احاطوهم احاطة الشبكة بالسمكه وصادوا فى وسطهم
كالمغزل فى الفلكه وقصدوا الراية وحاميها ومن يليها وذويها
فساعدهم ساعد سعد لحيان بنصرته وحل عزمهم القبض الداخل
وانكس عقليه فاسالوا على راياتهم ذات البياض من الدماء
حمره وفتحت لجماعتهم طريق الى عتبة النصره فلاح لهم فلاح
وجنح لهم نجاح فنجوا من الشرور وحصل لهم السرور بعد ان قتلوا
من العسكر اميرين احدهما قتلغ تيمور ولما وصل هذا الخبر اليه
اسودت الدنيا فى عينيه بل انقلب الكون والمكان عليه ثم نهض
اليها بنفسه وربض عليها بحرسه واحاط بجوانبها والقم الحرس
افواه مضاربها صفة قلعة البجا وهذه القلعة امنع من العقاب
وارفع من السحاب يناجى السماك سماكها ويباهى الاك استمساكها
كان الشمس فى شرفها ترس من الابريز على بعض شرفها وكان الثريا
فى انتصابها قنديل معلق على بابها لا يحوم طاير الوهم عليها فانى
يصل طايش السهم اليها ولا يتعلق بخدم خدمتها خلخال خيال
وافتكار فضلا ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساورة
سوار وكان التون قد تربى فى تراب ترابها واهل مكة اخبر بشعابها
فصار كلما سجى الليل الساجم وارصد لسراق الشياطين عيونه
الراجم هبط من تلك القلال وسرى سرى طيف الخيال

ودب دبيب السّحم فى اللّحم والماء فى العود والنار فى الفحم من دبّ
لم يتوهّمه الظّنون بعون من لا تراه العيون بحيث لا يشعر به
الحرس ولا يبصر به العسس ولا يزال يتلو عليهم ايات الاغفاء
وينفث بطلسمات الاستخفاء ويتقرّب ويترقّب حتى يلوح له فى
الحيّ مضرب فيقتل ويسلب وينهب ويهرب فيكرّ سالما ويفرّ
غانما فلم يزل ذلك دابهم ودابه حتى اعجز تيمور واصحابه فلم يرَ
تيمور اوفق من الارتحال لضيق المجال وعسر المنال فارتحل عنها
بعد ان رتّب عليها للحصار اليزك واستمرّ الحصار مدّة طويلة
والقضاء يقول له اصبر فانّها لن تعجزك قيل انّها مكثت فى الحصار
اثنى عشرة سنة وسبب اخذه لها انّ التون المذكور كان له
اخ بالفسق مشهور فحصل بينه وبين امّ السلطان طاهر خيانة
اوجبت عليهما ما يجب على العاهر فاطّلع على ذلك طاهر ابن السلطان
احمد فقبض عليهما وقتلهما سالكا فى ذلك الراى الاحمد وكان
اذ ذاك التون عن القلعة غايبا فدخرج منها وقصد للغارة جانبا
فلمّا رجع التون اغلقوا باب القلعة عليه ورموا باخيه من فوق
السور اليه واخبروه خبره وعجّره وبجّره فقال جزاكم الله احسن
الجزا وجعل حظّكم من الخيرات اوفر الاجزا لو كنت عالما فعله واحضرا
قتله لعاملته بما هو اهله وفعلت به ما يجب فعله ولحلّ به من
الزّمان دواهيه ولا ريتكم العبر فيه ولا شهرته فى خلق الله تعالى
وبريّته ونا ديت عليه هذا جزاء من يخون ولىّ نعمته ثم طلب
الدخول فقطعوه عن الوصول فقال امّا اخى فانّه جنى فذاق
ثمرة ما جنا واما انا فقلبى على الوفاء بعهدكم من الاذل والى
حين وفاه ولم ازل موالى وليكم ومعادى عدوّكم فان طردتمونى
فالى اين اذهب وان رددتم رغبتى فيكم ففى من ارغب فقالوا ربّما
ادركتك الحميّة ولحقتك العصبيّة فتذكّرت اخاك وتفكّرت

شدّتك

شدّتك بعد رخائك فنقمت وانتقمت وعوجلت بعد ما استقمت
وتكدّر منك ما صفا وظهر ما اختفى وناهيك قصّة الاخوين مع ذات

الصفا

قلت شعر

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه ولكنّه تبقى به عقدة الربط
فانشأ ايمانا واثقه انّ كلماته وعهوده صادقه فقالوا له الاطال فما جيت
مالك عندنا مقيل ولا مبيت فارجع من حيث جيت وهذا آخر العهد
منك غضبت ام رضيت فاخذ يذمّ دهره ويأكل يديه ندامة وحسرة
على انّه انفد عمره فى طاعة من لم يعرف قدره ثم دنا فقتلى وعبس
وتولّى وسيّب فرسه وماله وفرّق خيله ورجاله ولمّا لم يكن له ملجأ
سوى قلعة النجا وقد خرجت من يده والقت النار فى كبده ضرب
اخماسا لاسداس فيمن يقصده من النّاس ثم اورى زاية الزند ان
يقصد مدينة فرند وكانت تحت حكم تيمور وفيها اوامره تمور
فسالمها وقصد حاكمها لابسا لبدا وتاركا مالا وولدا ولما اتّصل
بحاكمها الخبر احاط به الجبن والخور فاضطرب واقشعرّ واضطرم
واعتكر واخذ الحذر ورام المفرّ فقيل انّه وحده من غير رجال
وعدّه فرجع عقله اليه ودخل التون عليه فاخذ فى التّفتيش عن
اموره ثم قطع راسه وارسله الى تيموره فتحرّق لذلك وانتكى
وتاسّف عليه وبكى وارسل الى قاتله فعزله ثم صادره وقتله
ثم انّ السلطان طاهر لمّا احدث هذا الحدث وتنجّس بهذه الخبايث
والخبث لم يمكنه الاقامة فادن بالرّحيل وامّ بجماعته قبلة التحويل
اذ نشن عنه مخدّرات القلعة فعجز عن احصارها وتحصينها وعنّ
عن افتضاض ابكارها وعونها وقلّ جيشه وفلّ فسلّ متاعه منها
وانسلّ فذلّ ليتيمور صعابها وفتح له من غير معالجة بابها فولّى
فيها من يثق به من الاعوان ووصّى به لعلّة المجاورة الشيخ ابرهيم
حاكم شروان ثم ثنى عنان الفساد الى صوب بغداد فهرّ السلطان

ذكر اخبار صاحب بغداد واسماء آبائه والاجداد وكيفية دخوله الى هذه البلاد وهو السلطان مغيث الدين احمد بن الشيخ اويس بن الشيخ حسن بن حسين بن البغان البكان صاحب بغداد وازربيجان وما يضاف الى ذلك من ولايات وممالك والبكان جده الاعلى ابن الغان الكبير المجيد شرف الدين سبط الغان ارغون بن ابغا بن هلاكو كان والده الشيخ اويس من اهل الديانة والكيس ملكا عادلا واما عاشيا عاقلا فاضلا مليحا منصورا انصارا مشكورا قليل الشر كثير البر صورته كبيرة حسنة وكانت دولته تسع عشرة سنة وكان محبا للفقرا معتقدا للعلما والكبرا وكان قد ابصر في منامه بموته موافاة حمامه صح

احمد كما ذكر الى الشام في فيئه وذلك في شوال سنه خمس وتسعين وسبعمائة فوصل اليها حادى عشريه يوم السبت فكبتها وما حواليها اى كبت ثم صدر هو وقبيله عن ولاية بغداد قاصدين ديار بكر وازربجان

ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر في بلاد ازربجان وديار بكر

فوصل الى ديار بكر واستخلصها ومن ايدى ولاتها خلصها فعصت عليه قلعة تكريت فسلط عليها من عساكره كل عفريت وذلك يوم الثلثا رابع عشر ذى الحجة وقد ارتجت منه البلاد اشد رجة فحاصرها واخذها في صفر بالامان ونزل اليه متوليها حسن بن يولتمود متدرع الاكفان وفي حضنه وعلى عاتقه اطفاله وقد ودعه اهله وماله واسلمته خيله ورجاله وذلك بعد ما عاهده ان لا يريق دمه فارسله الى حايط فقضه عليه وردمه وقتل من بها من رجال وسبا النسا واسر الاطفال وجعل يعيث ويستأصل ويقطع في الفساد ويوصل حتى اناخ يوم الجمعة حادى عشرين صفر سنة ست وتسعين على الموصل فاخربها وكسرها ثم الى رأس عين ونهبها واسرها ثم الى الرها تحول ودخلها يوم الاحد غرة شهر ربيع الاول فزاد عيثا وفسادا وجارى فيما عاند ثمود او عادا اى وخرج من تلك البلد ثانى عشريه يوم الاحد ثم اختار من نسور قومه طايفه على ورد الدما حايمة وعلى قتلى المسلمين عاكفه فاخذهم واندغر وفي ممالك ديار بكر انفض ولم يزالوا بها عاثين ولاذاها قاصدين وعليها ظالمين وفيها ماردين فقصدها بتلك العفاريت المصاليت واصل السير اليها فوصل في خمسة ايام من تكريت ومسافة ما بينهما للمجد اثنا عشر يوما ان لم يزد وكان سلطانها الملك الظاهر تحقق انه لا يضر من التجأ اليه وقدم في ثوب الطاعة عليه فما وسعه الا التشبث بذيل ذمه والانتظام في سلك خدمه

ذكر ما جرى لسلطان ماردين الملك الظاهر من المحنة والبلا مع ذلك الغادر الماكر

لكنه خاف غايلته فجمع حاشيته وصاغيته وقال اني ذاهب الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد فان رد ني حسبما اريد فهو المراد وان طالبني بالقلعة فكونوا انتم على التأبي والمنعة واياكم ان تسلموها اليه او تعتمدوا في الكلام عليه وان دار الامر بين تسليم القلعة وبين تلافي فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافي في تلافي فاتكم ان سلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم واتى بالهلاك على اولكم وآخركم وخسرتم شعاركم ودثاركم وغبنتم انفسكم ودياركم واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم واكفيكم بروحي ما دهاكم وبعض الشر اهون من بعض وها انا اجسّ لكم النبض

ثم قصد ذلك الكالح والمفسد الطالح بعد ما استخلف ابن اخيه الملك الصالح شهاب الدين احمد بن الملك السعيد اسكندر بن الملك الصالح الشهيد ونزل يوم الاربعا خامس عشرين ربيع الاول سنة ست وتسعين وسبعمائة واجتمع به في سلخه بمكان يسمى الهلالية فقابله بشنعه وقبض عليه بسرعه وطلب منه تسليم القلعة فقال القلعة عند اربابها وبيد اصحابها وانا لا املك الا نفسي فقد منها اليك وقدمتها عليك فلا تحملني فوق طاقتي ولا تكلفني غير استطاعتي فاتى به الى القلعة وطلبها منهم فابوا فقدمه اليهم ليضرب عنقه او يسلموه فنبوا فطلب منه في مقابلة الامان من الدراهم الفضة مائة تومان كل تومان ستون الفا خارجا عما يتقرب به اليه زلفى ثم انه شد وثاقه وسد عليه ليذهب عنه ما به من قوة كل باب وطاقه وشمر للفساد ذيله وجعل يريح رجله ويسمن خيله ويتفوق كاسات فساده ويعربد على عباد الله وبلاده واستمر على ذلك لا يبقى ولا يفيق ويتردد ما بين الفردوس الى رسمل ونصيبين والموصل العتيق ثم امر عساكره في جمادى الآخرة ان يمروا قاصدين ويقصدوا ماردين فسابقوا الطير ولاحقوا السير وجاروا بالنهار الانهار وبالليل السيل فقطعوا

فقار القفار قطع الهندى وعملوا فى تلك الجبال والقلال بما قاله الكندى
وهو شعر سموت اليها بعد ما نام اهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فوصلوا اليها على غفلة واخذوا عليها من غير مهلة وذلك يوم الثلثا ثانى عشره
وقد سل البحر الصبح حسام فجره وطار غراب الدجى عن وكره فصاروا سواد
معصم تلك الاسوار واحلوا الديار تيك الديار فعمروها رجفا وساموها
خسفا ودكوها وجفا وهدوها رخفا وتعلقوا باهداب ارجائها وتسلقوا
بالسلالم من ارضها الى سمائها فكان متسلقهم على الاسوار من القبلة رابية
اليهود ومن الغرب التلول ومن الشرق المنشار فاخذوا المدينة عنوة
وقسرا وملأوها فسقا وكفرا وترفع اهل المدينة الى القلعة ولم يكره
احد سواهم علو المنزلة والرفعة واكوهدوا ملتجئين الى قوادمها وخوافيها
وذب عنهم من القلعة بالسهام والمكاحل والمدافع من كان فيها فقتلوا
من ظفروا به ذكرا وانثى صغيرا وكبيرا ولم يرتضوا بما فيها نهبا وبمن فيها
اسيرا فجالد بعض الناس واظهر لهم بعض جلادة واراد بتشبثه لهم
ان يضم الجهاد الى الشهادة ولا زالت آيات القتال عليهم تتلى حتى امتلأت
المدينة من الجرحى والقتلى واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس الى
ان صار اليوم امس وحين التقى على صفحتى الكون عارضا الليل
واستوفى اوليك المطففون من ظلمهم وتعديهم الميزان والكيل وبادر
نون الظلام يونس الشمس بالالتقام طرأ على تلك الحركات السكون
فتراجعوا ونزل العسكر مقابل عربون وقد قتل من العسكرين ما سبق
العدد واكثرهم كان من اهل البلد فباتوا يعدون السلاح ويثقفونه
وينتظرون الصباح ويستبطئونه الى ان شق الليل مكتوم جيبه
واظهر الظلام مكنون غيبه وامر الكون وجه النهار ان يضرب على
جنبى الافاق اطراف شيبه بكروا بكور الغراب وبدروا الى الخراب
والخراب وعصروا اهل المدينة وحاصروها اشد حصر وهدموها
واسوارها من الظهر فمحوا اثارها بعد العصر ثم باؤا بالآثام وقد

البيرة

انتشر كظلمهم الظلام ايضاح ما اخفاه من الحيلة وصلود زند تلك
الافكار الوبيلة ولما آب امله بالخيبة ولم يمكنه تحصيل القلعة
بالهيبة شحذ فكرا وجدد مكرا وتاب عن المقابحه وثاب الى المصالحه
فودع ذلك الخميس وارسل اليهم يقول ضمن كتاب مع رسول ليعلم اهل
قلعة ماردين والضعفا والعجزة والمساكين العطاش انا قد عفونا
عنهم واعطيناهم الامان على نفوسهم ودمائهم فليأمنوا وليضاعفوا
لنا الادعية وهذه الرسالة نقلتها كما وجدتها فما استتب كيده ولا
انجح قصده لان رصدها كانوا غير راقدين وشياطين حرسها كانوا كهى
ماردين فارتحل ذلك البلية بكرة السبت الى البشيريه وارسل
الى امد الجنود مع اميرين على سلطان محمود فتوجه بجيش طام وحاصرها
خمسة ايام وارسل يستمده عليها فتوجه بنفسه اليها واحلها الهوان
فطلبوا الامان فامن البواب ففتح له الباب فدخل من باب التل
ووضع السيف فى الكل فاباد الجميع واباد العاصى والمطيع واسروا
الصغار وهتكوا استار الحرم وحرم الاستار واذاقوا الناس
لباس الباس والتجأ الناس الى الجامع فقتلوا منهم نحو الفى ساجد
وراكع ثم حرقوا الجامع ورحلوا وتركوها بلاقع فهداه ابليس الى
اخذ قلعة ارجيس ثم بادر بالتحريك وحط على قلعة اونيك
وفيها مصر بن قرا محمد امير التركمان فحاصرها فاخذها بالامان
ثم قتل كل من بها من الجند وصير مصر الى سمرقند فصل
ثم استصحب الملك الظاهر بسوينيه ورحل سابع ذى القعدة سنة
ست وتسعين وسبعمائة وحبسه فى مدينة سلطانيه وحبس
عنده من امرائه ركن الدين وعز الدين السليمانى واسنبوغا وضياء
الدين وضيق عليه بان يقطعوا عن اهله خبره بحيث لا يدرى
احد عجره وبجره ولما اثخنه وشد الوثاق قصد التوجه الى دشت
قبجاق فاجرى نحوها ما اقام من الفتنة على قدم وساق ومكث

في نهار الخميس صح

وذلك فى سنة سنة وتسعين
وسبعمائة بعد عيد رمضان صح

الملك الظاهر سنة لا يدرى احد خبره فى يقظة ولا سنه ثم
وفدت الملكة الكبرى الى سلطانية وخففت عنه ما به من ضيق
وبليه وفسحت له فى مراسلة جماعته وحوضته على طلب الدخول فى
رضى تيمور وطاعته زاعمة انها ناصحة له وطالبة مصلحته وكان ذلك
من مكايد تيمور وباشارته ثم رجع تيمور من الدشت فى شعبان
سنه ثمان وتسعين فمكث بسلطانيه ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى
همدان ومكث بها الى ثلث عشر رمضان ثم استدعى من سلطانيه
الملك الظاهر باكرام تام وانشراح صدر وخاطر ففكوا قيوده
وقيود متعلقيه وعظموه غاية التعظيم مع ذويه وتوجه اليه يوم
الخميس خامس عشره ودخل عليه يوم السبت سابع عشره فتلقاه
بالاحترام واعتنقه واذهب عنه دهشته وقلقه وقبله فى وجهه
مرارا واعتذر اليه مما فعله معه جهارا وقال له انك لله ولى ودفيع
القدر كابى بكر وعلى وتحلل منه عما صدر فى حقه عنه واضافه ستة
ايام وخلع عليه خلع الملوك العظام واحله محلا جميلا واعطاه عطاء
جزيلا من ذلك مائة فرس وعشرة بغال وستون الف دينار كبكية
وستة جمال وخلعا مزركشة مكللة وانعامات وافرة مكملة ولواء يخفق
على راسه منصورا وستة وخمسين منشورا لكل منشور بتولية بلد
وان لا ينازعه فيه احد اول ذلك الرها الى آخر ديار بكر الى حدود
آذربيجان وارمينيه وكل ذلك من الدهاء والمكر وان جميع حكام
تلك البلاد يكونون تحت طاعته ومعدودين فى جملة خدمه وجماعته
يحملون اليه الخراج والخدم ولا ينقلون الا عن امره قدما عن قدم
بحيث يكون شخص كل من مجاوريه بما افاء الله عليه لظله فيأ ويعفى هو
فلا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيئا وهذا وان كان فى الظاهر
كالاكرام فانه فيما يؤل اليه وبال عليه وانتقام وفيه كما ترى ما فيه
والقاء العداوة بينه وبين مجاوريه وينجر ذلك الى ان يلتجئ اليه

ويعول

ويعول فى كل اموره عليه ويدخل لكثرة الاعداء تحت ضبنه فيصل اذ
ذاك الى حصنه ثم انه شرط عليه انه كلما طلبه جاء اليه ثم عانقه وودعه
وامر امراءه بتشييعه فخرج من الضيق الى السعة ثالث عشرى شهر رمضان
لبلة الجمعة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة فوصل الى سلطانيه فى عيشة
رضيه وحالة هنيه ثم عزم على تبريز فى محفل نفيس عزيز واجتمع بامير
انشاه فزاد فى اكرامه وعطاياه وشيعه فى احسن هيئة وايمن طوده فجاء
على وسطان وبديلس وارزن الى الصوره فوصل خبره الى قبايله والعشاير
فابتهج الناس ودقت البشاير فوصل يوم الجمعة حادى عشرين شوال
وخرج اهل المدينة والاكابر للاستقبال وسبق الناس ولى عهده الملك
الصالح ودخل المدينة بفال سعيد وامر ناجح وتوجه الى مدرسة حسام
الدين وزار والده واموات الماضين وعزم على ترك التخت المنيف و
التوجه الى الحجاز الشريف فلم يتركه الناس خاصة وعامة وتراموا عليه
وقبلوا اقدامه فصعد الى محل كرامته واستقر فى كرسى مملكته و
سيأتى لهذا الشان مزيد بيان وما جرى من الامور عند قدوم تيمور
وحلول عسكره اللئام ماردين بعد خرابهم ممالك الشام ذكر رجوعه
من ديار بكر والعراق وتوجهه الى مهامه قبجاق ثم انه رجع من
عراقى العرب والعجم وقد ثبتت له فى ممالكهما آية قدم وذلك بعد
ان قدم عليه الشيخ ابرهيم وسلمه اقاليد ما بيده من اقاليم وتقلد
طوق عبوديته ووقف فى مواقف خدمته وانتظم فى سلك عبده
واحله محل ولده وسيذكر كيف تعرب عليه ومن اى طريق تقرب
اليه فقصد دشت قبجاق وجد فى الوخد والاعناق وهو ملك
فسيح يحتوى على مهامه فيح وسلطانها توقتامش وهو الذى كان فى
حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجالش اذ هو اول من بالعداوة
بادره وفى بلاد تركستان واقفه وناجزه وبخده فى ذلك كما مر للسيد
بركه وبلاد الدشت تدعى دشت قبجاق ودشت بركه والدشت باللغة

ووصف طورها وحالها
وبيان ضياعها وما لها صح

الفارسية اسم للبرية وبركة المضاف اليه هو اول سلطان اسلم ونشر بها
رايات الملة الاسلامية وانما كانوا عباد اوثان واهل شرك لا يعرفون
الاسلام والايمان ومنهم بقية يعبدون الاصنام الى هذا الاوان
فتوجه الى ذلك الاقليم من طريق الدربند الجارى تحت حكم الشيخ ابرهيم
وهو سلطان ممالك شروان ونسبه متصل بالملك كسرى انوشروان
وله قاض يدعى ابا يزيد يفضل على جميع اركان دولته بالقرب اليه ويزيد
هو دستور مملكته وقطب فلك سلطنته فاستشاره فى امور تيمور
وما يفعله ايطيعه ام يتحصن منه ام يفر ام يقاتله فقال له الفراد
فى رأى اصوب والتحصن فى الجبال الشواهق اوثق عندى واعجب
فقال ليس هذا براى مصيب انجونا واترك رعيتى ليوم عصيب و
ماذا الجيب يوم القيمة رب البرية اذا رعيت امورهم واضعت
الرعية ولا عزمت ان اقاتله وبالحرب والضرب اقابله ولكنى اتوجه
اليه سريعا واتمثل بين يديه سامعا لامره مطيعا فان رد نى الى
مكانى وقرنى فى ولايتى فهو قصدى وغايتى وان آذانى او عزلنى
او حبسنى او قتلنى فتكفى الرعية مؤونة القتل والنهب والاسار
فيولى ان ذاك عليهم وعلى البلاد من يختاره ثم امر بالاقامات
فجمعت واذن للجيوش فتفرقت وتمنعت وبمدن الولايات ان
تتزين وتتزوق وبسكانها برا وبحرا ان تأمن فتتفاءل وتتأنق
وبالخطب ان تقرأ فوق المنابر باسمه والدنانير والدراهم ان تضرب
بوسمه ورسمه ثم حمل التقادم والخدم وتوجه اليه باطيب جاش
واثبت قدم ولما وفد عليه وتمثل بين يديه قدم الهدايا والتحف
وانواع الغرايب والطرف وعادة الجفتاى فى تقديمهم الخدم ان
يقدموا من كل جنس تسعه لينالوا بذلك عند المهدى اليه الكرامة
والرفعة فقدم الشيخ ابرهيم من كل جنس من اجناس ما قدمه
تسعة ومن المماليك ثمانية فقال له المسلمون لذلك وانها تاسع

المماليك

المماليك فقال التاسع نفسى العانية فاعجب تيمور هذا الكلام وقع
من قلبه بمكان ومقام وقال له بل انت ولدى وخليفتى فى هذه
البلاد ومعتمدى وخلع عليه خلعة سنية ورده الى مملكته مستبشرا
ببلوغ الامنية ثم فرقت تلك الاقامات وتوزعت الفواكه والطعامات
ففضل منها امثال الجبال عن ذلك العسكر الذى هو كالحصا والرمال
ثم تركه وساد الى بلاد الشمال والتتار وسبب اخر لقصده تلك
الممالك وان كان لا يحتاج الى ذلك ان الاميرايدكو كان عند توقتاميش
احد رؤس امراء الميسنة والاعيان المتخذين فى النايبات لدفعها
وارباب الرأى والمشورة وقبيلته تدعى منكفيتا وقونكرات وقبايل
الترك كقبايل العرب واللغات كاللغات وكان ايدكو قد احس من
مخدومه تغير خاطر خاف منه على نفسه وكان توقتاميش شديد البأس
فخشى منه حلول باسه فلم يزل منه متحرزا وللفرار اذا رأى منه ما يقتضى
ذلك مستوفزا وجعل يراقبه ويراقيه ويداربه ويداريه ففى بعض
ليالى السرور ونجوم الكاسات فى افلاك الطرب تدور وسلطان
الخمرة قد انفذ فى اسير العقل امره طفح ان قال توقتاميش لايدكو
وفور البصيرة يخبو ويذكو ان لى ولك يوما يسومك الخسف سوما
ويوليك عن موايد الحيوة صوما ويملأ عين بقائك من سنة الفنا
نوما فغالطه ايدكو وباسطه وقال اعيذ مولانا الخاقان ان
يحقد على عبد ما خان او ان يذوى غراسا هو انشاه او يهوى اساسا
هو بناه ثم اظهر التذلل والخشوع والتمسكن والخنوع وتحقق
ما كان ظنه واعمل فى وجه الخلاص ذهنه واستعمل فى ذلك الذكا
والفطنة وعلم انه ان اهمل امره او امهله انه فمكث قليلا واستغفل
السلطان ثم انسلت من بين الحواشى والاعوان وخرج فى لجاجة
كانه يريد قضاء حاجة واتى اصطبل توقتاميش بجاش يجيش ولا
يطيش وعمد الى فرس مسرجة منجية منجه واقيمت معدة لكل شدة

وقال لبعض حاشيته المؤمن سره من فاشيته من اراد يوافيني
فعند تيمور يلاقيني ولا تفش هذه الاسرار الا بعد ان تحقق اني
قطعت القفار ثم تركه وساز فلم يشعر به الا وقد سبق وركب
طبقا عن طبق وقطع على انوال السير اطول الشقق فلم يدركوا منه
ما اثار ولا لحقوا منه ولا الغبار فوصل الى تيمور وقبل يديه
وعرض حكاياته واخباره كما جرت عليه وقال انت تطلب البلاد
الشاحطه والاماكن الوعرة الساقطه وتركب في ذلك الاخطار
وتقطع فقار القفار وتتلو اسفار الاسفار وهذا المغنم البارد
نصب عينك تدركه هنيئا مريئا بهينك ولينك ففيم التواني
والتناعس وعلام التقاعد والتقاعس فانهض بعزم صميم
فانا لك به زعيم فلا قلعة تمنعك ولا منعة تقلعك ولا قاطع
يد فعك ولا دافع يقطعك ولا مقاتل يقابلك ولا مقابل يقاتلك
فما هو الا وشاب واوباش واموال تساق وخزاين بارجلها مواش
ولا زال يحرضه على ذلك ويطالبه ويفتل منه في الذروة والغارب
كما فعل معه عثمان قرايلوك حين جاء الى تبريز بوسواسه وحرضه
على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان الدين احمد ومحاصرة
سيواسه كما يذكر فتهيأ تيمور باو في حركة الى استخلاص مدشت
بركه وكانت بلادا بالتتار خاصة وبانواع المواشي وقبايل الترك
غاصة محفوظة الاطراف معمورة الاكناف فسيحة الارجاء صحيحة
الماء والهواء حشمها رحاله وجنودها بناله افصح الاتراك لهجه
وازكاهم مهجه واجلهم جبهة واكلهم بهجه نساهم شموس ورجالهم
بدور وملوكهم رؤس واعيانهم صدور لا زور فيهم ولا تلبيس
ولا مكر بينهم ولا ليس دأبهم الترحال على العجل مع امان لايدانيه
وجل مدتها قليلة ومراحلها طويلة وحد بلاد الدشت
من القبيلة بحر القلزم الظلوم العشوم وبحر مصر المنقلب

اليهم

اليهم من بلاد الروم وهذان البحران كادا يلتقيان لو لا ان جبل البرزخس
بينهما برزخ لا يبغيان ومن مشرق تخوم ممالك خوارزم وانرار و
سفناق الى غير ذلك من البلاد والآفاق اخذا الى تركستان والجتا
متوغلا الى حدود الصين من ممالك الموغول والخطا ومن الشمال
ايبير سيبير وبرار وقفار ورمال كالجبال وكم في ذلك من تيه
يحير الطير والوحش فيه وهو كرضى اكابر زماننا غاية لا تدرك
ومهامه لا تسلك ومن مغرب تخوم بلاد الروس وبلغار وممالك
النصارى الاشرار ويتصل بتلك التخوم ما هو جار تحت حكم ابن عثمان
من ممالك الروم وكانت القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل
وهم آمنون من غير ريث ولا وجل والى قيريم طولا ومسيرة ذلك
نحو من ثلاثة اشهر واما عرضا فهو بحر من الرمل امدّ منه
سبعة ابحر لا يهتدى فيه المخريت ولا يقربه من الدعاميص كل
عفريت وكانت القافلة لا تحمل زادا ولا عليقا ولا يصحبون معهم
دليلا ولا رفيقا وذلك لكثرة الامم ووفور الامن والمآكل
والمشرب من الحشم فلا يصدرون الا عن قبيله ولا ينزلون الا
عند من يكرم نزيله وكانه فيهم قيل

متكنفي جبلي عكاظ كليهما يدعو وليدهم بها عرعار

واما في هذا اليوم فليس بتلك الاماكن من خوارزم والى قيريم
من تلك الامم والحشم متحرك ولا ساكن وليس فيها من انيس
الا اليعافير والا العيس وتحت الدشت سراى وهي مدينة اسلامية
البنيان بديعة الاركان ويأتي وصفها وكان السلطان بركه رحمه
الله لما اسلم بناها واتخذها دار الملك واصطفاها وحمل امم
الدشت على الدخول في حمى الاسلام ودعاها فلذلك كانت محل
كل خير وبركه واضيفت بعد اضافتها الى قفجاق الى بركه انشد في
لنفسه مولانا وسيدنا الخواجا عصام الدين ابن المرحوم مولانا

وسيدنا الخواجا عبد الملك وهو من اولاد الشيخ الجليل برهان الدين
المرغيناني رحمه الله في حاجي ترخان من بلاد الدشت مرجعه من
الحجاز الشريف سنة اربع عشرة وثمان مايه وفي يومنا هذا اعني
سنة اربعين وثمان مايه انتهت اليه الرياسة في سمرقند قال
وقد قاسى في درب الدشت انواع النكال شعر

قد كنت اسمع ان الخير يوجد في صحراء يعزى الى سلطانها بركه
بركت ناقة ترحالي بجانبها فما رايت بها في واحد بركه

وانشد ذ ايضا لنفسه معرضا بمولانا وسيدنا وشيخنا حافظ الدين
محمد بن ناصر الدين محمد الكوردري البزازي الخوارزمي تغمده الله تعالى
برحمته في الزمان والمكان المذكورين وهو شعر

متى تحفظ الناس في بلدة مصالحها في يدي حافظ
فحافظها صار سلطانها وسلطانها ليس بالحافظ

ولما تشرف بركة خان بخلعة الاسلام ودفع في اطراف الدشت
للدين الحنيفي الاعلام استدعى العلماء من الاطراف والمشايخ
من الآفاق والاكناف ليوقفوا الناس على معالم دينهم ويبصرهم
طرايق توحيدهم ويقينهم وبذل في ذلك الرغبات وافاض على
الوافدين منهم بحار الهبات واقام حرمة العلم والعلماء وعظم
شعاير الله تعالى وشرايع الانبياء فكان عنده في ذلك الزمان
وعند ازبك بعده وجاني بيك خان مولانا قطب الدين العلامة
الرازي والشيخ سعد الدين التفتازاني والسيد جلال الدين
شارح الحاجبيه وغيرهم من فضلاء الحنفيه والشافعيه ثم من
بعدهم مولانا حافظ الدين البزازي ومولانا احمد الجندي
رحمهم الله تعالى فصارت سراى بواسطة هولاء السادات مجمع
العلم ومعدن السعادات واجتمع فيها من العلماء والفضلاء
الادباء والظرفا والنبلا ومن كل صاحب فضيله وخصله

نبيله

نبيله جميله في مدة قليلة مالم يجتمع في سواها ولا قراه سلا مصر
جامع ولا قراها وبين بنيان سراى وخراب مابها من الامكنة
ثلاث وستون سنه وكانت من اعظم المدن وضعا واكثرها لخلق
جمعا حكى ان رجلا من اعيانها هرب له رقيق وسكن في مكان
منحى عن الطريق وفتح له حانوتا شبيب فيه ويحصل له قوتا
واستمر ذلك المهين نحو من عشر سنين لم يصادفه فيها مولاه
ولا اجتمع به ولا راه وذلك لعظمها وكثرة اممها وهي على شط
نهر منشعب من نهر آتل الذي اجمع السواحون والمورخون و
قطاع المناهل انه لم يكن في الانهر الجارية والمياه العذبه
الناميه اكبر منه وهو ياتي من بلاد الروس وليس له فايدة سوى
اغتيال النفوس ويصب في بحر القلزم محصوره وعليه بعض
ممالك العجم تدوره مثل كيلان ومازندران واستراباد و
شروان واسم نهر سراى سنكلا ولا يقطع ايضا الا بالمراكب
ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب وكم فرق تتفرق من
ذلك البحر العريض الطويل كل فرق اعظم من الفرات والنيل
وصول ذلك الطوفان وبحفه اسم الدشت بعد كسره توقتاميش خان
فوصل تيمور الى تلك الداره بالعساكر الجراره بل بالبحار الزخاره
ذوي السهام الطياره والسيوف البتاره والرماح الخطاره والاسود
الهصاره والنمور الكراره من كل شاني الغاره مدرك في العدو
ثاره حامي حقيقته وجاره وعرينه ووجاره وفريسته ونجاره والج
من بحر الحرب غماره مقاوم امواجه وتياره فارسل توقتاميش
الى زعماء حشمه وعظماء اممه وسكان احقافه وقطان اطرافه
ورؤس اسرته وضروس ميمنته وميسرته فاستدعاهم والى
المقابلة والمقاتلة دعاهم فاتوا في ثوب طاعته يرفلون وهم من كل
حدب ينسلون واجتمعوا شعوبا وقبايل مابين فارس وراجل

وكذلك جيحون وسايرانهار العجم
ونهر سيحون مع ان بحر القلزم صح

ولما استولى جانى بيك خان
على ممالك الدشت صح

وضارب ونابل ومقبل وقابل وفاتك وقاتل بمرهف وذابل
وهم قوم نبال النبال وعضال النضال لا يطيشون سهما وهم من
بنى ثعل أرمى اذا عقدوا الاوتار اصابوا الاوتار وان قصدوا
الاوطار وجدوا المقصد جثم اوطار ثم نهض للمصادمة واستعدّ
للمقاحمة والمقاومة بعساكر كالرمال كثرة وكالجبال كرّة وفرّة
ذكر ما وقع من الخلاف فى عساكر توقتاميش وقت المصاف
وحين توافق الصفان وتناقف الزحفان برز من عسكر توقتاميش
احد رؤس الميمنة له دمّ على احد الامرآ فطلبه منه وفى قتله استأذنه
فقال له لينعم بالك وليجب سوالك نظم اتفاقى لكن ترى ما قدر
على الورى وما جرى فامهلنا حتى اذا انفصلنا وعلى المراد حصلنا
اعطيتك غريمك وناولتك خصيمك فادرك منه ثارك واقض
اوطارك قال لا ولكن الساعة والآن فالا سمع لك ولا طاعة فقال نحن
فى كرب مهمّ وهو من مرامك اهمّ وخطب مدلهمّ هو من مصابك
اعمّ فاصبر ولا تعجل واطمئنّ ولا توجل فما يذهب لاحدٍ حق
ولا يضيع مستحق فالا تلجئ الاعمى الى الجرف فلا تكن ممن يعبد الله
على حرف فكأنك بليل الشدّة وقد ابرّ وبصباح الفلاح وقد اسفر
فالزم مكانك وناذل اقرانك وتقدّم ولا تتأخر واصدع بما تؤمر
فانخزل ذلك الامير بجمع كثير واتبعه كل باغ وعاق وقبيلته كلها
واسمها اق ناق فانطلق يروم ممالك الروم فوصل هو وحشمه الى
ضواحى ادرنه واستولوا تلك الامكنه فاختلّ لذلك عسكر
توقتاميش وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش ولم يريدا من
اللقا وصدق الملتقى فثبت جاشه وجيشه وهزم وقار طيشه
وقدّم من اطلابه الابطال ورتب الخيّالة والرجال وقوّى القلب
والجناح وسدّد النبل والصفاح فصل واما جيش تيمور فانه مستغنى
عن هذه الامور لان امره معلوم ووصفه مفهوم وسطو النصر

والتمكين على جبين رايانه مرقوم ثم تدانى الجيشان واصطدما و
واصطليا بنار الحرب واصطلما والتقت الاقران بالاقران وامتدّت
الاعناق للضراب وشرعت النحور للطعان واكفهرّت الوجوه واغبرّت
وكشرت ذيابُ الضرابِ وهرّت وتهاوشت نمور الشرور واسبطرّت
وتغاشت اسود الجنود وانبأرّت واكلبت بريش النبال الجلود
فاقشعرّت واهوت جباه الجباه ورؤس الرؤس فى محراب الحرب للسجود
فخرّت وثار الغبار وقام القتام وخاض بحار الدماء كل خاصّ وعامّ
وصارت نجوم السهام فى ظلام القتام لشياطين الاساطين رجوما
رواشق ولوامع السيوف فى سحاب التراب على الملوك والسلاطين
نجوما صواعق ولا زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول وضراغم
السرايا تصوب وتصول ونقع السنابك الى الجوّ راقيا ونجيع السوافك
على الدوّ جاريا حتى غدت الارضون ستّا والسموات كالبحار ثمانيا
وتطاول هذا الاصطدام حتى بلغ نحو ثلاثة ايام ثم انجلى الغبار
عن من انهزم من جيش توقتاميش وولّى الادبار وفرّت عساكره
واذعرت وانتشرت جنود تيمور فى ممالك الدشت واستقرّت
واستولى على قبايلها وابى على ضبطه اواخرها واوايلها واحتوى
على الناطق فمازه وعلى الصامت فحازه وجمع الغنايم وفرّق المغانم
واباح النهب والاسر واذاع القهر والقسر واطفاء قبايلهم
واكفاء مقاولهم وغيّر الاوضاع وحمل ما استطاع من الاموال
والاسرى والمتاع ووصلت طراشته الى ازاق وهدم سراى
وسرايجوق وحاجى ترخان وتلك الآفاق وعظمت مئونة ايدكو
عنه ثم قفل قاصدا سمرقند وصحب ايدكو معه ودام منه ان
يتبعه ذكر ايدكو وما صنعه وكيف جلب تيمور وخدعه
فارسل ايدكو قاصدا الى قادبه وجيرانه وقبايل الميسرة كلهم
من اصحابه واخدانه من غير ان يكون لتيمور بذلك شعور

المدة ٢

ان يرحلوا عن مكانهم ويتشمروا عن اوطانهم وان ينحوا جهة عنها
واماكن بينها صعبة المسالك كثيرة المهالك وان امكنهم ان لا يقيموا
فى منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك فانه ان ظفر بهم تيمور بدد
شملهم واباد هم كلهم فامتثلوا ما رسم به ايدكو وارتحلوا ولم يلووا
ولما علم ايدكو من جماعته انهم فوزوا وان حشمه ليتمور عجزوا
قال له يا مولانا الامير ان لى من الاقارب والحشم الجم الغفير
وانهم عضدى وجناحى وبصلاح معايشهم صلاحى ولا آمن عليهم
ان بقوا بعدى من توقتاميش الجور والتعدى بل لا اشك انه
يفنيهم ويبيدهم عن بكرة ابيهم وحيث يمتنع عليه بجاه جنابك
جانبى ينتقم لسوطويته من حشمى واقاربى لان سداء هذه الملاحم
انا لحمته وفى مضايق البلاء وماذق الانكسار انا لحمته وعلى كل
حال فلا يطيب قلبى ان يساكنوه وكيف يهنأ لى العيش واصدقائى
مجاورون عدوى ومحاوروه فان اقتضت الآراء المنيرة ارسال
قاصد الى تلك القبايل الكثيرة صحبة مرسوم شريف وامر عال
منيف باستمالة خواطرهم وتطييب قلوب قبايلهم وعشايرهم و
الامر بترحالهم وترقيح حالهم فنكون جميعا تحت الظل الشريف فى
روض عيش وريق وريف ونخلص من هذا الدشت الخلق الدشت
ونقضى ما مضى من الاعمار ونقضى الباقى فى جنات تجرى من
تحتها الانهار فالراى الشريف اعلى واتباع ما يبديه بالمماليك
اولى فقال له تيمور انت عديمها المرجب وحذيلها المحكك ومع
وجودك انت من يسلك هذا المسلك فقال كل الانام عبيدك
وتابع مرادك ومريدك ومن تراه لشئ اهلا كان كل حزن عليه
سهلا فقال بل انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه اذ لا يفتى ومالك
فى المدينة فقال اضف الى واحدا من الامرا ليكون لى عليهم وزرا
مع مراسم شريفة بما تقتضيه مآربهما ونجزا ونحو مطلبهما تجهزا

الترجمة

الاراء المنيفة فاجابه وقضى مراده فاضاف اليه من اراده فقضيا صح

فلما

فلما فصل ايدكو عن تيمور استدرك فارطه وعلم ان ايدكو
خلب عقله وغالطه فانفذ اليه قاصدا ان يكون اليه عايدا لامر
قد سخ ورأى قد جنح فلما قدم القاصد عليه وبلغ ما ارسل به اليه
قال له وللامير الذى معه وقد نهى كلا منهما ان يتبعه اقضيا ما ربكما
والحقا صاحبكما وقبلا يديه وابلغاه ان امداجتماعنا هذا منتهاه
واتى برئ منه انى اخاف الله ولم يمكنهما مخالفته ولا وسعهما فى
تلك المضايقة الشديدة الا ما لا ينته فودعاه وانصرفا وانحرفا وما وقفا
ولما بلغ تيمور ذلك تصرف وتضرم وتبرح وتبرم وحرق عليه
الارم وتندم وولات حين مندم وكاد يقتل نفسه حنقا عليه
ويجرع كاسات ويوم يعض الظالم على يديه ولم يمكنه التقيد به
فلم يتحرك له بحركه وتوجه الى ممالكه ثم الى سمرقند وتركه وكان هذا
آخر امره من دشت بركه قيل انه لم يخدع تيمور ويده ويخلبه
قولا وفعلا ويطغه سوى ايدكو المار ذكره اقول وسوى قاضى
القضاه ابن خلدون المالكى الآتى حكايته وامره تتمة ما جرى فى
نواحى الشمال بين توقتاميش وايدكو من جدال وقتال الى ان تغير الحال

منهما وحال

ولما انفصل تيمور بما حصل واستقر فى مملكته بعد ما وصل و
اتصل ايدكو بجاشيته وابتهج بصاغيته وغاشيته اخذ فى
التفتيش عن امور توقتاميش وتحفظ منه وتحرز ولمنا وانه
انتصب وتجهز اذ لم يمكنه دق ما فتقه ولا رقع ما خرقه وايضا
ما امكنه الاستقلال بادعاء السلطنة اذ لو امكن ذلك لادعاه
تيمور الذى ملك الممالك فنصب من جهته سلطانا وشيد فى دار
الملك خانا ودعا رؤس الميسر ووجوه قبايلها اليه فلبوا دعوته
واقبلوا عليه اذ كانوا اقوى من غيرهم المبرؤن آمنين من ضرر الجغتاى
وضيرهم فقوى بذلك سلطانه وعمر بقفول الجنود خانه وثبت
فى دار الملك اساسه وعلت اركانه واما توقتاميش فبعد ان تراجع

وهله واستقر فى دماغه عقله ورحل عدوه وحصل هدوه
جمع عساكره واستنجد قوته وناصره فلا زالت ضروب الضراب
كروب الخراب بينه وبين ايدكو قائمة وعيون السكون بجفون الزمان
المتقاعس عن صلحهما نائمة الى ان بلغ مصافهم خمس عشرة مرة يدل هذا
على ذلك تارة وذاك على هذا كرة فاخذ امر قبايل الدشت فى
التناقص والشتات وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا فى
الابتئات والابتات لاسيما وقد تناوشهما اسدان واطل عليهما
نكدان وقد كان جلهم ذهب مع تيمور وامسى وهو فى اسره محصور
وفى حصره مأسور فانفلذت منهم طايفة لاتحصى ولا تحصر
ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر وانحازت الى الروم والروس
وذلك لحظهم المشوم وجدهم المعكوس فصاروا بين مشركين
نصارى ومسلمين اسارى كما فعله جبلة ببنى غسان واسم هذه
الطايفة قرابوغدان فبواسطة هذه الاسباب آل عامر الدشت
الى الخلاء والخراب والتفرق واليباب والانفلات والانقلاب
وصارت بحيث لو سلكها احد من غير دليل ورصد فانه يهلك
على الحقيقة لإضاعته فى المجاز طريقه واما صيفا فلان الرياح
للرمال تسفى فتخفى الطريق على المارة وتعفى واما شتاء فلان
الثلج النازل فيها يتراكم عليها فيغطيها اذ كل ارض مجاهل ومناهل
مذاهل ومراحلها مهامه ومناهل فعلى كل تقدير سلوكها مهلك
عسير وكانت الوقعة الخامسة عشرة على ايدكو فتشتت وتشرد
وتبدد وتبدد وغرق هو ونحو من خمسائة رجل من اخصائه
فى بحر الرمل فلم يشعر به احد واستبد توقتاميش بالمملكة وصفا له
دشت بركة وكان مع هذا متشوقا لاخبار ايدكو واحواله متشوفا
لمعرفة كيفية هلاكه فى رماله ومر على ذلك نحو من نصف سنه
وانقطع اثره عن الاعين وخبره عن الالسنه وايدكو كان

دعميص تلك الاعقاص والاحقاف وممن قطع بسيرا قدامه اديم
تلك النعال والاخفاف فصار يتربص ويتصبر ويتفكر معنى ماقاله
ويدبر شعر ارقب القصد وانتظر فرصا وانتهز وقتها اذا ما جا
وامزج الصبر بالحجى فبه ورق الموت صار ديباجا
فلما تيقن ان توقتاميش ايسه وتحقق ان ليث المنايا افترسه شرع
يتجسس اخباره ويتتبع ويستشرف آثاره ويتطلع الى ان تحقق
من الخبر انه فى متنزه منفرد عن العسكر فامتطى جناح الخيل وارتدى
جنوح الليل ووصل السير بالسرى واستبدل السهر بالكرى فارعا
الى الهضاب فروع الحباب مفرغا من الربى افراغ الندا حتى وصل
اليه وهو لا يعلم وانقض عليه كالقضاء المبرم فلم يفق الا والبلايا
احتوشته واسود المنايا انتوشته وثعابين الرماح وافاع السهام
نهشته فحاولهم قليلا وجاولهم طويلا ثم انجدل قتيلا وكانت
هذه المرة من الوقعات السادسة عشرة خاتمة التلاق وحاكمة
الفراق فاستقر امر الدشت على متولى ايدكو وصار القاصى والدانى
والكبير والصغير الى من اسمه يصغوا وتفرقت اولاد توقتاميش
فى الآفاق جلال الدين وكريم بيردى فى الروس وكوباك وباقى
اخوته فى سغناق واستمر امر الناس على مراسيم ايدكو يولى
السلطنه من شاء ويعزله منها اذا اساء ويأمر فلا يخالفه احد
ويحد فلا يجاوز ذلك الحد فممن ولاه قوتليغ تيمور خان واخوه
شادى بيك خان ثم فولادخان بن قوتليغ تيمور ثم اخوه تيمور
خان وفى ايامه تخبطت الامور فلم يسلم لايدكو زمامه وقال
لا كيد له ولا كرامة انا الكبش المطاع فانى اكون مطيعا والثور
المتبوع فكيف اصير تبيعا فالتحم بينهما الشقاق ونجم من ذوى
الضغينة مخبوء النفاق وجرت شرور ومحن وحروب واحن
وبينا ظلمات الفتن احتبكت ونجوم الشرور فى دياجير الدشت

الضباب

بين الفريقين اشتبكت واذا بدر الدولة الجلالية من مشارق
السلالة التوقتامشية بزغ متهللا وفرع من بلاد الروس مقبلا
وكانت هذه القضية في شهور سنة اربع عشرة وثمان مائة فتعاظمت
الامور وتفاقمت الشرور وضعف حال ايدكو وقتل تيمور واستمر
النفاق والشقاق بين ملوك ممالك قبجاق الى ان مات ايدكو
غريقا جريحا واخرجوه من نهر سيحون بسرايجوق والقوه طريحا
رحمه الله تعالى وله حكايات عجيبة واخبار ونوادر غريبة وسهام
دواه في اعدائه مصيبة وافكار مكايد وواقعات مصايد وله
في اصول فقه السياسة نقود ورد ود البحث فيها يخرج عن محصول
المقصود وكان اسمر شديد السمرة ربعة مستمسك البدن شجاعا
مهابا ذا رفعة جوادا حسن الابتسامة ذا رأي مصيب وشهامة
محبا للعلماء والفضلاء مقربا للصلحاء والفقراء يداعبهم بالطف عبارة
واظرف اشارة وكان بالنهار صواما وبالليل قواما متعلقا باذيال
الشريعة قد جعل الكتاب والسنة واقوال العلماء بينه وبين الله تعالى
ذريعة له نحو من عشرين ولدا كل منهم ملك مطاع وله ولايات
على حدة وجنود واتباع وكان في جماعات الدشت اماما نحوا من
عشرين عاما وايامه في جبين الدهر غرة وليالي دولته على وجه
العصر طرة رجعنا الى ما كنا فيه من امور تيمور ودواهيه
ولما وصل تيمور الى اذربيجان وانبث عسكره في ممالك سلطانية
وهمدان واستدعى الملك الظاهر سلطان ماردين واطلقه وانعم
عليه كما ذكر واستوثقه وولاه ما بين الشام والعراق واحكم
تلك الممالك بما وسعه من المكر والنفاق ولم يمكنه الاقامة بملك
العجم لما معه من الدشت من امم وجه عنان قصده الى ممالك سمرقند
فنفض فيها وطابه وفرغ عن ما كان ملأبه من الدشت جرابه
ثم خرج من غير توان وقطع جيحون بالطوفان ووصل الى

خراسان

خراسان واصل السير الى اذربيجان فتوجه اليه طهرتن
حاكم ارزنجان متلقيا طوق مراسيمه بجيد الاطاعة والاذعان
واهل امر ماردين وتناساها ولم يتعرض لما يتعلق بها من مدنها
وقراها ابتداء توارى ذلك المقام فيما يتعلق بممالك الشام
ثم انه قصد الرها وارام نهبها فخرج اليه شخص من اعيانها ورؤسائها
قطانها يقال له الحاج عثمان بن الكشك فصالحه واشتراها بجمل
من الاموال وحملها اليه وادّاها فعند ذلك ارسل الى القاضي
برهان الدين ابي العباس احمد الحاكم بقيصرية وتوقات وسيواس
من الرسل عدة ومن الكتب شلة يبرق فيها ويرعد ويرغي في
بحرها ويزبد ويقيم بفحاويها ويقعد ومن جملة فحواه ومضمون
ذلك وماحواه ان يخطبوا باسم محمود خان الى اوسيور غامش
خان وباسمه ويضربوا السكة على طرز ذلك ورسمه كما هو
دابه ويتحمله رسوله وكتابه فلم يؤمن له السلطان برسول
ولا كتاب ولا تقيد له بجواب عن خطاب بل قطع رؤس الرؤس
من قصاده وعلقها في اعناق الباقين وشهرهم في بلاده ثم
جعلهم شطرين وقسمهم نصفين وارسلهم الى جهتين
للسلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق منهم جزء مقسوم
والجزء الآخر الى السلطان ابي يزيد بن مراد بن اورخان بن
عثمان حاكم ممالك الروم واخبرهما بالقضية عن جلية وما
ورد عليه من خطاب تيمور الممقوت وانه جعل في ذلك جوابه
السكوت وقتل قاصديه نكاية ولم يزده على هذه الحكاية وانما
فعل ذلك برسله وقصاده استهوانا به واستعظاما لما فعله
بعباد الله تعالى وبلاده ثم قال القاضي اعلموا اني جار كما
وديار كما وانا ذرة من غباركما وقطرة من بحاركما
وما فعلت هذا مع ضعف حالي وقلة مالي ورجالي وضيق

دايرتى وبلادى ورقة حاشية طريقى وتلادى الا اعتمادا على
مظاهرتكما واتكالا على مناصرتكما واقامة لاعلام حرمة دولتكما
ونشرا لرايات هيبة صولتكما فاتى جنة ثغركما وقاية نحركما وجاوش
جنودكما وجاليش بنودكما ودبية طلايعكما وطليعة وقايعكما والا
فمن اين لى مقاومته واتى يتيسر لى مصادمته وقد سمعتم احواله
وعرفتم مشاهده وافعاله فكم من جيش كسر وقبيل اسر وملك ملك
وملك اهلك وسيرهتك ونفس سفك وحصن فتح وفتح منح ومال
نهب وعز سلب وصعب اذل وخطب احل وعقل ازل وفهم اضل
وخيل هزم وايس هدم وسول قطع وقصد منع وطود قلع وطفل
فجع ورأس شدخ وظهر فضخ وعقد فسخ ونار اشب وريح اهب
وماء اغار ودهج اثار وقلب شوى وكبد كوى وجيد قصم وطرف
اعمى وسمع اصم فاتى لى ملاطمة سيل العرم ومصادمة الفيل المقتلم فان
نجد تمانى وجد تمانى وان خذلتمانى بذلتمانى ويكفيكما هيبة وشهرة
وناهيكما ابهة ونصرة ان من خدامكما قد امكما من كفاكما مادها كما واذ
اصابنى والعياذ بالله منه ضرر او تطاير الى مملكتى من جمرات شره شرر
ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة الحوادث الى مفعول به ثان وثالث

قلت شعر

والشر كالنار يبدو حين تقدحه شرارة فاذا بادرته خمدا
وان توانيت عن اطفائه كسلا او دى قبايل شتوى القلب والكبدا
فلو تجمع اهل الارض كلهم لما افادوك فى اطفائه ابدا
وانما اهملت خطابه وامهلت جوابه لترسيما فاقتفى وتأمرا فاكتفى
وتوسما فابنى عليه وتجاوبا فيصل ذلك كذلك منى اليه ذكر ما اجاب
السلطان ابو يزيد بن عثمان جقاضى برقها الدين ابا العباس سلطان ممالك
فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان فان هذا الفعل اعجبه ونغم هذا القول
اطربه واستحسن هذا الحكم من القاضى واستصوبه وارسل اليه

يقول

يقول ان ارتدع تيمور عنه وانتهى والا فليأتينه بجنود لا قبل له
بها فليقابله بعين قريرة وليثبت له بحسن البصيرة ولا يجزع من
جنوده الغزيرة فكم من فيه قليلة غلبت فئة كثيرة وان اقتضت آراؤه
السديدة واحكامه السعيدة توجه بنفسه اليه وقدم بالغزاة و
المجاهدين عليه ليرفع اعلامه وينفذ احكامه ويكون لسيفه يدا
ولساعده عضدا ثم ارسل كتابه وانتظر جوابه واما الملك الظاهر
فما رأيت له كتابا ولا تحققت له منه جوابا والظاهر ان جواب الملك
الظاهر ابى سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازى ابى يزيد
اذ افعالهما واقوالهما فى الباطن والظاهر كانت من باب تواردت
الخاطر ثم انى رأيت كتابا يتضمن خطابا وجوابا وذكر ان الخطاب
من ذلك الفاذ والجواب من الملك الظاهر وكلاهما سوى آى
الكتاب غير زاه ولا زاهر اما صورة الخطاب فهو قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اعلموا انا جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على
من يحل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله
الرحمة من قلوبنا فالويل كل الويل لمن لم يمتثل امورنا فانا قد
خربنا البلاد واهلكنا العباد واظهرنا فى الارض الفساد قلوبنا
كالجبال وعددنا كالرمال خيولنا سوابق ورماحنا خوارق
ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام فان انتم قبلتم شرطنا واصلحتم
امرنا كان لكم مالنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم وابيتم وعلى
بغيكم تماديتم فلا تلومن الا انفسكم فالحصون منا لا تمنع والعساكر
لدينا لا تردّ ولا تدفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع لانكم
اكلتم الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالذلة والجزع فاليوم تجزون
عذاب الهون فقد زعمتم اننا كفرة وقد ثبت عندنا انكم فجرة
قد سلطنا عليكم الله له الامور مقدرة والاحكام مدبرة كثيركم

عندنا قليل وعزيزكم عندنا ذليل وقد ملكنا الارض شرقا
وغربا واخذنا منها كل سفينه غصبا وارسلنا اليكم هذا الكتاب
فاسرعوا فى ردّ الجواب قبل ان ينكشف الغطا ولم يبق لكم
باقيه فينادى عليكم منادى الفنا هل تحسّ منهم من احدٍ او تسمع
لهم ركزا وقد انصفناكم اذ راسلناكم ونثرنا جواهر هذا الكلام
والسّلام وهذه صورة الجواب وقيل هو انشأ الفاضل بدر الدّين
ابن علاء الدين فضل الله وما اظنّ لذلك صحّةً وهو بسم الله الرحمن الرحيم
قل اللّهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء
وتعزّ من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انّك على كل شئ قدير
حصل الوقوف على كتابٍ محقّرٍ من الحضرة الايلخانيّة والسّدّة
العظيمة السلطانيّة قولكم انّا مخلوقون من سخطه مسلّطون
على من يحلّ عليه غضبه لانرق لشاك ولانرحم عبرة باك قد نزع
الله الرّحمة من قلوبكم فهذا من اكبر عيوبكم وهذا من اقبح ما وصفتم به
انفسكم ويكفيكم بهذه الشّهادة واعظا اذا اتّعظتم قل يا ايّها
الكافرون لا اعبد ما تعبدون ففى كل كتابٍ ذكرتم وبكل قبيح وصفتم
وزعمتم انكم كافرون الا لعنة الله على الكافرين من تشبّه ٥
بالاصول لايبالى بالفروع نحن المؤمنون حقّا لايصدّنا عيبٌ
ولا يداخلنا ريبٌ القران علينا نزل وهو رحيم بنا لم يزل وقد
عمّنا ببركة تأويله وقد خصّنا بفضل تحريمه وتحليله انّما النار لكم
خلقت ولجلودكم اضرمت اذا السّما انفطرت ومن عجب جعجاب
تهديد الليوث بالرّتوت والسباع بالضّباع والكماة بالكراع
نحن خيولنا بحريّة وهمما عليّة والقناة شديدة المضارب
ذكرها فى المشارق والمغارب ان قتلناكم نعم البضاعة وان
قتلتمونا بيننا وبين الجنّة ساعة ولا تحسبنّ الذين قتلوا فى
سبيل الله امواتا بل احياء عند ربّهم يرزقون وقولكم

قلوبنا

لجلودكم

الكراع

قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فالجزار لايبالى بكثرة الغنم
وكثرة من الحطب يكفيه قليل من الضّرم كم من فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً
كثيرةً باذن الله والله مع الصّابرين الفرار الفرار من الرّزايا نحن
من المنيّه فى غاية الامنيّه ان عشنا عشنا سعدا وان متنا متنا
شهدا الا انّ حزب الله هم الغالبون ابدا امير المومنين وخليفة
ربّ العالمين تطلبون منّا طاعةً لاسمع لكم ولا طاعةً وطلبتم ان
نوضح لكم امرنا فهذا الكلام فى نظمه تركيك وفى سلكه تفكيك
لو كشف لبان قبل البيان اكفرٌ بعد ايمان ام اتّخذتم دبّا ثان
لقد جئتم شيئا ادّا تكاد السموات ينفطرن منه وتنشقّ الارض
وتخرّ الجبال هدّا قل لكاتبك الذى رصّع رسالته ووصف مقالته
حصل الوقوف على كتابٍ كصرير بابٍ او طنين ذبابٍ وسنكتب
ما يقول ونمدّ له من العذاب مدّا ومالكم عندنا الّا السّيف بقوّة
الله تعالى ثم انّى وجدت فى نسخة اخرى مجامرّ الدّهور بنقادمه مدادها
وبيّض كرّ العصور على وجه الزّمان من شيبها سوادها صورة
هذا الكتاب وهيئة هذا الخطاب من انشآء نصير الدين الطوسى
على لسان هلاكو التّترى مرسلا ذلك الى سلطان مصر وصورة
الجواب بعينه انشآء من كان فى ذلك العصر فصل ولمّا بلغ تيمور
ما فعله السلطان برهان الدين بقصّاده حنق ورنق بجناحى
الغضب وفار دم قلبه ورنق وغصّ فكاد من الغيظ ان يختنق
ولكن علم انّ فى الزّوايا خبايا وللاسلام جنودا وسرايا وفى
عرين الدّين من ليوث المسلمين بقايا وانّ امامه اسودا هوارها
اصره وجوارح كواسر فتصبّر للزّمان ورجع القهقرى وتربّص
بهم الدّوائر ذكر توجّه العساكر الشآميّه لدفع تلك الدّاهية الدّهيّة
مع ان ملك الامرا بالشام وهو تنم خرج بالعساكر الى ارزنجان
ورجع وهو مغتنم ولم يروا فى ذلك ضيرا وردّ الله الذين كفروا

لامن المناصح

بغيظهم لم ينالوا خيرا وعاد من جيش الاسلام كل اسد هصور
وقد اصطاد من دفوكى ما ضاهى صورته وحاجاه نور على نور ذكر
رجوع ذلك المكنود خائبا وقصده استخلاص بلاد الهنود ثم ان تيمور
بلغه ان سلطان الهند فيروز شاه انتقل من رحمة الدنيا الى
رحمة الله ولم يكن له ولد يكون له خليفة فسعى تيمور لان يتولى
بحكم الوفاة والشغور تلك الوظيفة ولما فاظ صاحب الهند صارت
الناس فوضى ومرج امر الهند وماج فجعل كل يخوض خوضا فعز
بعض الناس وبعضهم ذلوا ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه ملو
فرأب من امر الناس ما انصدع ورفع من استحق الرفع وخفض من
بغير استحقاق ارتفع فعصى عليه اخوه شارنك خان متولى
مدينة مولتان ووقع بينهم التخالف وافترق ملاء الهنود فرقا
وطوائف فكان اختلافهم لتيمور احسن مساعد واقوى عضد

وساعدٍ

قلت شعر

وتشتت الاعداء فى آرائهم سبب لجمع خواطر الاحباب

وحين وصل تيمور الى مولتان عصى عليه شارنك خان فاقام
يحاصرها وقعد يضاجرها وكانت عساكرها جمة وليالى كتايبها السود
مدلهمة حتى قيل ان من جملة عسكرها الثقيل كان ثمان مائة فيل
مع ان كل امير من اطراف الهند ورئيس فى اكناف السند كان قد
كفكف اذياله ولملم رحاله ورجاله وضبط لجوايحه اقياله وربط
لحوايجه اقياله واستمر ذلك اللدد والخصام نحوا من ثلثى عام
الى ان استخلصها ومن يده خلصها فصل ولما استولى ملو واستقر
امر الهند عليه وبلغه توجه تيمور اليه جد واجتهد واعد العدد
والعدد واستمد الامداد والمدد واهلك ما لا لبد او حسب
ان لن يقدر عليه احد وفرق الاموال وجمع الخيل والرجال و
احضر ما فى مملكته من الافيال ثم حصن مدائنه ومكن كمائنه

وشيد على الافيال للمقاتلة ابراجا واحكم فى تحرير المناضلة طريقة
فنقة فيها ذهب ومنهاجا وجد تيمور فى السير حتى كاد يسبق عتاق
الطير اذ لم يكن له فى ذلك الاوان من يجبه ولا فى عساكر سلطان
الهند من يقربه فلما بلغ الهنود بالجنود وبرزت اليه بالجنود الهنود
وقدموا الفيول لتنفير الخيول وقد بثوا على كل فيل من الاتراس
برجا وعبوا فى كل برج من المقاتلين من يخشى فى المضايق ويرجى
بعد ما جعلوها من البرك سكنوا نات فى حصار وعلقوا عليها من
القلاقل والاجراس الهايلة ما يدعو العفاريت الى الفرار وشدوا
فى خراطيمها سيوفا يصلح ان يقال انها سيوف الهند تدعو الرؤس
شعلة لهيبها فتخر لها ساجدة فيحق ان يقال لهارنا السند
وهذا خارج عما لتلك الفيلة من الانياب التى هى فى الحروب
كالحراب اذ هى فى اداء ما وجب عليها نصاب كامل وسهامها التى
هى مصيبة فى نحور من يقابلها بقصم كل نابل وذابل فكانت
تلك الافيال فى صف القتال كانها غيل باسودها ماشية او
ضياص بجنودها جارية او اطواد بنمورها عادية او بحار بانواج
امواجها رايحة جايئة او ظلل من الغمام بصواعقها هامية
او ليالى الفراق بنوابيها السود سارية وخلفها من الهنود فوارس
الحرب وابطال الطعن والضرب سود الاسود وطلس الذياب
ونمر الفهود بالذابل الخطى والصارم الهندى والنبل الخليجى
مع قلب ذكى وجنان جرى وعزم قوى وضرب رضى

ذكر ما فعله ذلك المحتال من الخديعة فى اجفال الاقبال

وحين اطلع تيمور على هذه الحال وتحقق ان شقة عساكر
الهند نسجت على هذا المنوال اعمل المكيدة فى قلع هذه المصيدة
وفرق لهم بمرقة قد رطبخها اخثر من العصيدة فبداء اولا فى
الاحتيال بدفع مكيدة الافيال فاستعمل الفكر الحديد فى

الاقبال

اصطناع شوكات من حديد مثلثة الاطراف مستبدعة الاوصاف
كانها فى شكلها الخبيث طرق القابلين بالتثليث او وضع اصحاب
الاوفاق اعدادهم المنسوبة الى الوفاق فصنعوا له من ذلك الالوف
ثم عمد الى مجال الفيول فى الصفوف فنثر ذلك لها ليلا وجلب بذلك
لها ولاهلها حربا وويلا ورتم لذلك حدا ورسم ان فعل ذلك
الحد لا يعدى ثم ركب اطلابه وابطاله ورتب اسوده واشباله
وهذب خيله وشذب رجاله وارصد شمالا ويمينا من عسكره
للعدو كمينا وحين بث سلطان السيارة فى جوانب الافاق خيله
وضم جيش الظلام رجالة انجمه وشمر للهزيمة ذيله مشى عسكره
الى ذلك الحد رويدا حتى وصل اليه ولما ترآى الجمعان نكص على
عقبيه ثم نكب بالخيول عن طريق الفيول فتصوروا ان خيوله
جفلت وشمس نصرته انكسفت وكواكب جيشه افلت فاقبلوا
قلاع الفيول وانهمرت انهمار السيول وساقوها خلف عساكره
سوقا على ذلك الشوك الملقى واتبع الفيالة من الهنود الرجالة
والخيالة فلما وصلت سيول الفيول من مطارح الشوك الى
المقاسم واخذ ذلك الشوك فى تقبيل ايديها وارجلها ونشبت
بتلك المناسم واحست قوائمها بشوكها رجعت القهقرى بل
ولت الادبار لعدم عقلها ووجود نوكها فنهنهوها ونهوها
عن التولى فلم يفدها النهى والنهنهة وصارت فى التقدم الى
جهة العدو كفيل ابرهة ثم لم يسعها لما احرها الشوك فى
تلك الحرار الا التولى من الزحف والفرار فحطمت الفيول
الرجال والخيول وصارت القتلى كالجبال والدماء فى اوديتها
سيول وخرج عليهم المكمنون من ذات الشمال وذات اليمين
فاباد واسايرهم والحقوا باولهم آخرهم وقيل ان بلد الهند
ليس فيها باعوا وان منظرها يجفل الفيل فيصير ابعد نافر

فنار

انهمرت

فامر تيمور ان يهيأ خمس مايه بعير حفول وعبار واحلها والحمول
قصبا محشوا بفتايل وقطن بالدهن مبلول وان تساق امام الركبان
الى ان يترآى الجمعان فلما تصافوا ولم يبق الا القتال امر ان تطلق
النيران فى تلك الحشايا والاحمال وتساق الى مواجهة الافيال
فلما احست البعران بحرارة النيران رغت ورقصت ونحو الفيول

شخصت فصارت كما قيل

كانك من جمال بنى اقيش يقعقع بين رجليه بشن

فلما رأت الفيلة النيران وسمعت رغاء البعران ونظرت الى
الابل كيف خلقت وشاهدتها وقد غنت ورقصت وباخفافها
صفقت الوت على عقبها ناكصة لسايقها واهصة ولراكبها واقصة
فحطمت الخيالة وهشمت الرجالة وتلا الكافرون اية النصر على
اصحاب الفيل وارسلوا عليهم من السهام طيرا ابابيل فلم ينتفعوا
بالافيال بل افنت الافيال غالب الخيل والرجال ثم تراجعت عساكر
الهنود وابطال الخيالة من الجنود وكتبوا الكتايب وبندوا البنود
ثم تراموا وتصافوا وتضامّوا وتحافوا وهم ما بين مجوسى ومسلم
ومبارز منتسب ومنادٍ بالشعار معلم وكل فى سواد اللون و
الحديد كقطع من الليل المظلم ثم تدانوا مع التتار وتزاحفوا
وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تناقفوا ثم بالسيوف تضاربوا
ثم تلابّوا وتواثبوا ثم تراموا عن ظهور الخيل واعتكر فى ذلك
القتام النهار بالليل ولا زالت تختلف بينهم الضربات وتصول
فيهم الحملات وتحمل منهم الصولات حتى تلا لسان القضاء والقدر
ان فى اختلاف الليل والنهار لآت ثم تناهى الاقتحام وانفرج
الازدحام واسفرت القضية عن انهزام جيش حام وحل
بالهنود الويل ومحا الله اية الليل ولما تفرقت الهنود وفلوا
وانتهى عقد عملهم فى المحاربة فحلوا وقتلت سراتهم وهرب

يرد حامى الهند صح

سلطانهم ملوّ وثبت تيمور وحكمه فى هذه والى الآن كما ثبّت اوقاده
فى سمرقند فجمع اقياله وربط اقياله وضبط احواله وما غفل
عن ضبطه ما عليها وما لها وسلم اقياله اقياله ثم توجّه نحو تخترها
وهى مدينة دهلة مصر عظيم جمع فنون الفضل واهله معقل
التجار ومعدن الجواهر والبهار فتمنّعت عليه بالحصار فاحاط بذلك
السواد الاعظم من عساكره السواد الاعظم ومن معه من الخلايق
والامم قيل ان هذه العساكر والخلايق مع عظمها وكثرتها لم يقدروا
ان يكتنفوها لسعة دائرتها وانه اخذها من احد جوانبها بالمحاصرة
وتم الجانب الآخر ثلثة ايام فى المحاربة والمكاشرة لم يدر من فى الجانب
المحاصر لبعد المدى وكثرة الامم ما فعل الجانب الآخر وصول الخبر
الى ذلك العقوق بوفاة الملكين ابى العباس احمد والملك الظاهر برقوق
وبينا هو قد استولى على كرسى الهند وامصاره واحوى على
ممالكه واقطاره وبلغت مراسيمه ذرى انجاده واعماق اغواره
وانبثّ جيشه فى ولاياتها سهلا ووعرا وظهر فسادهم فى وعليا ها
برّا وبحرا وفد عليه المبشّر من جانب الشام ان القاضى برهان الدين
احمد السيواسى والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى
دار السلام فسرّ بذلك صدره وانشرح وكاد ان يطير الى جهة
الشام من الفرح فنجّز بسرعة امور الهند ونقل الى مملكة من
فيها من العساكر والجند بما اخذه من الانقال ونفايس الاموال
ووزّع ذلك الجمهور وساير الجند المأسور على اطراف ما وراء
النهر من الحدود والثغور واقام فى الهند نائبا من غير وجل
ثم حدر عن سمرقند قاصدا الى الشام على عجل ومعه من الهند
رؤس اجنادها ووجوه اعيانها وسلطان اقيالها واقيال سلطانها
فتوجه قرير العين بتلك الطوايف الطائفة فى اوايل سنة اثنين
وثمانمايه وانصبّ بذلك الطوفان من جيحون الى خراسان وكان

قد قرّر ولده لصلبه امير انشاه بمملكة تبريز وتلك الديار
والسلطان احمد قد رجع الى بغداد وهو مستوفز للفرار
وسبب حركته الى بلاد الشام وان كان فى اهلاك الحرث والنسل
مالكى الالتزام ما فعله القاضى برهان الدين حاكم سيواس
بقصاده الاغتنام ولكنه اراد ان يعمّه مقصده ويغطّى عن الناس
مصدره ومورده قلت بديها واتى يختفى للشمس ضوء عن الابصار
فى صحو النهار وكيف يسود فر المسك يخشى خياشيم الورى فى يوم عار
واتى يختفى للطبل صوت عن الاسماع فى وقت النقار فان قصده كان
بعيد المدد طويل الامد محتاجا الى اعداد اهبة السلوك ويخشاء
ان يضاهى غزاة تبوك فاظهر سببا ابطن فيه ما رامه من مكره
ودواهيه واشاع ذلك واذاع وامتلأت منه القلوب والاسماع
وذاع معنى كتاب وقد وفد فى الهند عليه زعموا ولده امير انشاه ار
سله اليه
وذلك ان ابنه امير انشاه المذكور راسله وانهى اليه يقول على
ما قيل فى بعض ما قاوله وحاوله انك قد عجزت لكبر سنك و
شمول الضعف ببدنك ووهنك عن اقامة شعاير الرياسة
والقيام باعباء الايالة والسياسة والاولى بحالك ان كنت
من المتقين ان تقعد فى زاوية مسجد وتعبد ربك حتى ياتيك
اليقين وقد تم فى اولادك واحفادك من يكفيك امر رعيتك
واجنادك ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك واتى لك بلاد
وممالك وانت عن قريب هالك قلت

قميص من القطن من حلة وشربة ماء قراح وقوت
ينال به المرء ما يرتجى وهذا كثير على من يموت

فان كانت لك عين باصرة وبصيرة فى نقد الاشياء ماهرة
فاترك الدنيا واشتغل بعمل الآخرة ولو ملكت ملك شداد
ورجع اليك اقتدار الممالقه وعاد وساعدك النصر والعون

حتى تبلغ مقام هامان و فرعون و رفع اليك خراج الربع المسكون
حتى تفوق فى جمع المال قرون وصرت فى خراب البلاد كمختصر
الذى طول الله تعالى له فقصر وبالجملة فلو بلغ سلطانك الاقطار
وقضيت من دنياك غاية الاوطار وصار عمرك فيها اطول الاعمار
وخدامك فيها ملوكها الاعمار فقصر جندك قيصر وكسر كسرى
فانكسر وتبعك تبع والنجاشى والملوك والاقيال من غير تحاشى
وفغفر لك فغفور بالثناء فاه واخنيت على الخان وخاقان فوجهه
كل فى رقعة دستك شاه واذعن لك فرعون مصر وسلطانها
وجبى لك على يد جيبو ايران الدنيا وتورانها وآل امرك الى ان
دان لك سكان الاقاليم وقطانها أليس قصارى تطاول قصورك
الى القصور ونهاية كمالك النقص وحياتك الموت وسكناك القبور
قلت فعش ما شيت فى الدنيا وادرك بها ما شيت من صيت وصوت
فخيط العيش موصول بقطع وحبل العمر معقود بموت
وابن انت من نوح وطول عمره ونياحته على قومه وحسن عبوديته
وشكره ولقمان ووعظه ولده وتربيته لطول المحبوة لبده و
داود فى ملكه الفسيح مع قيامه باوامر الله تعالى وكثرة الذكر و
التسبيح وسليمان بعده وحكمه على الانس والجن والطير والوحش
والريح وذى القرنين الذى ملك المشرقين وبلغ المغربين وبنى
السدبين الصدفين وداخ البلاد وملك العباد واين محلك
من سيد الانبيا وخاتم الرسل والاصفيا المرسل رحمة للعالمين
الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين محمد المصطفى واحمد المجتبى
الذى زويت له مشارق الارض ومغاربها وتمثل بين يديه
شاهدها وغايبها وفتحت له خزاينها وعرض عليه ظاهرها وكامنها
وكانت جنوده الملايكة الكرام وآمن به الانس والجن والطير و
الوحش والهوام وايده الله الكريم المتعال بان ارسل لطاعته

نقف على هذا الغلط
وثوبته لطول الحياة
اهـ

ملك

ملك الجبال وكان حامل راية نصره نسيم الصبا باليمين والشمال
فملك الجبابرة بالهيبة والقهر وكانت الاكاسرة والقياصرة تخافه
من مسيرة شهر وايده بنصره وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار
وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار وبلغ
ركابه الشريف ان الله سبحانه به اسرى فى بعض ليلة من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى وكان مركوبه الشريف البراق ثم عرج
به الى السبع الطباق وقرن اسمه الكريم مع اسمه وتعبد عباده بما
شرعه الى يوم القيمة من غير تغيير لحده ورسمه وخلق لاجله الكائنات
واناد بوجهه الموجودات ولم يخلق فى الكون اشرف منه ولا افخر
وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واظهر من معجزاته ان اشبع
الجم الغفير من القرص الشعير وسقا الكثير من الرعال مما نبع
من بين اصابعه من الماء الزلال وانشق له القمر ولبت دعوته
الشجر وخاطبه الضب وسلم عليه الحجر وهل تحصى معجزاته او
تحصر كراماته وناهيك بمعجزته المويدة وكرامته المؤبدة الخالدة
على مر الزمان الباقية ما دار الحدثان الساكنة ما تحرك الملوان
وهو القران المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد وهذه منازله فى الدنيا غير ما ادخر
له فى العقبى وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف
يعطيك ربك فترضى هذا وان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين
بالايمان به وبنصره فلو ادركوه ما وسعهم الا اتباعه وامتثال امره
فهود عوة ابرهيم الخليل ومتوسل موسى والعلماء من بنى اسرائيل
والمبشر بقدومه على لسان عيسى فى الانجيل وحامل لواء حمد ربه
يوم لقايه فآدم ومن دونه تحت لوايه وهو صاحب الحوض المورود
والمخاطب من ربه فى موقف الشفاعة والمقام المحمود بمعنى ما قلت
مفوفا مقتبسا

شعر

قل يسمع اشفع تشفع سل تنل وتجد تفويف خلعة عز واقتبس كرمي
فانظر الى هؤلاء السادة معادن الخير ومفاتيح السعادة هل رغبوا
في الدنيا او اعتمدوا عليها او نظروا الا بعين الاحتقار والاعتبار لها
او هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وناهيك
بالخلفاء الراشدين واعظم بالعمرين اللذين كانا في هذه الامة
بمنزلة القمرين وهلم جرا بالخلفاء العادلين والملوك الكاملين
والسلاطين الفاضلين الذين تولوا بالعدل فرعوا حقوق الله
تعالى في عباده وحموا عباد الله تعالى عن الظلم في بلاده واستوا قواعد
الخير وساروا في نهج العدل والانصاف احسن سير فمضوا على
ذلك وبقيت آثارهم واحيت بعد موتهم ايامهم اخبارهم فمضى
على ذلك مثل الاولين وبقي لهم لسان صدق في الآخرين اذ صنعوا
بموجب ما سمعوا شعر فكن حديثا حسنا لمن روى فانما الناس احاديث
وانت وان كنت تسلطت على الخلق فقد عدلت ايضا ولكن عن
الحق ورعيت ولكن اموالهم وذروعهم وحميت ولكن بالسداد
قلوبهم وضلوعهم واسست ولكن قواعد الفتن وسرت ولكن
على سنن امانة السنن ومع هذا فلو عرجت الى السيع الشداد
ما بلغت منزلة فرعون وشداد ولو رفعت قصورك على شوامخ
الاطواد ما ضاهت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
فانظر الى من نهى وامر ثم مضى وغبر ولا تكن ممن طغى وفجر
وتولى وكفر واقنع بهذا الخطاب عن الجواب واعط القوس
باريها وانزل الدار بانيها وتولى لله ورسوله والذين آمنوا والا
فانت ممن اذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فاني اذ ذاك
امشي عليك واضرب على يديك وامنعك من السعي في الفساد
بان اسوي بين رجليك مع قلة ادب كثيرة وعبارات ذنوبها
كبيرة فلما وقف تيمور على هذا الكتاب وجه الى تبريز عنان

الركاب وكان عند اميرانشاه من المعتدين جماعة سعوا في
الارض مفسدين منهم قطب الموصلي اعجوبة الزمان الدوار
واستاد علم الموسيقا والادوار اذا استنطق اليراعة اسكت
اهل البراعة واذا وضع الناي بفيه سحق عود اسحق وابيه وان
اخذ في الاغاني اغنى عن الغواني تقول النفس لنفسه الرخيم خفف
عني اينيني فتشير براعته بالاصبع وتقول على عيني ثم ينفخ فيها الروح
فيشفي كل قلب مجروح ويداوي كل فؤاد مقروح فان اقامت قامتها
الرشيقة راقصة في سماعها يحني الجنك ظهره خاضعا لطيب
استماعها وان فتحت فاها لتقري اسماع القلوب الحانه يمد
العود عنقه مصغيا اليها عاركا بانامل الادب آذانه قيل
انه كان يؤدي جميع الانغام والفروع والمركبات والشعب و
الاصول من كل ثقب من ثقب الموصول وله مصنفات في
ادوار المقامات وجرى بينه وبين الاستاد عبد القادر المراغي
مباحثات وكان اميرانشاه به مغرما يعد صحبته والعشرة معه
مغنما وكان تيمور لا يعجبه العجب ولا يستهويه اللهو والطرب
فقال ان القطب افسد عقل اميرانشاه كما افسد عبد القادر
احمد بن الشيخ اويس واطغاه فوصل ذلك الطاغ سابع عشر
شهر ربيع الاول سنة اثنين وثمانمائة الى قراباغ فاناخ بها
ركابه واراح دوابه وضبط ممالك آذربيجان وقتل اولئك
المفسدين واهل العدوان ولم يتعرض لاميرانشاه لانه ولده
وهو انشاه وبينهما امور متشابهات لا يعلم تاويلها الا الله ثم
توجه بذلك الخميس ثاني جمادى الاخرة يوم الخميس واخذ مدينة
تفليس وقصد بلاد الكرج وهدم ما استولى عليه من قلعة وبرج
وقلعهم الى الصياصي والقلاع العواصي وقتل من ظفر به من
طايع وعاص وجزهم ما بين دوس ونواص ثم ثنى عنان العنان

وحوّش البغاة على بغداد فهرب السلطان احمد من ذلك اللجب
الى قرايوسف فى ثامن عشر شهر رجب فسكن تيمور زعازعه وطمّن
بذلك مرافقيه ومنازعه وتمهّل فى السير واستمل فى نحوه مع مناظريه
مباحث سوى وغير وصار يتحاذر ويتحاول وينشد وهو يتفاءل شر
امره عن سعدى بعلوى وانتم مرادى فلا سعدى اريد ولا علوى
فتراجع السلطان احمد وقرايوسف الى مدينة السلام متصوّرين
انه لم يبرح من بلاد الكرج الليام فلمّا تحققا منه الخروج وكانا حققا
انه اذا عرّج على شئ فما يعرج اطار اطاير هما نحو الروم وتركا ديارهما
ينعق فيها الغراب والبوم فتوجّه ذلك القشمان الى مصيف التركمان
فاغمد السيف وكفّ عن الحيف وقضى به الصيف ذكر ما وقع من
الفتن والبدع وما سلّ للشرور من حسام بعد موت سلطان سيواس و الشام
وكان اذ ذاك قد تخبّط امر الناس ووقع الاضطراب ببلاد مصر
والشام والسيواس اما مصر والشام فلموت سلطانها واما
سيواس فلقتل برهانها وكان موتهما متقارب الزمان كموت
قرايوسف والملك المويد ابى النصر شيخ وابى الفتح غياث الدين
محمد بن عثمان فان مدى ما بين موت هاؤلاء الملوك العظام
كان نحوا من نصف عام وكذا كان ما بين موت ذينك السلطانين
ذكر بذة من امور القاضى وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضى
وسبب قتل القاضى برهان الدين مخالفة وقعت بينه وبين
عثمان قرايلوك رأس المعتدين سيزداد بيانها اذا اتى مكانها
وهذا السلطان ابوه كان قاضيا عند السلطان ارتناحاكم قيصرية
وبعض ممالك قرامان وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة
ومكان وكان ابنه برهان الدين احمد المذكور فى عنفوان شبابه
من طلبة العلم واصحابه المجتهدين فى تحصيله واكتسابه فتوجّه
الى مصر لاقتناء العلوم وضبطها من طريقى المنطوق والمفهوم

الشام

وكان ذا فطنة وقّادة وقريحة نقّادة ومقلة غير رقّادة فحصّل
من العلوم عدّة فى ادنى مدّة فبينا هو فى مصر يسير واذا هو بفقير
جالس على الطريق كسير فناوله شيأ يسدّ به خلّته ويجبر به فقره
وكسرته فكاشفه ذلك الفقير بلفظ معلوم وكشف له عن السرّ
المكتوم وقال له لا تقعد فى هذه الديار فانك سلطان الروم
فصدع بهذا الكلام قلبه فاخذ فى اعداد الاهبة وقطع الاعلاق
ودخل الطريق صحبة الرفاق ولما وصل الى سيواس ابتهج به
والده واعيان الناس وشيّد له بين الخلق اسد بنيان واشدّ
اساس وشرع فى القاء الدروس ومصاحبة الاعيان والرؤس
وكان ذا همّة ابيّة وراحة سخيّة ونفس زكيّة وخصايل رضيّة
وشمايل مرضيّة وتحرير شافٍ وتقرير وافٍ يحقّق كلام العلماء
ويدقّق النظر فى مقالات الفضلاء وله مصنّفات فى المعقول
ولطايف فى المنقول ينظم الشعر الدقيق ويعطى عليه العطاء
الجليل ويعجبه اللفظ الرقيق ويثيب عليه الثواب الجزيل
وهو مع ذلك يتزيّا بزىّ الاجناد ويسلك طريقة الامراء من
الركوب والاصطياد ويلازم ابواب السلطان ويتخذ الخدم
والاعوان فمات السلطان عن ولد صغير فاجلسوه على السرير
وكان عنده من اعيان الامراء ورؤس الوزراء ناس منهم غضنفر
بن مظفر وفريدون وابن المؤيد وجى كلدى وحاجى ابرهيم
وغيرهم ومن اكبرهم ابو القاضى برهان الدين فصار هؤلاء
الامراء والرؤس من الوزراء والكبراء يديرون مصالح الرعية
ولا يفصلون الا بالاتفاق ما يقع من قضية فمات ابو القاضى
برهان الدين وتولى ولده مكانه وفاق بالعلم وحسن السياسة
اباه واقرانه ففرّق تفرّق ولايات ذلك الاقليم على ابن المؤيد
وجى كلدى وحاجى ابراهيم فبقى حوالى السلطان محمد فريدون

وغضنفر وبرهان الدين احمد ثم توفى السلطان محمد عن غير
ولد فبقيت الولاية بين الثلاثة على سبيل الاشتراك وراثة
وقلما اتفق ضرتان على زوج واحد وايتلفتا ولو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا وماية فقير يلتقون فى حصير وملكان لا يسعهما
اقليم كبير فاراد برهان الدين الاستبداد بالملك والاستقلال
فنصب لشريكيه اشراك الاحتيال اذ الملك عقيم فرصد لذلك
الطالع المستقيم ونظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فراى
شريكاه انه العيادة عبادة فطلبا بعيادته المحسنى ورام هو الزيادة
فعاداه وقد عاداهما وماراعاه ولكن راعهما وماراعاهما فدخلا
عليه وقد ارصد لهما رصدا واعد لهما من الرجال المعدة عددا
وقتلهما وقد حصلا فى قبضة الاشراك وخلص توحيد السلطنة
الاحمدية عن الاشراك فقوى بالتوحيد سلطانه واضاء للدين
حجته وبرهانه ولكن ناواه اولاده وعصى عليه من النواب
اكفاؤه واضداده واظهر كامن العداوة اعداؤه وحساده
وقالوا هذه مرتبة لم ينلها اباؤه ولا اجداده ونحن كلنا سواسية
اذا انتمينا فانى يكون له الملك علينا وحسد الرياسة هو العلة
الفعل وتحاسد الاكفاء جرح لا يندمل فمنهم شيخ نجيب
صاحب توقات القاسية ومنهم جى كلدى وكان نايب اماسية
فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان وكان قد استولى اذ ذاك
السلطان علاء الدين على ممالك قرمان فقال السلطان برهان
الدين ان رواة التواريخ حدثتنا واسمعتنا وكتب السير
انبأتنا واخبرتنا ان ما حوالينا من الممالك متعلق بنا من سلطاننا
وارثنا ثم شرع فى استخلاص ما كان متعلقا بسلطانه وجعل
يشن الغارات على من يتمادى فى عصيانه فقلع قلعة توقات
من الشيخ نجيب قسرا واستصحبه معه طيبة وقهرا واغارت

تتار الروم اليه وهم الجم الغفير وعثمان الملقب بقرايلوك قال له
انا تحت اوامرك امشى وفى قيد طاعتك اسير فكان قرايلوك
من جملة خدمه ومن حساب تراكمته وحشمه فكان يرحل هو ومن
معه بين الناس شتاء وصيفا بضواحى سيواس ذكر نحو قرايلوك
عثمان اثار انوار برهان الدين السلطان بسبب ما اضمره من
العدوان واظهره حالة العصيان وقبض عليه لما غدر به الدهر وخان
ثم انه وقع بين قرايلوك وبين السلطان منافرة ادت الى
المشاجرة وانتهت الى المراجحة والمناقرة فنقض العهود والذمم
وامتنع من حمل التقادم والخدم وتمنع فى الاماكن العاصية بمن
معه من التراكمة والحشم فلم يكترث به السلطان لانه كان من اقل
الاعوان وجعل يتوجه تارة الى اماسية واخرى الى ارزنجان
وكان بالقرب من سيواس مصيف منظره ظريف وترابه نظيف
وماؤه خفيف وهواؤه لطيف كان الخلد خلع على اكتاف رياضه
سندسه الاخضر والفردوس فجر فى خلال اشجاره من نهره
الكوثر على حدايقه من روضات الجنات شبه وفى ربوة جبرته للابصار
دهشات وللبصاير نزهة

قلت

عليه شقيق قد زها فكانه صحون عقيق اترعت بالعنابر
فقصده قرايلوك ورام فى طريقته السلوك فمر على سيواس
وبها القاضى ابو العباس فجاذبه ركابه ولم يعبابه فالتهب
تموز قيظه وكاد يتميز من غيظه وقال بلغ من هذا العوان ان بلج
برج الاسد او يقدم قدم اقدامه واناحل بهذا البلد ثم امر
جماعته بالركوب وقصد عليه الوثوب واستفزه الغضب
والطيش ان ركب وسبق الجيش فقال له بعض الجماعة لو تلبثت
مولانا السلطان ساعة حتى يتلاحق العسكر كان احزم واوفق
واجدر وان كان حرمة مولانا السلطان فيها كفاية ولها

لكن قرا صحيحا

ايد يلوك تركمانى ودوداى وكيد فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام
ولم يزل هاجا وراه حتى هجم الظلام فكر عليه قرايلوك بجماعته
فقبض عليه باليد من ساعته ولم يدر بحاله العسكر وتفرق امره
وجنده شغر بغر ذكر ما كان نواه قرايلوك من الراى المصيب ورجعه
عنه لسوء طويته شيخ نجيب ان قرايلوك عزم ان يجدد معه العهد و
الميثاق ويقلع غراس الخلاف ويؤسس بنيان الصداقة و
الوفاق ويرده الى مكانه ويصيره كما كان اولا من انصاره واعوانه
ويعلم بذلك السلطان انه له ناصح فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح
واذا بشيخ نجيب الذى كان متولى قلعة توقات وحاصره السلطان
وضيق عليه مسالك الطرقات ثم قهره وغلبه واخذ قلعته بالكراهة
واستصحبه وجد فرصة فانتهزها وكان فى قلبه كامن سخيمة فابرزها
فجاء الى قرايلوك ووقف فى خدمته كالمملوك وقال ايمد عالم عقلك
ان يزل ودليل فهمك ان يضل ومصيب رايك ان يصاب وجميل فكرك
ان يعاب قد امكن الله من العدو واتى لك مع هذا سكون وهدو
قلت ما الدهر الا ساعة وتنقضى والمرء فيها حازم او نادم
فلئن ابقيت عليه لا يبقى عليك ولئن نظرت اليه بعين الرحمة والله
لا ينظر اليك فانه رجل غبى بانواع المكر واصناف الخديعة عبى
عسر القياد وابيك لا ينجع فيه الخير وابى وهبك والعياذ بالله
مكانه منك اكان يرقى لك او يصفو عنك هيهات هذا والله محال
فقد وقع لك مجال فما كل اوان يسمح بالمراد الزمان والدهر فرص
واكثره غصص فاياك ان تفوت الفرصة فتقع فى غصة واى غصة
ولا ينفعك الندم اذا زلت بك القدم وتفكر فيما اقول واستنبط
دليل هذه المسئلة من المعقول واستبق شرفك الرفيع باراقة دمه
وصن استار حرمك بابتذال حرمه وتذكر يا امير امور قابوس
ابن وشمكير ولا زال ذلك الشيطان يحسن له الراى فى قتل

السلطان

السلطان ويقول هذا الراى انفع لك وعليك اعود كما فعل بسطام
امير الكرد بقرايوسف لما قبض على السلطان احمد فرجع قرايلوك
عن رايه لما خدعه ودهاه فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف
رحمه الله وكان السلطان رحمه الله كما ذكر اولا عالما فاضلا كريما
متفضلا محققا فى التقرير مدققا فى التحرير قريبا من الناس مع
كونه شديد الباس رقيق الحاشية اديبا شاعرا ظريفا لبيبا اريبا
جوادا مقداما قرما هماما انتهاب الدنيا وهابها يهب الالوف ولن
يهابها يحب العلماء ويجالسهم ويدنى الفقراء ويكابسهم قد جعل
يوم الاثنين والخميس والجمعة للعلماء وحفاظ القرآن خاصة
لا يدخل عليه معهم غيرهم من تلك الايام الخاصة وكان قد
اقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه وتاب الى الله تعالى و
رجع اليه وله مصنفات منها الترجيح على التلويح وكان عنده
نديم للفضل حريز بغدادى الاصل يدعى عبد العزيز وكان
اعجوبة الزمان وفى لطايف النثر والنظم فارسيا وعربيا
اطروفة الدوران سرقه من بغداد من السلطان احمد بن
الشيخ اويس فكان عنده راس ندمائه وعين اهل الفضل و
الكيس والقاضى كان مربى الفضلا متطلبا من كل جهة الادبا
والشعرا وكان اهل الفضل والادب يفدون عليه من كل فج
حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة الحج وصورة سرقته له
انه لما سمع باوصافه احبه فاراد قربه فالتمسه من مخدومه
فلم تسمح نفس السلطان احمد بمفارقة نديمه ثم اختشى من القاضى
رغبه وخاف لشدة رهبه هربه فوصى به وحرج عليه واقام
له معقبات يحفظونه من خلفه ومن بين يديه فارسل القاضى
اليه رسولا ذكيا فناداه نداء خفيا واجزل له العطية ووعده
مواعيد سنية وفرق ما بين السلطانين من الحسن والقبح

وكان قتل قرايوسف سلطان احمد ابن الشيخ اويس فى عاشر شهر رجب سنة ثلاث عشر وثمانمائة بالغضيبة مشهورة صح

كفوق مابين البحرين العذب والملح والمبليين للماء والصبح قبل
دعوته بالقبول وواعد للخروج بعد القفول ثم خرج ولهيب الحر
قد وقد والسلطان احمد عند الحريم قد رقد ووضع ثيابه على ساحل
دجلة ووجه الى داخل النهر فى الطين رجله ثم غاص فى الماء وتأخر
وخرج من مكان آخر ولحق برفقائه واختفى بينهم اختفاء اليربوع
فى نافقائه فطلبه السلطان احمد ففتشوا عليه فلم يوجد فبالغوا
فى طلابه الى ان وقفوا على ثيابه ورأوا آثار رجليه فى الطين فلم
يشكوا ان الموج اختطفه فكان من المفرقين فكفوا قدم السعى
عن طلبه ولم يضيقوا على احد بسببه ثم بعد ايام يسيرة اخرج
غريق بغداد رأسه بسيواس عند القاضى برهان الدين من
تحت الحصيرة ففرقه فى ابحر نواله واسبغ عليه ذيل كرمه و
افضاله فصار عنده مقدما وله مبجلا معظما الف له تاريخا
بديعا سلك فيه مهيعا رفيعا وانتهج منهجا منيعا ذكر فيه بدوا مره
الى قرب وفاته مع مواقفه ووقايعه ومصافاته وشحه بظريف
كناياته ولطيف استعاراته وفصيح لغاته وبليغ كلماته ودقيق
اشاراته ودقيق عباراته مد فيه عنان اللسان وهو موجود فى
ممالك قرمان فى اربع مجلدات ذكر ذلك من غاص بحره واستخرج
درره ووقف على تاريخ العتبى فى اليمين السلطان محمود بن
سبكتكين وان هذا احسن من ذلك اسلوبا واعز يعبوبا
واعذب شؤبوبا مع انى لم اقف عليهما ولا وصلت لقصر الباع
اليهما ثم ان الشيخ عبد العزيز هذا بعد لهيب هذه النايرة انتقل الى القاهرة
ولم يبرح على الابراح ومعاقرة راح الاتراح حتى خامره نشأة
الوجد فصاح وتردى من سطح عال فطاح ومات متكسر امينة
صاحب الصحاح والله اعلم ذكر ما وقع من الفساد فى الدنيا والدين
بعد قتل قرايلوك السلطان برهان الدين ولما قتل السلطان برهان

الدين لم يكن فى اولاده من يصلح للرياسة وينفذ احكام
السلطنة والسياسة فرجع قرايلوك الى سيواس ودعا الى
نفسه الناس فلم يجيبوه ولعنوه وسبوه فاخذ يحاصرهم ويناكدهم
ويضيق عليهم ويعاندهم فاستمد واعليه التتار فامدوهم
واتت طائفه منهم فنجدوهم فكسرهم قرايلوك ففروا واستنجدوا
طوايفهم وكروا واقبلوا بالقضى والقضيض وملاؤا البقاع
والحضيض فلم يكن لقرايلوك فى جبة قتالهم طوق فدخل
فيهم من تحت وجائهم من فوق وتوجه الى تيمور وكان بحر
جيشه فى اذربيجان يمور فقبل يديه وانتمى اليه وجعل ينادى به
الى هذا البلاد ويدعو كما فعله معه الامير ايدكو فحك له
فى الدبرة فاجابه اجابة برصيصا بامرة مشاورة الناس
من اهل سيواس انى يسلكون ومن يملكون ثم اهل سيواس والاعيان
من رؤسائها والاكياس تشاوروا فيمن يملكون قيادهم
والى من يسلمون بلادهم لسلطان مصر ام لابن قرمان ام
للسلطان الغازى ابى يزيد بن عثمان ثم اتفق رأيهم السديد
على المرحوم ايلدريم ابى يزيد فارسلوا اليه قاصدا واستنهضوه
اليهم وافدا وانشدوه وقد استنجدوه شعر

وكم ابصرت من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختيارى

فتوجه من ساعته اليهم وقدم بالعساكر والجنود عليهم ومهد
القواعد والاركان وولى عليهم اكبر اولاده امير سليمان واضاف
اليه خمسة انفار من امرائه الكبار يعقوب بن اورانيس وحمزة
بن بجار وقوج على ومصطفى ودواد واستمال خواطر
الاعيان وتوجه الى ارذنجان فهرب منها طهرتن المذكور
وقصد فى انهزامه تيمور فاستولى ابن عثمان على مدينة
ارذنجان واخذ اموال طهرتن وذخايره وحرمه ومكن

منهن سواسه وغلمانه وخدمه ورجع بالاموال والحمولك و
اشتغل بمحاصرة استنبول فصل فنبه قرايلوك وطهرتن
من تيمور نايم الفتن وان كان المتحرك منه فى الفساد ماسكن
حتى توجه الى هذه البلاد وعم فساده البلاد والعباد فوصلوا الى
ارزنجان واردين ثم ارتحلوا ونزلوا مفسدين ماردين فعصى
عليه الملك الظاهر لما كان قاساه اولا من طاعة ذلك الغادر
فندم على اطلاقه اول مرة كما سيندم يوم القيامه ولم تنفعه
الندامة والحسرة وكان ذلك فى سنة اثنين وثمانمايه والخلف
قد وقع بين العساكر الشاميه والمصريه وانحاز الى كل فئة
وتفرقت آراهم ايادى سبا ومال هو آء كل منهم الى دبور و
شمال وصبا واهملوا امور الرعايا وغفلوا عن حلول الرزايا
قلت من يهمل الاعداء يأمن كيدهم مثل النوم ورأه مستيقظ
وقلت واللص ليس له دليل سائر نحو الذى يبغى كنوم الحارس
ثم قتل تيم ملك الامرا بالشام ورؤس الامرا واعيان الاعلام
فى شهر رمضان من العام المذكور وبيان هذه الامور فى كتب
التواريخ مسطور قلت شعر

واذا العرين تصرعت آساده عوت الثعالب فيه آمنة الرزى

ذكر قصد ذلك الغدار سيواس وما يليها من ثم ان تيمور وجه عنان هذه الديار
الباس نحو مدينة سيواس وبها كما ذكر امير سليمان ابن ابى يزيد
ابن مراد بن اورخان بن عثمان فارسل يخبره اباه بهذا الامر المهول
ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر استنبول فلم يطق ان يمد اليه
يد لاحتياجه الى المدد ولبعد المدى فاستحضر من جنده الاجانب
اهل المنعة وحصن المدينة والقلعه واستعد للقتال
واستمد للحصار وفرق رؤس امرآئه على ابدان الاسوار
وجهز تيمور من جيشه العيون ليتحقق ما هو عنده مظنون

ولما كشفت جيوشه الامير سليمان دينها فلما ان رأى عينها فعزم
على التوجه الى ابيه واشترط مع امرايه وذويه انهم يحفظون
له البلد ثم يجهز لهم العدد والعدد فلم يسعهم الا الموافقه
والتخلف وعدم المرافقه فرام لنفسه الخلاص وافلت وله
خصاص فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهامية سابع عشر
ذى الحجه سنة اثنين وثمانمائة ولما حلت بسيواس جلله الشوى
قال انا فاتحو اهذه المدينة فى ثمانية عشر يوما ثم اقام فى
محاصرتها علامات الحشر وفتحها فى اليوم الثامن عشر بعد ما
عشى فيها وعاث وذلك يوم الخميس خامس المحرم سنة ثلاث
وبعد ان حلف للمقاتلة ان لا يريق دمهم وانه يرعى ذممهم
ويحفظ حرمهم وحرمهم ولما فرغت المقاتلة واستمكن من
المقاتله ربطهم فى الوثاق سربا وحفر لهم فى الارض سربا
والقاهم احياء فى تلك الاخاديد كما القى فى قليب بدر الصناديد
وعدد من القى فى تلك الحفر ثلاثة الاف نفر ثم اطلق عنان
النهاب واتبع النهب الاسر والخراب وكانت هذه المدينة
من اظرف الامصار فى احسن الاقطار ذات عماير مكينه
واماكن حصينه ومآثر مشهوره ومشاهد للخير معهوده
ماؤها رايق وهوآؤها للامزجة موافق وسكانها من احشم
الخلايق يتعاونون التوقير والاحتشام ويتعاطون اسباب
التكلف والاحترام وهى متاخمة ثلاثة تخوم الشام واذربيجان
والروم واما الآن فقد حلت بها الغير وتفرق اهلها شذر
مذر وانمحت مراسم نقوشها فهى خاوية على عروشها ذكر
انسجام صواعق ذلك البلاء الطام عن غمام الغرام على فرق ممالك الشام
ولما استتبى سيواس لحما ونقيا واستوفاها حصدا ورعيا
فوق سهام الانتقام الى نحو ممالك الشام بجنود ان قيل

كالجراد المنتشر فالجراد كان من اعوانها او كالسيل المنهمر
فسيل الدما جار من فرندها وخوصانها او كالفراش المبثوث
فالفراش يحترق عند تطايرسهامها او كالقطر الهامى فالدم
تضمحل عند انعقاد قتامها رجال توران وابطال ايران و غور
تركستان وببور بلخشان وصقور الدشت والخطا ونسور
الموغول وكواسر الختا واقاعى نجند وتعابين اندكان وهوام
خوارزم وجوارح جرجان وعقبان صغانيان وصوار حصار
شادمان وفوارس فارس واسود خراسان وضباع الجيل وليوث
مازندران وسباع الجبال وتماسيح رستمدار وطالقان
واصل قبايل خوز ودیدان كرمان وطلس ارباب طيالسة اصفهان
وذياب الوتى وغزنى وهمدان وافيال الهند والسند ومولتان
وكباش ولايات اللور وثيران شواهق الغور وعقارب شهر
زور وجرارات عسكر مكرم وجندى سابور شعر
قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم طاروا اليه زرافات واحدانا
مع ما اضيف اليهم من عساير الخدم وفراعل التراكمة والاوباش
والحشم وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم وجعالة
عباد الاوثان وانجاس مجوس الامم مما لا يكتنفه ديوان ولا
يحيطه به دفتر حسبان وبالجملة فانه الدجال ومعه يأجوج
ومأجوج والرياح العقيمة الهوج فتوجه والنصر قايده و
السعد رايده والقضاء موافقه والقدر مساعده ومشيته
الله تعالى سابقته وارادة الله عز وجل فى تدمير العباد و
البلاد سايقته فبلغ خبره البلاد الشامية واتصل ذلك
بالديار المصرية فورد مرسوم شريف الى نايب الشام وساير
النواب والحكام وغزاة الدين وكماة الاسلام ان يتوجهوا
الى حلب ويقيموا عليه الجلب ويجتهدوا فى دفعه ويتعاونوا

على منعه فتجهز نايب الشام سيدى سودون مع النواب و
العسكر ووصلوا الى حلب سنة ثلاث وثمان مئة فى صفر
ووصل تيمور الى بهسنا فنهب ضواحيها ولم يبق بها سنا وحاصر
قلعتها ثلاثة وعشرين ليله فاخذها ولكن كف عنها للطيفة
ذبانية شبوره وويله ثم اوطأ مطية مدينة ملطية فابادها
وذلك اطوادها ثم حل كعبه المشوم بقلعة الروم وكان نايبها
الناصرى محمد بن موسى ابن شهرى وسيذكر ما جرى له
معه مشبعا وكيف اجتهد فى مجاهدته وسعى فاقام بها يوما
فلم ينجح له روما فلم يحتفل لها بحصار وهياج وقال هى اهون
على من تبالة على الحجاج وذلك انه لما رآها من بعيد قال فيها
ما قاله من لم يصل الى العنقود والحق انه لما رآها قال ان
الله لما بناها ادخرها لنفسه واصطفاها ثم انجاب ذلك
السحاب الى عين تاب وكان نايبها اركماس رجلا شديد البأس
فحصنها واستعد وباشر القتال بنفسه واستبد ثم جرح
فهرب الى حلب فلم يرسل ورأه الطلب ذكر ما ارسل من كتاب
وشنيع خطاب الى النواب بحلب وهو فى عين تاب ثم ارسل الى النواب
قاصده وهو فى عين تاب وصحبته مرسوم بانواع التفخيم
موسوم وباصناف التهويل مرقوم ومن جملته ان يطيعوا
اوامره ويكفوا عن القتال والمكاشره ويخطبوا باسم محمود
خان وباسم الامير الكبير تيمور كوركان ويرسلوا اليه اطلاميش
الذى كان عنده فخان واقتنصه وارسله الى مصر التركمان
واطلاميش هذا زوج بنت اخت تيمور وكان جاء الى الشام
قبل وقوع هذه الشرور وفيما بين ذلك امور كان لها بطون
فصار لها ظهور وكان اولا فى مصر محبوسا فى ضرا ثم بوسا
ثم صار معززا مكرما معظما مقدما فكان تيمور له منطلبا

وجعل ذلك حجة للمعاداة وسببا ثم شرع يقول وهو يجول في
ميدان هذه الرسالة ويصول انه هو الاولى بسياسة الانام وان
من نصبه هو الخليفة والامام وانه ينبغي ان يكون هو المتبوع
المطاع وما سواه من ملوك الارض له خدم واتباع وانى لغيره
دربة الرياسة وكيف تعرف الجراكسة طرق السياسة مع
كثير من التهويل والحشو والتطويل وكان يعلم ان اجابتهم
سؤاله محال وانه طلب منهم ما لا ينال ولكن قصد بذلك وقوع
الجدال وتركيب الحجة عليهم في فتح حجرات القتال فلم يجيبوا للقا
ولكنهم قضوا مراده بالفعال ولم يلتفت سيدي سودون لما
يقول وضرب على دوس الاشهاد عنق الرسول واستعدوا
للمبارزة واستمدوا للمناجزة ذكر ما تمالى عليه النواب وهم
في حلب وتيمور في عين تاب ثم ان النواب والامراء ورؤس الاجناد و
الكبر انشاوروا كيف يكافحونه وفي اى ميدان يناطحونه فقال
بعضهم عندي الرأى الاسد ان نحصن البلد ونكون على
اسوارها كالرصد نحرس بروج افلاكها حراسة السماء بالملا
فان رأينا حواليها من شياطين العدو احدا ارسلنا عليه من
رجوم السهام ونجوم المكاحل شهابا رصدا وقال آخر هذا عين
الحصر وعلامة العجز والكسر بل نخلق حواليها ونمنع العدو
ان يصل اليها ويكون ذلك افسح للمجال واشرح للجدال ثم
ذكر كل من اولئك ما عن له في ذلك وخلطوا غث القول
بسمينه وساقوا هجان الرأى مع هجينه فقال الملك المؤيد
شيخ الخاصكي وكان ذا رأي مسدد وهو اذ ذاك نائب
طرابلس يا معشر الاصحاب واسود الجراب وفوارس الضراب
اعلموا ان امركم خطر وعدوكم داعر عسر داهية دهياء و
معضلة عضلاء جنده ثقيل وفكره وبيل ومصابه عريض

طويل

ومشاورة الاذكياء مقدمة الفكر
ومباحثة العلماء مقدمة النظر صح

طويل فخذوا حذركم واعملوا في دفعه بحسن الحيلة فكركم
فان صائب الافكار يفعل ما لا يفعله الصارم البتار ان هذا البحر
ما يحمله بره وجيشه عدد اكالقطر والذر وهو وان كان كالوابل
الصيب لكنه اعمى لانه في بلاد نا غريب فعندي الرأى الصائب ان
نحصن المدينة من كل جانب ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد
وكلنا له مراقب مراصد ثم نحفر حولنا خنادق ونجعل اسوارها
البيارق والبوارق ونطير الى الآفاق اجنحة البطائق الى الاعراب
والاكراد والتراكمة وعشران البلاد فيتسلطوا عليه من الجوانب
ويثب عليه كل راجل وراكب ويصير ما بين قاتل وناهب و
خاطف وسالب فان اقام واتى له ذلك ففي شر مقام وان تقدم
الينا صافحناه بسواعد الاسنة واكف الدرق وانامل السهام
وان رجع وهو المرام رجع بخيبة واقيمت لنا عند سلطاننا
الحرمة والهيبة وان كان بسلطانه علينا عرج فلنا بحمد الله
سلطان وفي سلطاننا فرج واقل الاشياء ان نماده ونحترز من
جنده فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده وهذا الرأى
الاسد بعينه كان رأى شاه منصور الاسد فقال تمرداش
وهو نائب المدينة ما هذه الآراء المكينة ولا هذه الافكار الرصينة
بل المناضلة خير من المطاولة والمناجزة في هذا الموطن قبل
المحاجزة ومقام المنازلة لا يجدي فيه المغازلة ولكل مقام
مقال ولكل مجال جدال وهذا طير في قفص وصيد مقنص
فاغتنموا فيه الفرص وناوشوه الحرب وسابقوه بالطعن و
الضرب لئلا يتوهم منا الخور ويستنشى من ركود ريحنا عرف
الظفر فاجمعوا امركم واعجلوا ولا تنازعوا فتفشلوا و
انهضوا وثابروا واصبروا وصابروا فانتم بحمد الله اهل النجدة
واولوا الباس والشدة وكل منكم في فقه المناضلة مفن ومختار

يستنشق صح

وعلمه فى افاضة دماء الاعدآء منار وله فى ذلك كفاية وهداية
ونهاية غيره له بداية وهو لجمع الاسلام كنز وافٍ وجامع كافٍ
ووقاية تنحو السنة سيوفكم الى تكليم الرؤس فهى فى لفظها كافية
شافية وتصرف اسنتكم اسنانها فى مضاعفة كل ذى فعل معلّ
فرى فى تصريف عللها شافية كافية فان كسرناه فزنا بالمنال
وكفى الله المؤمنين القتال وتلك من الله تعالى معونة وقد كفينا
عساكر المصريين المؤنة وكان ذلك اعلى لحرمتنا واقوى لدود
النصر لشوكتنا واذكى لريح نصرنا واذكى وانكى لعينه السخينة
وابكى وان كانت والعياذ بالله الاخرى فلا علينا اذ بذلنا مجهودنا
واقمنا عذرا ومخدومنا يدرك ثارنا ويحيى آثارنا فتوكلوا على الله
العزيز الجبار واستعدّ والملاقاة هؤلاء الاشرار واذا لقيتموهم
زحفا فلا تولوهم الادبار ولا زال تمرداش يحسن لهم هذا الرأى
اللاش حتى اجمعوا عليه واتفقوا على الخروج اليه لانه كان صاحب
البلد وعلى كلامه المعتمد وكان تمرداش قد خالف الجمهور ووافق
فى الباطن تيمور وهذه كانت عادته وعلى المراوغة جبلت طينته
فانه كان كالشاة العايرة والمرأة الحايرة الغايرة اذا التقى عسكران
فلا يكاد يثبت فى احدهما بل يعبر الى هذا مرة والى هذا اخرى
مع انه كان صورة بلا معنى ولفظا بلا فحوى فاعتمد تيمور عليه
وفوض الامور اليه وكذلك عساكر الشام وجنود الاسلام ثم
حصنوا المدينة واوصدوا ابوابها وضيقوا شوارعها ودحابها
ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها وفتحوا الابواب التى تقابل
ملتقاه وهى باب النصر وباب الفرج وباب القناه ذكر ما صبه
من صواعق البين والبلبل على العساكر الشامية عنده وصوله الى حلب
ثم ان تيمور ثقل الركاب فوصل فى سبعة ايام الى حلب من عين
تاب فحل بذلك الخميس تاسع شهر ربيع الاول يوم الخميس وبرز

من ذلك العسكر طايفة نحو من الفى نفر فتقدم لهم من الاسود
الشاميه نحو من ثلثمايه فغلوهم بالصفاح وشلوهم بالرماح فبدّ
دوهم وطردوهم وخدّدوهم وشرّدوهم ثم اصبحوا يوم الجمعة
فبرز من عسكره نحو من خمسة آلاف الى مصاف النقاف فقدّم
لهم طايفة اخرى ارسالا وتترا فالتحم منهم النطاح واشتبكت بين
الطايفتين انامل الرماح فازدحموا واقتحموا واستدوا والتحموا
ولا زالت اقلام الخطّ فى الواح الصدور تخطّ والعضب الصمصام
لرؤس تلك الاقلام بالاعلام يقطّ ومشاريط النبال لدماميل
الدمال تبطّ والارض من انثقال جبال القتال تاطّ حتى سجى
ليلا الظلام والقتام واغطشا فتراجعوا وقد اعطى الله النصر
لمن يشا واجرى من دماء العدو مع تويق نهران وفقد من
العساكر الاسلاميه نفران ثم اصبحوا يوم السبت حادى عشره وقد
تعبّت الجنود الشاميه والعساكر السلطانيه بالعدة البالغه وهى
الاهبة السابغه والخيول المسوّمه والاعلام المعلمه ولم يعوزوا
الصناديد سوى شمة من النصر والتأييد ونحوا قصده وقصدوا
ردّه وصدّه واقبلت عساكره والسعد الميمون طايره والقضاء
موازره والقدر مظاهره بالجنود المذكوره والجيوش المعهوده
المنصوره تؤمّهم الافيال واقيال القتال واذا به قد اضمر لهم
الويل وعبّى عساكره تحت جنح الليل وبثّهم فيهم وارسل عليهم
عزاليهم وقابلهم بمقدّمهم وشغلهم باوايلهم واحاط الباقون
بهم فاتوهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم
فمشى عليهم مشى الموسى على الشعر وسعى سعى الدبا على الزرع الاخضر
وكان هذا الجولان على قرية جيلان ولما اهتمش امر الناس
وهاش وجاشت الهوشة والامتحاش وتهارشت الاسود
وانتطحت الكباش فرّت الميمنة وكان راسها تمرداش فانكسر

العسكر وطاش واخذ الابطال من الدهشة الارتعاش
وغلبتهم الحيرة والانبهار فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار ثم ولوا
الدبر وصارت لاقلامهم رماحهم ظهورهم الزبر واستمروا امامهم
يثوابون وعسكره وراءهم يخاطبون بمخفى ما قلت
جعلنا ظهور القوم فى الحرب اوجرها، رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا
فقصد والمدينة من الباب المفتوح وهم مابين مهشوم ومجروح
والسيوف تشقهم والرماح تدقهم وقد سالت بدمائهم الابطح
وتمر من اشاير لحمهم كل كاسر وجارح فوصلوا الى باب المدينة
وانكسروا وهجموا فيه يدا واحدة وتكدسوا ولا زال يدوس
بعضهم بعضا حتى صارت العتبة العليا من الباب ارضا فاستدت
الابواب بالقتلى ولم يمكن الدخول منها اصلا فتشتتوا فى البلاد
وتفرقوا فى المهامه والاطواد وكسر باب انطاكية المماليك
الاغتام وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام فوصل فلهم الى
دمشق فى بشع صورة وحكوا فى كيفية هذه الواقعة اشنع سيرة
وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا فضاقت عليهم الارض
بما رحبت فاستأمنوا ونزلوا بواسطة دمرداش اليه وقد غسل
كل منهم من الحيوة يديه ثم انه مشى على هينته مع وقاره ورزانته
وسكينته ودخل حلب ونال منها ما طلب وفاز بالروح والسلب
ولما نزل النواب اليه قبض على سيدى سودون وشيخ الخاصكى
واما تمرداش فخلع عليه وقبض على النوبغا العثمانى نايب صفد
وعلى عمر ابن الطحان نايب غزة وجعل الكل فى صفد وشرع فى
استخلاص الاموال وضبط الاثقال والانفال وقد ملأت
القلوب هواجس هيبته وانتشر فى الافاق شرار صولته
ثم انه لم يكتف بما ارهقه من النفوس حتى بنى الميادين من
الرؤس وسبب ذلك ان ذا قرابة البريدى الذى ارسله الى

حلب وضرب نايب الشام عنقه وسلبه السلب ذكر تيمور بقصته
واراد القود من اهل حلب لذى قرابته فاجاب سؤاله فمكنه فيمن
يختار منهم ان يفعل فيه ما استحسنه فقتل طايفة منهم وبنى من
رؤسهم كذا وكذا مئذنة زيادة ايضاح لهذه المحنة مما نقلته
من تاريخ ابن الشحنة قال اخبرنى الحافظ الخوارزمى ان من كتب
فى الديوان من عساكر تيمور ثمان مائة الف نفس ومنه ان تيمور
قصد قلعة المسلمين وكان نايبها الناصرى محمد بن موسى بن
شهرى وانه عصى عليه وكان يخرج للغارات ثم قال ما نصه
بحروفه وكان قد بدع بجمايع تمرلنك وطراشته مدة اقامته
على بهنسا وقتل منهم جماعة وارسل رؤسهم الى حلب وكسر
نوما ناجهزه اليه اقبح كسرة حتى رمى غالب جماعة بانفسهم الى
الفراة وجهز تمرلنك كتابه الى المشار اليه ونصه يقول فيه
انى خرجت من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامى وساير
ملوك البلاد حضروا الى وانت سلطت على جمايعى من يشوش
عليهم ويقتل من ظفر به منهم والآن فقد مشينا عليك
بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا
لنرى من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا عليك
وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
فاستعد لما يحيط بك ان ابيت الحضور فامسك المشار اليه
الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كتاب تمرلنك فمشى اليه اوايل
عسكره فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم وكسرهم وفى اليوم الثانى
حضر تمرلنك ونزل على قلعة المسلمين فبرز المشار اليه وقاتله
قتالا شديدا وكانت وقعة عظيمة رأى فيها تمرلنك شدة
حزم ورجع عن محاربته واخذ فى مخادعته وملاطفته و

وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا وما لا لاجل حرمته
فلم يخدع معه وتنازل معه الى ان طلب منه خاتما كذا فلم
يعطه وعاد خائبا واخذ المشار اليه فى اواخره قتلا ونهبا واسرا
كل ذلك وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما واحدا وانشد فيه
لسان الحال هذا الامير الذى صحت مناقبه ليث الوغا عمت الدنيا مفاخره
ولى تمرلنك مكسورا او ايله منه فرارا ومذعورا او اخره
وكان حصول تلك السعادة للمشار اليه دون غيره من الملوك
واصحاب الحصون لما كان فيه من العلم والديانه والاخلاص
والصيانة ولكونه من السلالة الطاهره العمريه رضى الله عنها
ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع الاول نازل تمرلنك حلب وكان
نايبها المقر السيفى تمرداش وقد حصرت اليه عساكر المملكة
الشاميه عسكر دمشق مع نايبها سيدى سودون وعسكر
طرابلس مع نايبها المقر السيفى شيخ الخاصكى وعسكر حماه مع
نايبها المقر السيفى دقماق وعسكر صفد وغزة فاختلفت ارائهم
فمن قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقايل آخر
اخرجوا ظاهر البلد بالخيام فلما راى المقر السيفى تمرداش
اختلافهم اذن لاهل حلب فى اخلايها والتوجه حيث شاؤا وكان
نعم الراى فلم يوافق على ذلك وضربوا خيامهم ظاهر البلد تلقاء
العدو وحضر قاصد تمرلنك فقتله نايب دمشق قبل
ان يسمع كلامه ويوم الجمعة حصل بين الاطراف تناوش
يسير فلما كان يوم السبت حادى عشر ربيع الاول زحف تمرلنك
بجيوشه وفيلته فولى المسلمون نحو المدينه وازدحموا فى الابواب
ومات منهم خلق عظيم والعدو وراهم يقتل ويأسر واخذ تمرلنك
حلب عنوة بالسيف وصعد نواب المملكه وخواص الناس الى
القلعة وكان اهل حلب قد جعلوا غالب اموالهم فيها وفى يوم الثلثا

وطلب صح

تاسع عشر ربيع الاول اخذ القلعة بالامان والايمان التى ليس
معها ايمان وفى ثانى يوم صعد اليها واخر النهار طلب علماءها و
قضاتها فحضرنا اليه فاوقفنا ساعة ثم امر بجلوسنا من معه من
اهل العلم فقال لأميرهم عنده وهو المولى عبد الجبار بن العلامة نعمان
الدين الحنفى والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم انى سائلهم
عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند وبخارا وهرات وسائر البلاد
التى افتتحتها فلم يفصحوا بجواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبنى الا
اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم فانى خالطت العلماء ولى بهم
اختصاص والفة ولى فى العلم طلب قديم وكان يبلغنا عنه انه يتعنت
العلماء فى الاسوله ويجعل ذلك سببا لقتلهم وتعذيبهم فقال
القاضى شرف الدين الانصارى الشافعى اعنى هذا شيخنا ومدرس
هذه البلاد ومفتيها سلوه وبالله المستعان فقال لى عبد الجبار
سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا
ام قتيلكم فوجم الجميع وقلنا فى انفسنا هذا الذى بلغنا عنه من
التعنت وسكت القوم ففتح الله على بجواب سريع بديع وقلت
هذا سؤال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب
عنه وانا اجيب بما اجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لى صاحبى شرف الدين موسى الانصارى بعد ان انقضت الجادثه
والله العظيم لما قلت هذا سوال سئل عنه سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم واجاب عنه وانا محدث زمانى هذا عالم نافد اختل
عقله وهو معذور فان هذا سوال لا يمكن الجواب عنه فى هذا
المقام ووقع فى نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تمرلنك الى
سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامى كيف سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت جاء اعرابى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول ان الرجل ليقاتل

حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا في سبيل الله فقال
صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو الشهيد
لفظ الحديث فهو في سبيل الله وكانه ذكره بالمعنى لاجل الضرورة و
المشاكلة الى فقال تمرلنك خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت
وانفتح باب المواسه وقال اني رجل نصف ادمي وقد اخذت
بلاد كذا وكذا وعدد سايير ممالك العجم والعراق والهند وساير بلاد
التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل
احدا فقال والله اني لم اقتل احدا قصدا وانما انتم قتلتم انفسكم
في الابواب والله لا اقتل منكم احدا وانتم آمنون على انفسكم واموالكم
وتكررت الاسولة منه والاجوبة منا فطمع كل من الفقهاء الحاضرين
وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسه والقاضي شرف
الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف
مايقول وكان آخر ماسال عنه ماتقولون في علي ومعويه ويزيد
فاسر الى القاضي شرف الدين وكان الى جانبي ان اعرف كيف
تجاوبه فانه شيعي فلما فرغ من سماع كلامه الا وقد قال القاضي
علم الدين القفصي المالكي كلاما معناه ان الكل مجتهدون فغضب
لذلك غضبا شديدا وقال علي على الحق ومعويه ظالم ويزيد
فاسق وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا
الحسين فاخذت في ملاطفته والاعتذار عن المالكي بانه اجاب
بشيء وجده في كتاب لا يعرف معناه فعاد الى دون ماكان عليه
من البسط واخذ عبد الجبار يسال مني فقال عني هذا عالم مليح
وعن شرف الدين وهذا رجل فصيح فسالني تمرلنك عن عمري
فقلت مولدي سنة تسع واربعين وسبعمائة وقد بلغت
الآن اربعا وخمسين سنة فقال للقاضي شرف الدين وانت كم
عمرك فقال انا اكبر منه بسنة فقال تمرلنك انتم في عمر اولادي

قال القاضي صح

انا

انا عمري اليوم بلغ خمسا وسبعين سنه وحضرت صلوة المغرب
واقيمت الصلوة وامتنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى جانبي قايما
يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني غدر بكل من في القلعة واخذ
جميع ماكان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة ما لا يحصى
اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ
من هذه القلعة وعوقب غالب المسلمين بانواع من العقوبة
وحبسوا بالقلعة مابين مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه
ونزل تمرلنك من القلعة واقام بدار النيابة وصنع وليمة على
ذي المغل ووقف ساير الملوك والتوامين في خدمته واداد
عليهم كوس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل واسر
وجوامعهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ونبش
الى آخر شهر ربيع الاول طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين و
اعاد السوال عن علي ومعوية فقلت لا شك ان الحق كان مع
علي وليس معوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلثون سنة وقد تمت بعلي فقال
تمرلنك قل على علي الحق ومعوية ظالم قلت قال صاحب الهداية
يجوز تقلد القضا من ولاة الجور فان كثيرا من الصحابة والتابعين
تقلدوا القضا من معوية وكان الحق مع علي في نوبته فانسر
لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامة بحلب وقال ان هذين
الرجلين نزول عندكم فاحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما
ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احدا من اذيتهما ورتبوا لهما علوفة
ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما في المدرسة يعني
السلطانية التي تجاه القلعة ففعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم
ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي ولي الحكم منهم بحلب وكان
يدعى الامير موسى بن حاجي طغاي اني اخاف عليكم والذي فهمته

من ياساق تمرلنك انه اذا امر بسوء فعل بسرعة ولا محيد عنه
واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليه وفى اول يوم من ربيع الآخر برز الى
ظاهر البلد متوجها نحو دمشق وثانى يوم ارسل يطلب علماء البلد
فرحنا والمسلمون فى امر مريج وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان
تمرلنك يطلب من عسكره رؤسا من المسلمين على عادته التى كان
يفعلها فى البلاد التى اخذها فلما وصلنا اليه جانا شخص من عمايه
يقال له المولى عمر فسالناه عن طلبنا فقال يريدان يستفتيكم فى
قتل نايب دمشق الذى قتل رسوله فقلت هذه رؤس المسلمين
تقطع ونحضر اليه بغير استفتاء وهو حلف ان لا يقتل منا احدا صبرا
فعاد اليه ونحن ننظره وبين يديه لحم سليق فى طبق ياكل منه
فتكلم معه بسر ثم جاء الينا شخص بشئ من ذلك اللحم فلم نفرغ
من اكله الا وزعجة قايمة وتمرلنك صوته عال وساق شخص
هكذا وآخر هكذا وجانا امير يعتذر ويقول ان سلطاننا لم يامرنا
باحضار رؤس المسلمين وانما امر بقطع رؤس القتلى وان نجعل
منها قبة قايمة لحرمته على جارى عادته ففهمنا عنه غير ما اراد
وانه قد اطلقكم فامضوا حيث شيتم وركب تمرلنك من ساعته
وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة ورايينا المصلحة فى الاقامة
بها واخذ الامير موسى احسن الله اليه فى الاحسان الينا وقبول
شفاعتنا وتفقد احوالنا مدة اقامته بحلب وقلعتها وتجيئنا
الاخبار ان سلطان المسلمين الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق
وانه كسر تمرلنك ومرة يجئ بالعكس الى ان انجلت القضية عن
توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل مع تمرلنك قتالا عظيما
اشرف تمرلنك منه على الكسر والهزيمة وانما حصل من بعض
امرآته خيانة كان ذلك سبب توجهه آخذا بالحزم ودخل
تمرلنك الى دمشق ونهبها وحرقها وفعل فيها فوق ما فعل

بحلب ولم يدخل طرابلس بل احضر له منها مال ولاجاور قلسطين
وعاد نحو حلب راجعا طالبا بلاده فلما كان سابع عشر شعبان
من السنة المذكورة وصل تمرلنك عايدا من الشام الى الجبول
شرقى حلب ولم يدخلها بل امر المقيمين بها من جهته بتخريبها و
احراق المدينة ففعلوا وطلبنى الامير عز الدين وكان من اكبر
امرآيه وقال ان الامير رسم باطلاقك واطلاق من معك و
اطلب من شيت وكثر لاروح معكم الى مشهد الحسين واقيم
عندكم حتى لا يبقى من عساكرنا احد وكان القاضى شرف الدين
لا يفارقنى فطلبنا باقى القضاة واجتمع معنا نحو من الفى مسلم
وتوجهنا الى مشهد الحسين صحبة المشار اليه واقمنا ننظر الى
النار وهى تضرم فى ارجايها وبعد ثلاثة ايام لم يبق بها احد
فنزلنا اليها فلم نر بها احدا فاستوحشنا وما قدرنا على الاقامة بها
من النتن والوحشة ولم نقدر على السلوك فى الطرقات من شر
ذلك كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسر بمكة سامر
وكانت نوآب بلاد الشام معه ماسورين وانفلتوا اولا باول وما
سودون بالبطن معه فى قبة يلبغا واستقر فى نيابة دمشق
تكرى بردى والله تعالى اعلم هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة كما
وجدته ذكر ورود هذا الخبر الذى اقلق ووصول استنبغا الدوادار
وعبد القصار الى حلب فورد من حلب استنبغا الدوادار والفتح
الماهر المدعو بمبارك وبعبد القصار وقالا معاشر المسلمين
الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين من يقتدر على هذا
فليطلب لنفسه طريق النجا ومن اطاق ان يشمر ذيله فالابين
فى دمشق ليله ولا يغالط نفسه بالمداهنة فليس الخبر كالمعاينة
فتفرقت الآرا واختلفت الاهوا وماج امر الناس موجا وتفرقوا
كما هود ايهم فوجا فوجا فبعض الناس انقصع وجهز امره وانزح

وبعضهم كابر واصر وكشر انيابه لاسنبغا وعبد القطار وهو
واراد وارجم هذين الناصحين وان يسقوهما كاس حين وقالوا انما
اردتما بذلك تبديد الناس وتشريدهم واجلاهم عن اوطانهم و
تجريدهم وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم والا فالامن حاصل والسلطان
بحمد الله واصل والنواب فى حلب كانوا شرذمة قليلة ولم يتم لهم
معه الفكر والحيلة مع انه حصل من بعضهم مخامرة ولم يوجد من
الباقين مناصحة ومظاهرة ولم يكن لهم راس فلا تاخذوا فى هذه
المسئلة بالقياس واما عساكر مصر فانهم كاملوا العدة سابغوا
العدة وفيهم للمسلمين فرج بعد الشدة فقالا نخن بعد اللتيا والتى
من شره سلمنا وما شهدنا الا بما علمنا وكل منا افصح عما ادى اليه
اجتهاده وابان ووالله انه فى نصيحته للمسلمين للنذير العريان وقد
نصحناكم ان كنتم مفلحين ولكن لا تحبون الناصحين واستمر امر
الناس فى الترديد والتشاغب والتفرق والتبديد والتشاعب
فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه وتوجه بعض الى الديار
المصريه وبعض تشبث باذيال الجروف العاصيه وتحصن آخرون
بالاماكن الغامضة القاصيه ذكر خروج السلطان الملك الناصر
من القاهره بالجنود الاسلامية والعساكر المنصورة ان السلطان خرج من غير توان
وتوجه بالعساكر والاستعداد التام الى جهة بلاد الشام فلما
بلغ الناس ذلك سكن جاشهم وزال استيحاشهم وردّ غالب
من كان ترنح منهم وانفرج الكرب والضيق عنهم واما اولوا
العزم وذو الرأى السديد والحزم فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان
بل طلبوا لنفسهم الامان وانتظروا ما يتولد من حادثات الزمان
وكان انامل الدهر الدايرة كتبت لهم على مرآة الخاطر ما انشده الشاعر
الا انما الايام ابناء واحد وهذى الليالى كلها اخوات
فلا تطلبن من غد يوم وليلة خلاف الذى مرت به السنوات

وقلت شعر

ان اختفى ما فى الزمان الآتى فقس على ما مر من اوقات

فصل ولما نخز تيمور امر حلب ضبط انقالها وما اخذ منها من
مال وسلب ووضعه فى القلعة ووكل به بعض امرائه من ذوى
الشجاعة والمنعة وهو الامير موسى بن طغاى وكان ذا عزم
سديد ورأى وتوجه بذلك البحر الطام غرة ربيع الآخر الى جهة
الشام فوصل الى حماه ونهب ما حوت يداه ولم يحتفل بامر نهب
واسير ولا باسراع فى مسير بل سار رويدا وهو يكيد كيدا
يكيد ونكيد احكايه رايت حين توجهت الى بلاد الروم فى
اوايل شهر ربيع الاول سنه تسع وثلاثين وثمان مايه عند
وصولنا الى حماه بالجامع النورى بها من الجانب الشرقى على
حايطه القبلى نقشا على رخامة بالفارسى ما ترجمته سبب تصوير
هذا التسطير هو ان الله تعالى يسر لنا فتح البلاد والممالك حتى
انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد فجاورنا سلطان
مصر ثم راسلنا وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف والهدايا
فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا بذلك
ان تنعقد المودة بين الجانبين وتتاكد الصداقة من الطرفين
ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا
وارسلهم الى سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم
من هذا اتوجهنا لاستخلاص متعلقينا من ايدى مخالفينا
واتفق لذلك نزولنا بحماة فى العشرين من شهر ربيع الآخر
سنة ثلث وثمانمايه فصل ثم وصل الى حمص فلم يتعرض لها
بتشتيت وتبديد ووهبها السيدى خالد بن الوليد رضى الله عنه
الا لاتجاور سوى الخيرين احيا وكن جارهم فى القبور
الوتر حمص وسكانها نجوا من بحار بلايا تمور

قلت بديهاً

لانهم جاوروا خالدا ومن جاور الاتقيا لا يبور
وخرج اليه شخص من آحاد الناس يدعى عمر بن الرواس فاستجاب
خاطره وكانه قدم اليه تقدمة فاخرة فولاه امور البلد وركن
اليه واعتمد وولى قضا تلك البلاد رئيسا يدعى شمس الدين
ابن الحداد ونادى بالامان للقاصى والدان وتبايعوا بها وتشاروا
وفى استفادة ربح الامن لم يتماروا ثم ان نايب الشام ضعف معه
ومات على قبة يلبغا ونايب طرابلس هرب منه والخلاص ابتغى
فوصل الى مدينته واستقر فى ولايته فاضطرم غضبا واستشاط
لهبا واشتعل قيظ غيظه وقتل كل من وكله بحفظه واسعرهم
سقر وكانوا ستة عشر واما عمر داش فانه داراه ومارى وهرب
منه فى قارا واستمر علاء الدين التونبغا العثمانى نايب صفد
وزين الدين نايب غزة وغيرهما معه فى صفد ثم سار وما ارتبك
حتى نزل بعلبك فخرج اهلها ودخلوا عليه وترامواطا لبين
الصلح بين يديه فلم يلتفت الى هذا المقال وارسل فيهم جوارح
النهب والاستيصال وقرب السلطان ايضا ثم ارتحل مجريا
ذلك البحر الزخار والسيل التيار والطوفان الثرثار حتى اشرف
على دمشق من قبة سيار ووصلت العساكر المصرية والجنود
الاسلامية وقد ملاوا الفضا واشرق الكون منهم واضا
فيا لق سهامها لحب قلب من نوى الخلاف فالقه وصواعق سيوفها
فى عقاص كل عقص صاعقه ونصال رماحها لرتق سماء الارواح
عن ارض الاشباح فاتقه وقد طلبوا الاطلاب وحزبوا الاحزاب
وعبوا الميمنة والميسرة ورتبوا المقدمة والمؤخرة وسووا القلب
والجناح وملاوا البطاح والبواح وساروا بالمقانب المكتبة
والكتايب المقنبة والمواكب المركبة والمراكب المكوكبة والمراتب
المقربة والقربات المرتبة والسلاهب المجنبة والنجايب التى

هى على اكل اللحم مسلهبة وفى كل كتيبة من الاسود الضراغم
ومن النسور القشاعم قلت

وربّ ذى لجب كالطود ذى حنق كانه البحر فى اثناه غايات
بحران فى كل موج منهما اسد يلاعب الموت فى كفيه حيات
كل يرى العين معناه وصورته عند النزال وان ينزل فشظفات
ان يسر تلق السما فى الارض دايرة او سار تعقد ارضا منه غبرات
وقد تنكبوا حنايا المنايا وتقلدوا سيوف الحتوف واعتقلوا
الذوابل النواهل وثبتوا حيث نبتوا فكانهم خلقوا من كواهل
الصواهل قلت شعر

كان الجو ثوب لازوردى يزركش سنجه قطب الرماح
فان عقد القتام عليه ليلا ادرتك صفاحه لمع الصباح
وكان نجومه النشاب ترمى شياطين الكفاح لدى النطاح
ولازالت افواج هذه الامواج على هذا المنهاج متلاطمة
وانباج هذا البحر العجاج تحت العجاج متصادمة وكل ينادى
بطريق المفهوم وما منا الا له مقام معلوم فوصلت غيلان
الوغى الى قبة يلبغا يوم الاحد العاشر من شهر ربيع الآخر
عام ثلثة وثمان ماية من الهجرة فنزل كل من العساكر يمنة و
يسرة واستقرت العساكر والامرآء الاسلامية فى الدور والمساكن
ونزلت الجنود التتارية غربى دمشق من داريا والى قطنا
والحولة وما يلى تلك الاماكن ودخل بعض انقال السلطان
الى البلد وتحصنت القلعة والمدينة بالسلاح والعدد ثم
اخذ كل من الجيشين حذره وتحرز للمقابلة والمقاتلة امره و
حفروا الخنادق وسد كل على الآخر افواه المضايق وشرعوا
فى المهاوشة والمناوشة والمهارشة والمعانشة ثم امر السلطان
العساكر بالبروز من المدينة الى الظاهر وجعل يخرج من

المدينة رؤساء اعيانها وتنحاز فى المقاتلة الى سلطانها والاطفال
الصغار يجارون الى الجبار وينادون بحرقه كل ليلة فى الازقة
يا الله يا رحمن انصر مولانا السلطان والناس فى اضطراب وحركات
يستنزلون النصر والبركات ويستغيثون الليل والنهار يا مجاهدون
الاسوار واستشهد من رؤساء البلد فى تلك الايام قاضى القضاة
برهان الدين الناذكى المالكى الحاكم بالشام وشلت يد قاضى القضاة
شرف الدين عيسى المالكى بضربة حسام وجعلوا يأتون بمن يظفرون
به من العدو فيقتلونه وبما غنموا منهم من ناطق وصامت فيشهرون
ذكر واقعة وقعت ومعركة صدعت لو انها نفعت ثم فى بعض
الايام تقدم من اولئك الاغتام نحو من عشرة الاف وزحفوا الى
ميدان المصاف فنهض لهم من العساكر الشامية نحو من خمسمايه
ثم اتبعهم الامير اسنباى فى نحو من ثلثمية قلت

اسود اذا لاقوا ظباء اذا عطوا جبال اذا ارسوا بحار اذا سروا
شموس اذا لاحوا بدور اذا انجلوا رياح اذا هبوا غمام اذا هموا
صقور اذا انقضوا نمور اذا سموا رعود اذا صاحوا صواعق ان رموا

مع كل منهم خطار تسجد قدود الملاح لخطراته وبتار يتعلم سفك
الدماء من لحظاته وحنية تضاهى حاجبه وسهام فى تشبهها
باجفانه صائبة وترس لين اللمس اذا تغطى به رأيت البدر على
الشمس وعليه خوذة كانها من لمعات وجنته مأخوذة او من بوارق
طلعته مفلوذة اذا نظر الطرف اليها يأخذه الانبهار يكاد سنا
برقها يذهب بالابصار ولبوس اشبه لابسه وصار ملابسه
ظاهره حريرنا عم كبشرته وباطنه حديد كقلبه فى قسوته وقد
امتطوا الفحول فى نجايب الخيول فكان بدور تلك الجموع مع
الرماح الملتهبة الاسنة عرس تجلى تحت الشموع وتوجهوا الى
حومة الوغى وتلاقوا فى وادى خلف قبة يلبغا فصل ولما رأت

هذه الاسود تلك الذياب والكلاب كانوا كالمؤمنين وقد
رأوا الاحزاب فبان منهم صحيح الضرب وعليله وقالوا هذا ما
وعدنا الله ورسوله فاحاط اوليك بهؤلاء لكثرة الغلبة و
ادار والفرضهم على هذه البحور الدائرة المجتلبة وحين صاروا
فى خباء هذه الدايرة كالغروض اشتغلوا بالضرب وتقطيع الدايرة
بالحرب العضوض فاول ما اضمروا لهم فى ذلك الزحف قطع الراس
وخبل العقل وقطف الكف فصلموا بالرمح الطويل عقلهم و
ثلموا بالرشق المديد شكلهم وبتروا بالعضب البسيط وافرهم
وشتروا بالسهم السريع كاملهم فحذوهم وقصموهم وخزموهم وخرموهم
وشعثوهم وثرموهم وجمتوهم وقصوهم وعصبوهم وعقصوهم
وخزلوهم ونقصوهم فردوا صدورهم على الاعجاز وسدوا
على حقيقة الخلاص منهم المجاز فانكشفوا عنهم وهم ما بين
مشطور ومقطوع ومحذوف ومجزر ومنهوك وموقوف
ورجع اسنباى المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك
حفيفهم واجتث بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم وخفيفهم
وتسبيغ سوابغهم بالنصر مرقل وبالتمكين التام مذيل وبيت
دايرتهم المشققة امن من الخلل وعروضه وضربه سالم من
الزحاف والعلل ذكر ما افتعله سلطان حسين ابن اخت تيمور
من الكر والمين ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور اظهر
انه خاسر على خاله وجاء الى السلطان وفى باطنه امور وكان
شابا ذا شجاعة وعنده طيش ودقاعة فاظهروا بقدومه
الفرح واستشعروا النصر والمرح وكان فى راسه جمة شعر
فازالوه وخلعوا عليه وفى زيهم اظهروه فصل ثم ان تيمور
اشاع انه خار وتتعتع فرحل قليلا ورجع القهقرى وتكعكع
كل ذلك من مكايده وحبايل مصايده ذكر ما نجم من النفاق

وبيان ذلك انه بلغه ان الخلاف واقع
بين الامراء المصرية وانهم يسعون فى خلعه
او ذلك وانه ظهر الخوف وشاع انه راحل
ليشتتهم عن الفوز بغنائمهم فتاهبوا على الفور
لهم من ليهم بثبات ولا قرار

بين العساكر الاسلاميه وعدم الاتفاق وكان اذا بك العسكر
وكافل الملك الناصر الاميرالكبير ياش بيك وتحت يده
الاكابر والاصاغر والجند وان كان مدده كثيراً والجيش وان
تراءى عدده غزيراً لكن كان كل منهم اميراً ولم يكن شئ منهم
سوى الرأس صغيراً فتشتت اراؤهم وتصادمت اهواؤهم
وانتقلت اشعار شعارهم من الدايرة المؤتلفة الى الدايرة المختلفة
ونقل كل منهم وزن بيته الى عروض واخذ فى عرض صاحبه
بالتقريض وظهرت فى تلك الساعة آيات الرحمن فى اختلاف
الالسنة والالوان وصاروا فى دعاية الرعية كالذيب والضبع
وسلطوا على دعي هزيلها النمر الغضوب والسبع ولحق فى سند
هذا الحديث الاصاغر بالاكابر والاسافل بالاعالى والاوايل
بالاواخر وصاروا كما قال الشاعر

تفرقت غنمى يوماً فقلت لها ... سلط عليها الذيب والضبعا

وتوجه منهم رؤس الى القاهرة تاركاً كل منهم قوته وناصره
وصدقوا تيمور فى نفيه عنهم معرفة السياسة والدربة فى سلوك
طرايق الرياسة فصل ولما علم الغابرون ما فعله السابرون
لم يسعهم غير تشمير الذيل واتباعهم تحت جنح الليل ومن تخلف عن
القوم اواخذته سنة او نوم وقع فى الشرك وهوى به الى اسفل
الدرك وكان الناس فى الليل والنهار ملازمين الاقامة على
الاسوار وكل قد فرح وابتهج وتيقن انه قد حصل له من سلطانه
فرج ففى بعض الليالى صعد الناس الى مكان عال واذا باماكن
مخيم السلطان قد مليت من النيران ولم يعرف احد ما الخبر
غير ان الدنيا ملئت بالشر والشرر واصبحوا وقد خلت الديار
ولم يبق فى قبة يلبغا نافخ نار فخشعت اصواتهم وسكنت حركاتهم
فجعلوا يتهافتون وفيما بينهم يتخافتون وماج الشر واضطرب

وقال

وقال الناس السلطان هرب فانقصم ظهر الناس وايقنوا حلول
الباس وتفاقمت الهموم وتعاظمت الغموم وتقطعت بهم الاسباب
وشمل الخلايق انواع العذاب وضاقت الحيل كالصدور وتخبطت
الاوامر والامور فصل ثم ان تيمور حمد ربه ورحل من مكانه
ونزل القبة والقى عصاه ونام مستريحاً على قفاه وناداً بمعنى
ما قلت شعر الحمد لله نلنا ما نؤمله ... والضد ادبر والمأمول قد حصلا

وحفر الخنادق حوله وبث فى الاطراف رجله وخيله وارسل
الطلب ورآء من هرب وصار كلما اتى باحد من اجناد الرجال
امر بالقائه بين يدى تلك الافيال فتفعل معه الافيال فى
تلك الفلاة ما تفعله المواشى يوم القيمة فى مانع الزكوة
فصل فاما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم لانه نشز
نشوز الغيم وانساب انسياب الايم وتوجه على وادى التيم
فانتشرت شياطين تيمور فى الارض وملأت الطول والعرض
ووصلت طواشتهم الى اطراف البلاد وضواحيها وعامة
القرى ونواحيها وجعلوا من كل حدب ينسلون فى مشارق
الارض ومغاربها التى بارك الله فيها وتقدموا الى المدينة
وكانت كما ذكر بالاهبة حصينة وبانواع الاستعدادات مكينة
مسدولة الحجاب مغلقة الابواب فتمنع اهلها عليهم ولم يسلموها
اليهم رجاء ان يشموا من النجدة الارج او يمن الله عليهم بعد هن
الشدة بفرج فاستمروا على ذلك نحو من يومين ثم استيقنوا
من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين فكان قدوم السلطان
وذهابه بالعساكر كما قال الشاعر

كما ابرقت قوما عطاشا غمامة ... فلما رأوها اقشعت وتجلت

ذكر خروج الاعيان بعد ذهاب السلطان وطلبهم من تيمور الامان
ولما خانتهم الظنون وعلموا انه حل بهم ريب المنون اجتمع من

المدينة الكبرا والموجود من الاعيان والرؤسا وهم قاضى
القضاة محيى الدين محمود بن العز الحنفى وولده قاضى القضاة
شهاب الدين وقاضى القضاة تقى الدين ابرهيم بن مفلح الحنبلى
وقاضى القضاة شمس الدين محمد الحنبلى النابلسى والقاضى
ناصر الدين محمد بن ابى الطيب كاتب السر والقاضى شهاب
الدين احمد بن الشهيد الوزير وكان منصب الوزارة اذ ذاك
ابهة ما فى الجملة والشيخ شهاب الدين بن الحسبانى الشافعى
والقاضى برهان الدين بن القوشة الحنفى نايب الحكم رحمهم الله
فاما القاضى الشافعى وهو علاء الدين بن ابى البقا فانه هرب
مع السلطان وقاضى القضاة المالكى وهو برهان الدين التادلى
فانه استشهد كما ذكر فخرج هؤلاء الاعيان وطلبوا منه الامان
بعد ما وقع منهم المشاورة والاتفاق ونظمت كلمتهم فى سلك
الوفاق فصل ولما اقلع السلطان بفلك عساكره المشحون
وقع فى بحر العساكر التيمورية قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون
وكان من اعلام الاعيان وممن قدم مع السلطان فلما فتل
السلطان وفرك كانه كان غافلا فوقع فى الشرك وكان نازلا
فى المدرسة العادلية فتوجه هؤلاء الاعيان اليه فى تدبير
هذه القضية فوافق فكرهم فكرهم فملكوه فى ذلك امرهم وما
وسعهم الا استصحابه معهم وكان مالكى المذهب والمنظر
اصمى الرواية والمخبر فتوجه معهم بعمامة خفيفة وهيئة
ظريفة وبرنس كهو دقيق الحاشية يشبه من دامس الليل
الناشية فقدموه بين يديهم ورضوا بقوله وافعاله لهم
وعليهم وحين دخلوا عليه وقفوا بين يديه واستمروا واقفين
وجلين خايفين حتى سمح بجلوسهم وتسكين نفوسهم ثم هش
اليهم ومن ضاحكا عليهم وجعل يراقب احوالهم ويسبر بمسبار

عقله

عقله اقوالهم وافعالهم ولما راى شكل ابن خلدون شكلهم مباينا
قال هذا الرجل ليس من ههنا فانفتح للمقال مجال فبسط لسانه وسيذكر
ما قال ثم طووا بساط الكلام ونشروا سماط الطعام فكوموا تلالا
من اللحم السليق ووضعوا امام كل ما به يليق فبعض تعفف عن
ذلك تنزها وبعض تشاغل عن الاكل ولها وبعض مد يده واكل
وما جبن فى مصاف الالتهام ولا نكل والى الاكل ارشدهم ونادا
وانشدهم كلوا الكل من ان عاش خبر اهله وان مات يلقى الله وهو بطين
وكان من جملة الاكلين قاضى القضاة ولى الدين كل ذلك وتيمور
يرمقهم وعينه الخزر أتسرقهم وكان ابن خلدون ايضا يصوب نحو
تيمور الحدق فاذا نظر اليه اطرق واذا ولى عنه رمق ثم نادى
وقال بصوت عال يا مولانا الامير الحمد لله العلى الكبير لقد شرفت
بحضورى ملوك الانام واحييت بتواريخى ما مات لهم من ايام
ورأيت من ملوك المغرب فلانا وفلانا وحضرت كذا وكذا سلطانا
وشهدت مشارق المغرب ومغاربها وخالطت فى كل بقعة
اميرها ونايبها ولكن لله المنة اذا مد بى زمانى ومن الله
على بان احيانى حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة والمسلك
بشريعة السلطنة على الطريقة فان كان طعام الملوك يوكل
لدفع التلف فطعام مولانا الامير يوكل لذلك ولنيل الفخر و
الشرف فاهتز تيمور عجبا وكاد يرقص طربا واقبل بوجه الخطاب
اليه وعول فى ذلك دون الكل عليه وسأله عن ملوك المغرب
واخبارها وايام دولها وآثارها فقص عليه من ذلك ما خرع
عقله وخلبه وجلب لبه وسلبه وكان تيمور فى سير الملوك و
الامم امة وابا التاريخ شرقا وغربا وامة وسيذكر لهذه المعانى
بديع بيان فصل وبينما هم يوما قاعدون فى حضرة ذلك البصير
واذا بالقاضى صدر الدين المناوى فى ايديهم اسير وكان قد تبع

بالحديث صح

السلطان فى الهرب فادركه فى ميسلون الطلب فقبضوا عليه
واحضروه بين يديه واذا هو بهامة كالبرج وارداف كالخرج
فتخطى الرقاب وجلس من غير اذن فوق الاصحاب فاستشاط تيمور
غضبا وملأ المجلس لهبا وانتفخ سحره وسبر غيظا بحره وشخر وتخر
ومخر بحر حنقه وزخر وامر طائفة من المعتدين بالتنكيل بالقاضى
صدر الدين فسحبوه سحب الكلاب ومزقوا ما عليه من ثياب
واوسعوه سبا وشتما واشبعوه ركلا ولكما ثم امرهم بتشديد
اسره وتجديد كسره وترادف الاساءة اليه وتضاعف الكسرات
على رغم التصريفيين عليه فاخرج اخراج الظالم يوم يولى مدبرا ما له
من الله من عاصم ثم تراجع تيمور الى مكان فيه من ترتيب غوايله و
دواهيه فالبس كلا من هؤلاء الاعيان خلعة واقامه عنده فى عزة
ورفعة ثم ردهم منشرحى الصدور فى دعة وسرور وفى خاطره
شرور وامور تمور فساروا وقد صاروا قلت

كالهدى زينه المهدى وعظمه وعن قريب لضيف الموت اطعمه

وشرط لهم ولذويهم الامان على ان يدفعوا اليه اموال السلطان
وماله وللامراء من اثقال وتعلقات واموال ودواب ومواش
ومماليك وحواش ففعلوا ما به امر ورفعوا اليه ما بطن من ذلك
وما ظهر واما القلعة فانها استعدت للحصار وكان نايبها يدعى
ازدار فحصنها وبالاهبة الكاملة مكنها وانتظر من السلطان نجدة
او مانع ربانى يفرج عنه الشدة فلم يلتفت تيمور فى اول الامر اليها
ولا احتفل بها ولا عرج عليها بل صرف همه الى تحصيل الاموال
وتوسيق الاحمال بالاثقال فلما حصل الثقل والى خزانته انتقل
طرح على المدينة اموال الامان واستعان على استخلاصها بهؤلاء
الاعيان واقام عليهم دواوينه وكتبته واهل الضبط والخرص
من مباشريه وحسبته وفوض ذلك الى كفاية الله داد احد

ارطان

اركان دولته ومن عليه الاعتماد وهو اخو سيف الدين المار
ذكره فى اول الكتاب لامه واقام معهم كل جبار عنيد ومن نشأ فى
حجر الفظاظة ورضع ثدى طالمه ونادى بالامان والاطمينان
وان لا يبغى انسان على انسان فمد بعض الجغتاى يده الى غارة بعد
ما سمعوا هذا النداء واشتهاره فبلغ ذلك تيمور فامر بصلبهم فى
مكان مشهور فصلبوهم فى الحريرتين براس سوق البرزوريتين
ففرح الناس بهذه الفعله واملوا خيره وعدله وفتحوا من ابواب
المدينة باب الصفير وشرعوا يحردون امر المدينة على النفير و
القطمير فوزعوا هذه الاموال على الحارات وتنادى اهل الظلم
والعدوان من القريب والغريب يا للثارات وجعلوا دار الذهب
مكان المستخلص وطفقوا يلقون الناس فى ذلك المقنص و
تسلط بعض الناس على البعض واصطادا رانب الارض بكلاب
الارض وكان فصل الخريف كجيش مصر قد قتل وفصل الشتاء
بزمهريره كجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل فانتقل الى
القصر الابلق ثم الى بيت الامير بتخاص وامر بالقصر ان يهدم
ويحرق ودخل الى المدينة من باب الصفير فى جمع كثير وصلى
الجمعة فى جامع بنى امية وقدم الحنفية على الشافعية وخطب به
قاضى القضاة محيى الدين محمود بن العز الحنفى المذكور وجرى
ما يطول شرحه من امور وشرور ووقع بين عبد الجبار
بن النعمان الخوارزمى المعتزلى وبين علماء الشام لا سيما قاضى
القضاة تقى الدين ابرهيم بن مفلح الحنبلى مناظرات ومناقشات
ومباحثات ومراجعات وهو فى ذلك كترجمانه يخاطبهم فى
جميع ذلك بلسانه فمنها وقايع على معويه وما مضى بينهم فى
تلك القرون الخالية ومنها امور يزيد وما يزيد وقتله حسين
السعيد الشهيد وان ذلك ظلم وفسق بلا نكر ومن استحله

فهو واقع فى الكفر ولا شك ان ذلك الفعل الحرام كان بمظاهرة
اهل الشام فان كانوا مستحليه فهم كفار وان كانوا غير مستحليه فهم
عصاة وبغاة واشرار وان الحاضرين على مذهب الغابرين فحصل
منهم فى ذلك انواع الاجوبة فمنها ما ردّه ومنها ما عجبه الى ان
اجاب كاتب السرّ واجاد واصاب فيما قال لو افاد اطال الله البقاء
بقاء مولانا الامير اما انا فنسبى متصل بعمر وعثمان وان جدّى
الاعلى كان من اعيان ذلك الزمان وحضر تلك الوقايع وخاض
هاتيك المعامع وكان من رجال الحق وابطال الصدق وما توانى
من فعله وضعه الشئ فى محله انه توصل الى راس سيدنا الحسين
ونزهه عما حصل له من ابتذال وشين ثم نظفه وغسله وعظمه
وقبله وطيبه وجعله ووارا فى تربه وعد ذلك عند الله تعالى
افضل قربه فلذلك ايها الغمام الصيب كنوه بابى الطيب وعلى
كل تقدير يا مولانا الامير فتلك امة قد خلت وهموم غمام غمورها
انجلت وبما جرعت انقضت وبما اذاقت مرت اوحلت وفتن
اراحنا الله اذ اراحنا عنها وما اظهر الله سيوفنا منها واما الشاعة
فاعتقادنا اعتقاد اهل السنة والجماعة فلما سمع هذا الكلام
قال يالله العجب وما سميتم باولاد ابى الطيب الا لهذا السبب ابى
القسم بن عبد المنعم بن محمد بن ابى الطيب الهروى العثمانى فقال
لك المعذرة يا ظاهر الاسلاف لولا انى ظاهر العذر لحملتك
على عاتقى والاكتاف ولكن سترى ما افعله معك ومع اصحابك
من التكريم والالطاف ثم انه ودعهم وبالتعظيم والاحترام شيعهم
ومنها انه سالهم كنايه سؤال اضرار ونكايه فقال ما اعلى الرتب
درجة العلم او درجة النسب فادركوا قصده وفهموا ولكن عن
ردّ الجواب وجموا وعلم كل منهم انه ابتلى فابتدر الجواب القاضى
شمس الدين النابلسى الحنبلى وقال درجة العلم اعلى من درجة

قال نعم وشهد لى بذلك القاصى والدانى
وانا محمد بن عمر بن محمد بن ابى القاسم
صح

النسب

المقرى

النسب ومرتبتها عند الخالق والمخلوق اسنى الرتب والمجد بين
الفاضل يقدّم على المجهان للجاهل والمعرّف المنيف اولى للامامة
من النسيب الشريف والدليل فى هذا جلى وهو اجماع الصحابة
على تقديم ابى بكر على على وقد اجمعوا ان ابا بكر اعلمهم وانبتهم
قدما فى الاسلام واقدمهم واثبات هذه الدلالة من قول صاحب
الرسالة لا تجتمع امتى على الضلالة ثم اخذ فى نزع ثيابه مصيخا
لتيمور وما يصدر من جوابه ففكك ازراره وقال لنفسه انما
انت عارة وكاس الموت لابد من شربها فسواء ما بين بعدها
وقربها والموت على الشهادة من افضل العباده واحسن احوالها
لمن اعتقد انه الى الله صاير وكلمة حق عند سلطان جاير فسأل
ما يفعل هذا المهمل فقال يا مولانا الجليل ان فرق عساكرك
كام بنى اسرائيل وفيهم من ابتدع وابدع وتقطعوا فى مذاهبهم
قطعا وفرقوا دينهم وكانوا شيعا ولا شك ان مجالس حضرتك
تنقل وعقائل مباحثها تحل الصدور فتعقل واذا ثبت هذا
الكلام عنى ووعاه احد غير سنى خصوصا من ادعى موالاة على
وتسمى فى رفضه ابا بكر بالرافضى وتحقق منى يقينى وانه
لا ناصر يقينى فانه يقتلنى جهارا ويريق دمى نهارا واذا كان
كذلك فانا استعد لهذه السعاده واختم احكام القضا بالشهاده
فقال لله هذا ما افصحه واجراه فى الكلام واوقحه ثم نظر الى
القوم وقال لا تدخلن هذا على بعد اليوم فصل وهذا الرجل
اعنى عبد الجبار كان عالم تيمور وامامه وممن يخوض فى دماء
المسلمين امامه وكان عالما فاضلا فقيها كاملا بحاثا محققا
اصوليا جدليا مدققا وابوه النعمن فى سمرقند كان يقال له
النعمن الثانى وكان من القائلين بعدم الرؤية فى الاخرى
فاعمى الله تعالى بصره كبصيرته فى الدنيا واكثر علماء عصره بما وراء

وهو فى الفروع من اعلم
اهل الزمان حتى كان صح

النهر قرأ عليه الفروع ونقل عنه مسائل المشروع ولا خلاف
في الفروع بين اهل السنة واهل الاعتزال وانما اختلافهم في
اصول الدين في مسائل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال
فصل وتصدى لاستخلاص الاموال من اهل الشام كل غشوم
ظلام وكفور صدام ومن كان في قلعة وفاقه كصدقة بن الجاب
وابن المحدث وعبد الملك بن التكريتي المنبوز بسماقه وغيرهم
من نظرائهم من عواقب الظلم وابنائهم مع حضور اكابر المدينة
واعيانها المار ذكرهم ورؤساء قطانها فانه لم يمكنهم في ذلك
ان يتخلفوا ولا يتقاعسوا لحظة ولا يتوقفوا بحضور داوينه
وحسابه وضابطي امور خزاينه وكتابه ومنهم خواجه مسعود
السمناني ومولانا عمر وتاج الدين السلماني كل ذلك في دار
الذهب وهو مكان مشهور ونزل الله داد داخل باب الصغير في
دار ابن مشكور وجعل كل من في قلبه من احد ضغينة او سخيمة
دفينة او غل او حسد او حقد او تكد ينغز عليه اخوته اولئك
الظلمة الفظاظ والزبانية الشداد الغلاظ وجعلوا شعر
لا يسئلون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
بل بادى اشارة واقل عبارة يبنون على ارض وجود ذلك
المسكين من جبال النكال قصورا شواهق ويُنشؤن على حدائق
ذابة من سماء العذاب سحاب عقاب ترعد عليه صواعق ويبرق له
من الدماء والبوار بوارق فصل ثم انه صار في هذه المدة
يحاصر القلعة ويُعد لها ما استطاع من عُدة وامر ان يبنى
مقابلها بناء يعلوها ليصعدوا عليه فيهدوها فجمعوا الاخشاب
والاحطاب وعبوها وصبوا فوقها الاحجار والتراب ودكوها
وذلك من جهة الشام والغرب ثم علوا عليه وناوشوها الطعن
والضرب وفوض امر الحصار لاميرٍ من امرائه الكبار يدعى

جهان شاه فتكفل بذلك وعاناه ونصب عليها المجانيق ونقب
تحتها وعلقها بالتعاليق وكان فيها من المقاتلة فئة غير طائلة
امثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقي وشهاب الدين احمد
الزردكاش الحلبي فابليا في اهلاك عسكره بلاء حسنا وكانا
على جيشه كلما فاء الى فنائهم وبأمصيبة وفنا فاهلكا من جيشه
بالاحراق وادعاد المدافع والابراق مافات العدة وتبدد عن
دائرة الحد ولكنه لما احاط بها من بحار بحريته سيل عرم سائلها
وامطر عليها من سهام غمام رماته وصواعق بوارق كماته صيب
وابلها اتاها العذاب من فوقها ومن تحتها وعن ايمانها وعن
شمائلها وكلت عن المجابذة والمنابزة ايدى مقاتلها فطلبوا
الامان ونزلوا اليه من غير توان وكل هذا الامر المهول والقضاء
العجب في اواخر شهر ربيع الاخر وجمادين وشهر رجب ولكن
ما نال من القلعة روما الا بعد محاصرتها ثلثة واربعين يوما
وصار في هذه المدة يتطلب الافاضل واصحاب الحرف والصنايع
وارباب الفضايل ونسج الحرير توت له قباء بالحرير والذهب ليس
له درز فاذا هو شئ عجب وبنى في مقابر باب الصغير قبتين
متلاصقتين على تربة زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وامر
بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم
ذكر ما صنعه بعض الاكياس من الناس خوفا من ان يجعل به الباس
ووفى بنفايسه النفوس والانفاس وكان في صفد تاجر من اهل البلد
احد الرؤساء والتجار يدعى علاء الدين وينسب الى دوادار
كانه تقدمت له خدمة على السلطان فولاه حجبة ذلك المكان
فلما توجه النواب الى حلب والعادة ان ينوب عن نايب البلدة
في غيبته من حجب ناب عن نايب صفد التونبغا العثماني حاجبها
علاء الدين الدوادار ففرق في اسر ذلك الطوفان كل النواب

ومن جملتهم العثمانى وابن الطحان ومات منهم من مات وفر من فر
واستمر فى قيد الاسر التنبغا وعمر فلما قدم تيمور الشام وحل بها
منه ما يحل من قضاة السوء باموال الايتام شرع كل متول فى بلاده
يفعل ما ادى اليه الاجتهاد فبعض حصن اماكنه وبعض مكن
كمائنه وطائفة استخزت للنفاد وفرقة استوفزت للفرار
وقوم سالموا وساكنوا وهادوا وهادنوا ففكر علاء الدين
المذكور وقدر وتامل فى خلاص صاحبه وبلده وتبصر وكان
من ابناء الناس وعنده ذوق الاكياس واستشار مصيب عقله
فى ذلك واستنطقه فقال دارِه بما معك من مال واترك سرب
الفراد ونفقه وما كذبه اذ قال له كل مداراة عن العرض ستر له
وصدقه وكان ذا مال ممدود فقال ما ادخرت الدنانير الصفر و
الدراهم البيض الا للايام السود فطلب من تيمور الرياضة وارد
ان يجسّ او لا بمجاملته المخاضة فعالج هذا الامر علاج النطس
المريض وباد د بالمهادنة حول الجريض دون القريض فارسل
اليه اجناسا من ماله الطويل العريض واستمال خاطره واستدعى
اوامره ثم ارد فها باضعافها واضعف خواصرها بارد افها فشكر
تيمور له صنعه وزاده ذلك عنده منزلة ورفعة وارسل اليه
مرسوم امان وان يعامل هو واهل بلده بالمجاملة والاحسان
فليؤمن روعهم وليسكن جنسهم ونوعهم ولتؤنس وحشتهم و
لتذهب دهشتهم بحيث انهم يتبايعون ويتشارون والى معاملهم
من عساكره يتجارون وان استطال احد من اجناده ولو انه من
اخوته واولاده فليقابله بالمنع والانكار والضرب والاشهار
وصار يطلب منه ما اراده فيرسله اليه بزياده وكلما زاد فيما
يقترحه عليه من نقد وجنس طلبا زاد علاء الدين لذلك
نشاطا وطربا ومن جملة ما اقترح عليه فى ذلك المقبض حمل

نبيض

جص

بصل ابيض بناء على ان ذلك لا يوجد فى الشام باسرها فضلا عن
صفد ففى الحال وجد من ذلك ثلاثة احمال فارسلها اليه كما هى
وكان ذلك من الفضل الالهى حتى احبه وتمنى قربه وقال فيه معنى ما قلت

دارِيت وقتك واحميت ببذل مالك يا بشر
لو كان مثلك آخر فى الشام ما سيمت بشر

وتوجه طوايف من العسكر اليهم وباعوا منهم واشتروا عليهم واستمرت
عقود المصادقه لم تحل الى ان قوض خيامه عن دمشق ورحل فلما
اقشع عن الشام ضباب ضيره وامتد فى ميدان الرحيل حبل سيره اعقب
علاء الدين الدوادارى قاصدا الى ذلك الاسد الضارى ومعه تحف
سنيه ونتف ملوكيه ومطالعة فحاويها رايقه ومعانيها فايقه
والفاظها بالخضوع والخنوع ناطقه فيها من الترقيقات ما تقشعر
منه الجلود ويلين له الحديد والصخر الجلمود ويجرى فى الابدان
اليابسة جرى الماء فى العود وطلب فى انثنائها مراحمه فى امر العثمانى
وابن الطحان وجز ناصية عبوديتهما بمقراض الامتنان وان يجعل
العفو عنهما شكر القدرة ويفيض عليهما من بحار مراحمه قطرة
وانهما اقل من ان ينسبا الى اسره اذ ملوك الارض تود لو كانت
اطفالا تحت حجره ورايه الشريف اعلى وامتثال ما يبديه من
المراسيم اولى فلما اطلع تيمور على فحواه وفهم ما ابداه وما انهاه
وشاهد تحفه وهداياه وتفكر من اول امره ما الحمه معه من الخدم
وما اسداه والخير له تاثير والبادى اكرم والشر كله تقصير والبادى
اظلم قلت شعر

ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا ولا تخشى من سوء اذا انت لم تسى
وقيل من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
لان قلبه وان كان حديدا وهان صعبه وقد كان شديدا فدعاهما
واكرم مثواهما واحسن اليهما وذكر لهما شفاعة علاء الدين فيهما

انتهى الباس صح

ثم اعطاهما ثلاثة افراس للعثمانى اثنان واحدة لعمر بن الطحان
ثم اضاف اليهما من ابلغهما المأمن فوصل كل منهما الى دار عزته وحل
ذلك فى صفده وهذا فى عزته فصل ولما تبخر ليتمور اخذ القلعة
جفزا مره ودام الرجفة وقد استخرج مهما اراد من نفايس واموال
بانواع العقاب واصناف النكال ذكر معنى كتاب ارسل اليه على
يد بيسق من بعد ما فروا من بين يديه وقيل ان السلطان لما هرب ارسل
كتابا اقام فيه عليه الحرب فمن معناه وفحوى ما عناه لا تحسب اننا
جزعنا منك وفررنا عنك وانما بعض مما ليكنا قوى انفلسه وانجح
عن ربقة الطاعة راسه وتصور ان كل من خرج عرج ولم يعتبر بمن
رام للارتفاء سلما فدرج واراد بذلك مثلك القاء الفساد وهلاك
العباد والبلاد وهيهات فان دون مرامه خرط القتاد والكريم اذا بدا
بجسمه مرضان داوى الاخطر ورأيناك انت اهون الخطرين واحقر
فثنى عزمنا الشريف عنانه ليعرك من ذلك القليل الادب اذانه
ويقيم فى نظم طاعته ميزانه وايم الله لنكرن عليك كر الاسد الغضبان
ولنوردن منك ومن عساكرك نواهل القنا موارد الاضفاو لنحصدن نكسكم
حصد الهشيم ولندوسنكم دوس الحطيم فلتلفظنكم رحى الحرب
فى كل طريق لما نعانون من غليظ الطعن وجليل الضرب لفظ
الدقيق ولنضيقن عليكم سبل الخلاص فلتنادن ولات حين مناص
او نحو هذه الترهات ومثل هذه الخرافات التى هى كالملح على الجروح
وكالريح عند خروج الروح ولو كان بدل هذا الكلام الذى لا طائل
فيه والخطاب الهذيان الذى تمجه الاذن وترميه ما يستميل خاطره
ويطفئ من لهيب غضبه النائره مع شئ من الهدايا والتقادم و
ابراز قضاياهم فى صورة المعتذر النادم ربما كسر من غيظه وهمد
من حنقه وبرد من قيظه وانما فعلوا تلك العذره بعد حريق
دمشق وخراب البصره وارسلوا الخدم والهديات صحبة النعام

والزرافات

والزرافات وقد اعجز التدارك وفات وصاروا كما قيل
ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله فى النايبات ولكن بعد ما
افتضحا وكما قيل مصراع وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل فصل
ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه واديت الرسالة وقرئ
الكتاب عليه قال لى قل الحق ما اسمك قلت بيسق قال ما مدلول
هذا اللفظ المزرى قلت يا مولانا لا ادرى قال انت لا تعرف
مدلول اسمك يا نغاله فكيف تصلح لتحمل الرساله ولولا ان عاده
الملوك ان لا يهيجوا الرسل وقد مهدوا على ذلك القواعد و
سلكوا السبل وانا اولى من يتبع آثار السلاطين ويحيى سنن
الملوك الماضين لفعلت معك ما يجب فعله ولاوصلتك ما انت
اهله وبعد هذا فلا عتب عليك وانما اللوم على من تقدم بهذا
الامر اليك ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه ومدرك
عقله وفهمه وقد ظهر بفعله الوبيل نتيجة ما قيل شعر
تخير اذا ما كنت فى الامر مرسلا فمبلغ اراء الرجال رسولها
ثم قال لى توجه الى قلعتكم ومكان عزتكم ومنعتكم فذهبت
فوجدتها قد فككت دكا وسيم حرمها وحريمها خسفا وهتكا ثم
اتيته وذكرت له ما رايته فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله
واذل من ان اراسله ولكن قل له انى واصل اليه على عقبك وها انا
منشب مخالبى اسودى بذنبك فليشمر للفرار او للقرار الذليل
وليعد لايهما اختار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل
ثم امرنى فاخرجت وما صدقت ان نصوبت الى جهة مصر
وخرجت فصل وحين ملاء جراب طمعه من نفايس الاموال
ودنه واستدر خلفاتها شيئا فشيئا صافيا ورنقا حتى صفاها
بقطنه امر بتعذيب هؤلاء الاعيان الكبار فعذبوهم بالماء و
الملح وسفوهم الرماد والكلس وكووهم بالنار واستخرجوا

خبأ الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار ثم اطلق الادن
لعساكر بالنهب العام والسبي الطام والقتل والاحراق
والتقييد بالاسر على الاطلاق فهجمت اولئك الكفرة الفجرة
على ذلك اشد الهجوم وانقضوا على الناس بالتعذيب والتثريب
والتخريب انقضاض النجوم واهتزوا وربوا وفتكوا وسبوا وصالوا
على المسلمين واهل الذمم صولة الذياب الضوارى على ضوانى الغنم
وفعلوا ما لا يليق فعله ولا يجمل ذكره ونقله واسروا المخدرات
وكشفوا غطاء المستترات واستنزلوا شموس الخدور من افلاك
القصور وبدور الجمال من سماء الدلال وعذبوا الكبار والاكابر
بانواع العذاب وبدا للخلق ما لم يكن فى الحساب واستخلصوا بالاء
جواهر الناس النار منهم خلاصات الذهب وصنفوا فى استخراج
النفايس من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضى منها العجب
وفرقوا بين الوالدة وولدها والزوج وجسدها وذهلت كل
مرضعة عما ارضعت وجاروا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت
وفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وصار لكل منهم
يومئذ شأن يغنيه وذل العزيز والكريم وهان الخطير والجسيم
وطم البلاء وعم القضاء وطاشت الحلوم وتبلدت الفهوم وتراكمت
غيوم الغموم فاقسم بالله عن اشراط الساعة واسمر النهب العام
نحوا من ثلثة ايام ذكر القايم النار فى البلد لمحو الاثار
ثم انهم لما انهوا العيث والعبث وقضوا فى حج فسادهم التفث
واموه بالفسق والجدال والرفث وطافوا وسعوا فى المنكرات
ورموا فى البيوت النار وفى القلوب الجمرات وافاضوا ما اراقوا
من دماء المسلمين الواقعين فى الاحصار وملوا فى اشواط الاحراق
فارسلوا فى حرم المدينة شواظا من نار وكان فيهم من دواضن
الخراسانية فاطلقوا النار فى جامع بنى امية فتشبثت النار

لقد كانت تلك الايام من علامات يوم القيام واسفرت تلك الساعة صح

بلهيبها

بلهيبها وساعدت الريح بهبوبها فتساوقا فى محو الآثار ريحا ونارا
واستمرا على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا فاحترق ما بقى
من النفايس والنفوس وانمحى بلسان النار ما سطر على لوح وجود
المدينة من الدروس فامست تلك المغانى لا يسمع فيها ولا الهمس
واصبحت حصيدا كأن لم تغن بالامس وذلك بعد ان اظهروا
ما اخذوا من اموال واوسقوا منه من الاحمال اقلاع هاتيك
الرزايا واقشاع غمام تلك الدواهى والبلايا عن بلاد الشام بما تحمله من
اوزار وخطايا
ثم ارتحل ذلك الفتان واقلع صيب بلائه الهتان يوم السبت
ثالث شعبان وقد اخذوا من نفايس الاموال فوق طاقتهم و
تحملوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم فجعلوا يطرحون
ذلك فى الدروب والمنازل ويلقونه شيئا فشيئا فى اوعار المراحل
وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل فاصبحت القفار والبرارى
والجبال والصحارى من الامتعة والاقمشة كانها اسواق
الدهشة وكان الارض فتحت خزاينها واظهرت من المعادن
والفلزات كامنها قلت بديها وصار لسان شرهم ينادى
على قنن الشواهق والبوادى الا ادى شنشنة عرفناها وعادة
فساد الفناها ومن ملكنا ودينه اقترفناها نهبنا اموال
المسلمين وخطفناها وما فى وجهها صرفناها ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم فقذفناها ومع ذلك فلو اخذ من نفايس دمشق
اضعاف ما اخذ وفلذ من اكباد ذخايرها آلاف ما فلذ ما غاض
ذلك ما فى يمينها ولا انقص من بحار معينها ولكن النار كانت
هى البلاء الداهى والمصاب المتناهى لانها احرقت غالب من
كان داخل البلد لعدم الفوات فما ظنك بما يكون من المعابر و
الاقمشة والاثاث وضربت الكلاب باكل لحوم من مات داخل
البلد فما صار يجسر على العبور الى جامع بنى امية من الكلاب احد

لاغية صح

ذكر ما جرى في مصر وساير الاقطار عند سماعهم هذه الاخبار

فاما مصر فمادونها من البلاد فانها تخبطت وانحلت قواها وايديها
تربطت وعدمت القرار واستعدت للفرار فلو رأيت الناس وهم
حيارى سكارى وما هم بسكارى ابدانهم راجفة وقلوبهم واجفة
واصواتهم خافتة وابصارهم باهتة وشفاههم يابسة وصورهم
بايسة ووجوههم باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقد استوفز
كل من اهل الامصار وسكان الانجاد والاغوار وقد اصاخ لما
يرد عليه من جلي الاخبار فيبنى على ذلك ما يكون من متعلقات
الحركة والسكون فاخذ تيمور على طريقة العوجا ورجع على سبيل
بغيه التي اتخذها شرعة ومنهاجا وقد سدت عساكره الافاق و
الاكناف وعمت هيبته الارجاء والاطراف ذكر من اصيب من سهام
القضا بالرشق ووقع في مخاليب اسره من اعيان دمشق واخذ من اعيان
الشام ومشاهيرها الاعلام قاضي القضاة محيي الدين ابن العز الحنفي
بعد ان عاقبوه بانواع العقاب وكووه وسقوه الماء والملح وبالكلس
والنار شووه وولده قاضي القضاة شهاب الدين ابو العباس فوصلا
الى تبريز ومكثا بها مدة في شدة وباس ثم رجعا الى الشام واخذ
امرهما في الانتظام وقاضي القضاة شمس الدين النابلسي الحنبلي
وقاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي فتوفي الى رحمة الله تعالى
الوهاب غريقا في نهر الزاب وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتبر
وكان متحملا اوزار الوزر بعد ان راموا عذابه وطلبوا عقابه وكان
قد جهز متعلقيه الى الاماكن البعيدة واقام هو في دمشق جريدة
فذكر لهم حكايته وبذل لهم في دفع موجوده طاقته فاخذوا ما اخفا
خفية ولم يعذبوه ولكرمهم بالاهانة والقلة استصحبوه فوصل الى
سمرقند وقاسا بها من صروف الزمن انواعا من غربة وفقر
ومحن ثم رجع الى دمشق وتوفي بها الى رحمة الله تعالى ومن الامراء

الخاص الامير الكبير بتخاص وكان مقيدا معه ومات عند وصوله
الى الفرات واما القاضي ناصر الدين ابن ابي الطيب فانهم عاقبوه بكل بليته
وكان رقيق البدن لطيف المزاج سوداويه فما كان عنده لذلك
ثبات فاعجزهم عما يرومون منه بالموت وفات فمات واستراح
وشرب من الشهادة كاس مدام جاءه وراح فدفنوه عشية بمدرسة
الكروسيه ولما شرع في النهب العام المبرح استشهد غلطا القاضي
القضاة تقي الدين ابن مفلح وبرهان الدين ابن القوشه ضعف
سبعة عشر يوما وانقطع في حارة تل الجبن ولحق الاموات قوما
وكانوا قد حرجوا على الاحياء والاموات وخافوا ان لا يكون لاحد
من ايديهم بحجة الوفاة فوات فضبطوا بيوت المدينة بيتا بيتا
وحرجوا على ان لا يخرج الاحياء ولا يجهز الموتى فلما مات المذكور
تعسرت الامور فتحيروا في تجهيزه وتغلبوا في امره وتبخيزه
ثم بعد جهد بليغ وسعي كثير دفنوه في الصالحية بعد اخراجه
من باب الصغير وخرج مع تيمور بالاختيار من الشام عبد الملك
بن التكريتي فولاه نيابة سيرام فمكث بها القليل من الايام وهي
وراء سيحون وشخص اخر يدعى يلبغا المجنون وكان مقربا عنده
وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده فاخبره على ما قيل ببغداد
فخلصه بذلك من المهالك والمهاوي وحصل له بذلك قربة وزيادة
ملازمة وصحبة فولاه ذلك الجاش نيابة مدينة تدعى ينكي
تلاش ورأى نهر خجند نحو عشرين يوما عن سمرقند بينها وبين
سيرام نحو من اربعة ايام وكان اسم ذلك المأبون احمد ولقب
بيلبغا المجنون واخذ من دمشق ارباب الفضل واهل الصنايع
وكل ماهر في فن من الفنون بارع من النساجين والخياطين
والحجادين والاقباعية والبياطرة والخيمية والنقاشين و
البارودارية وفي الجملة اهل اي فن كان وجمع كما ذكر السودان
والتجار
صح

وفرق هؤلاء الطوايف على رؤس الجند وامرهم ان يوصلوهم
الى سمرقند واخذ جمال الدين رئيس الطب وشهاب الدين لمحمد الزرد
وكان في القلعة كما ذكر وآبادٍ من عسكره خلقًا لا يحصون ولا يحصون
كثرةً ولا يستقصون وكان في حدود التسعين وقد احدودب
فلما راه قابله بالسخط والغضب وقال له انك افنيت صاغيتي
وحصيت غاشيتي وقصيت حاشيتي فان قتلتك مرةً واحدة
لا يشفي غليلي ولا يبرد غليلي ولكن اعذبك على كبر سنك و
ازيدك كسرًا على كسرك ووهنًا على وهنك فقيده بقيدٍ من فوق
ركبتيه زنة سبعة ارطالٍ بالدمشقي وقصد بذلك التشديد
عليه فلم يزل مقيدًا مكتوبًا على قيده مخلدًا ابدا حتى مات تيمور و
ارتفعت الشرور وخلص من القيد ذلك المأسور ثم توفي
الى رحمة الله تعالى وربما يكون اخذ اناسًا من الفضلاء والاعيان
والسادات والنبلاء ممن لا اعرفه فكيف اصفه وكذلك كل امير
من امرائه وزعيمٍ من زعمائه اخذ من الفقهاء والعلماء وحفاظ
القران والفضلاء واهل الحرف والصناعات والعبيد والنساء
والصبيان والبنات ما لا يسع الضبط ولا يحل الربط وكذلك
كل من عسكره كبيرا وصغيرا آسرا واسيرا لانه ما ثم حرج على
من نهب شيئا وعزله وكل من سبقت يده الى شيء فهو له
وهذا اذا اطلق عنان الاذن بالنهب العام تساوى فيه الخواص
من عساكره والعوام ولو كان الناهب اسيرا فيهم او دخيلا
عليهم والسالب من غير طينتهم ولكن ايح له ذلك لما سار بسيرتهم
وتخلق بشيمتهم واطلق عليه حكمهم واجرى عليه شكمهم فاما قبل
الاذن فلو تعدى احد على احدٍ وكان عند تيمور بمنزلة الوالد
والولد او استطال بمقدار حبة او تلقط بغارة او نهبة فانه
يهدر ماله ودمه ويهتك حرمته وحرمه ولا ينجيه استغفاره

كاش

وندمه

وندمه ولا يجديه اهله وخدمه ولا يقال لعالم زلت به قدمه
وكانت هذه قاعدة لا تخرم ونبية لا تهدم ذكر ما اباد ٨
بعده الجراد ولما فرغ من مستغلات اموال دمشق الحصاد
وقارب الرحيل عنها اعقبه لقاط الجراد وصار يسير معه حتى
بلغ ماردين وبغداد فاعرى كل شجراء ومرد او جرد ما على وجه
الارض جردا فوصل الى حمص وما نهبها ولخالد رضي الله عنه
كما ذكر وهبها ولكن نهبوا قراها وهدموا قواها ثم الى حماه
فنهبوا نفايسها واستخرجوا مكامنها واسروا عرايسها وكنائنها
وفي سابع عشر شعبان انصب الى الجبول ذلك الطوفان
وارسل الى حلب واخذ من قلعتها ما استودعها ثم الى الفراه
وعبرها بالمراكب وغيرها فقطعها ثم الى الرها فنهبها و
استحلب درتها ثم ارسل ذلك الغادر رسوله الى ماردين
يستدعي الملك الظاهر وديباجة كتابه الدال على ما نقل شعر
سلام عليكم والعهود بحالها لقد بلغ الاشواق منا كمالها
فابى ان ينزل اليه ولا استمع كلامه ولا عول عليه لانه كان
اذاه اول مرة فما احتاج الى تجربته اخرى كرة فسلك معه برّ السلامة
وقال نظم شعر من جرب المجرب حلت به الندامة
ولكن ارسل اليه قاصدًا من بعض الخدم يدعى الحاج محمد بن
خاص بك ومعه التقادم والخدم واعتذر عن الحضور
بعدة امور وعنوان جوابه موافق لخطابه وهو شعر
فشوقي اليكم زايد الحد وصفه ولكن تخاف النفس مما جرى لها
فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام واخذ يعنف نفسه بانواع الملام
كيف خلص من مخاليبه اول مرة بسلام ذكر ورود ماردين
بالهيبة وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة فوصلوا يوم الاثنين
عاشر شهر رمضان وارد بن ماردين فنزلوا دنيسر وغدوا

نظم غريب

للحصار قاصدين واذا باهلها قد اخلوا المدينة وانتقلوا الى
قلعتهم الحصينة صفة هذه القلعة وهذه القلعة عنقا قلتها تكبر
ان تصاد وعرنين عانسها يابى ان يدخل لخاطب تحت مقود انقياد
لانها فى قلة من القلل على ظهر جبل لم يكن فرق بينه وبين قبة
الافلاك الا بان تلك لاثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك
بظهره واد بطنه اوسع من صدر الاحرار فيه جنات تجرى من
تحتها الانهار وبه مطارح الزروع ومسارح المواشى والضروع
وحدوده جوف لاتصل همم ذوى الكرم الى ارجائها وحروف يعجز
قارى التفكر عن تعديد هجائها وطريقه من القلعة او على القلعة
والقلعة فى غاية المناعة والرفعة والمدينة مبنية حواليها
متشبثة بذيلها تاكل من فضلات نعمها وتشرب من فايض سيلها
فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون وفى السماء رزقهم ومايوعدون
فاقام لمحاصرتها على مضايقها يسترشد الى طرق المضايقة وطرقها
ولم يكن حواليها مكان للقتال ولا لنصب المجانيق مجال فعول
على نقبها بالمعاول والفوس واستعان على ذلك بالمقاول و
الروس وحاشا درزعصمتها ان يسام فتقا لانها وان كانت
عذراء قد اعجزت الفحول لكونها رتقا فلا زالت المعاول تفل
والفطاطيس تكل ومناقير الفوس تتعقف وخصور المرازب
كهيف القدود تتقصف قلت شعر

كأن معولهم فى نقب تربتها ... منقار طير على صلد من الحجر
او عدل ذى حسد صبابة صمم ... او غمز عين معنى فاقد البصر

واستمر على اللدد والخصام الى العشرين من شهر الصيام ولم يحصل
على طائل ولم يظفر بمرام ذكر تركه فى المحاصرة العناد والمكابرة
وتوجهه بمارديه ذوى الفساد عن ماردين الى بغداد ولما علم انه منى
منها بالداهية الدهيا وطلاب ما لا يستطاع عيا والمكابرة

مع الحق خروج عن المنهج والبلاغة فى غير مقامها على الحجج ستر
عيبه وابقى بعض الهيبة وخرب المدينة واسوارها ومحا آثارها
وهدم ميادينها وجوامعها ومنارها وفك اساسها واحجارها
ثم انحدر الى بغداد بعساكر كالذر والفراش والجراد وجهز
بعض الثقل الى سمرقند مع الله داد فوصلوا الى مدينة صور
وليس بها بيت مشاد ثم الى اخلاط وعيد الجوز وهى بلاد الاكراد
آهلة عامرة البنيان واول ماهو جار تحت حكمه من ولايات
تبريز واذربيجان فعيد الثقل بعيد الجوز عيد رمضان ثم دخلوا
الى ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان وكان اذ ذاك
وقد خرج فصل الشتاء وفصل الربيع قد تزين واتى وصفحات
الرياض بانامل صباغ القدرة تلونت وعروس الروض قد اخذت
من صواغ الحكمة زخرفها وازينت والاطيار فى الازهار مابين
مائة بلبل والف هزار قد شنفت الاسماع واقامت السماع و
استمالت الطباع برخيم صوتها واحيت آثار رحمة الله الارض
بعد موتها ولا زال الثقل بين تأويب وادلاج وسير ولا سير
الحاج كل يوم فى مرحلة وكل ليلة فى مقام فوصلوا الى نيسابور
ثم الى جام ثم قطعوا مفاوز باورد وماخان ثم الى اندخوى
وانتهوا الى نهر جيحان فعبروه بالمراكب وسار واسير النجم
الثاقب ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا فوصلوا الى سمرقند
ثالث عشر المحرم يوم الثلثا سنة اربع وثمان مئة وفيهم من اهل
الشام فئة امثلهم القاضى شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير
وباقيهم بياطرة وصباغون ونساجة الحرير وهذا اول ما تحمله
من الشام من احمال الاثقال وباكورة ما وصل الى سمرقند مما جناه
من ثمر الاسارى والاموال ثم ارسل الاثقال تترا بالانفال
واحمال الاموال والاسرى فصل ثم ان تيمور ولى امد قرا يلوك

الحرمة صح

جور صح

عثمان وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان
وكان خامس ايار وجعل يعيث فى تلك الديار وخرب نصيبين ودعى
مغلاتها ثم محا من صحف الوجود صور سورها وآياتها وكانت
خالية من سكانها خاوية من عامرى عمرانها ثم وجه الى الموصل
همه واخفى عليها بكتايبه المدلهمه فبعد ان احلها الحين وهبها
لحسين بيك ابن ايرحسين ثم جمز بزمجرة الى ناحية القنطرة واشاع
انه كف فساده وقصد بلاده ولكن السلطان احمد كان قد تحقق
انه قاصد بغداده وقد اوهم وودى كماله بذلك دابا وعادة
ذكر ما فعله السلطان احمد بن شيخ اويس لما بلغه انه توجه اليه ذلك اللعين
فلما بلغ السلطان احمد ان يمور بعد ان ندمشق تمرد ثم عزم
على ان يبغدد وقال العود احمد اسعد ولكن للفرار واستقر
رأيه على ان لا قرار ثم استناب نايبا يدعى فرج واوصى اليه والى
ابن البايقى بامور وصحبة قرايوسف الى الروم خرج وكان من
جملة ما اوصى به انه لا يغلق فى وجه يمور باب ولا يسدل دون
ما يرومه حجاب ولا يشهر فى وجهه سيف ولا يقابل فيما يأمره
بلم وكيف فبلغ يمور هذه الامور فجهز ذلك المخاتل الى بغداد
عشرين الف مقاتل وامر عليهم من امرائه ورؤساء وزرائه
والظلمة المعتدين اميرزاده رستم وجلال الاسلام وشيخ
نور الدين وامران يكون المقدم من الثلاثة الامير رستم فاذا
تسلموا بغداد يكون هو حاكم البلاد وحين غربت عن سماء بغداد
شمس السلطان احمد فى غرب الغربة ومد ظلام الظلم جناح
العساكر التيمورية على آفاقها وارسل عليها شهبه ابى فرج
المذكور ان يسلم المدينة طوعا واستعد للمقاتلة فجمع ما عنده
من اهبة المحاصرة فاوعى فاطلعوا يمور على هذا الامر وانتظروا
ما يكون منه من نهى وامر فثنى نحوها عنان الحنق فاضمر

ما تصل اليه يده من غرق وحرق واطل عليهم بغمام غم بعد ما رعد
وبرق فوصل بتلك الفرق فرجهم اى رج وحاصرهم فى اشهر الحج
فثبت مقاتلتهم واكثروا من عساكره القتلى والجرحى فحنق اشد
الحنق وزحف عليها برجله وخيله فاخذها عنوة يوم الاضحى
فتقرب على زعمه بان جعل المسلمين قربين وعليهم ضحى ثم امر
كل من هو فى دفتر ديوانه محسوب والى يزك عساكره من الجند
والجيش منسوب ان ياتيه من رؤس اهل بغداد برأسين فسقوا
كل واحد من خمرة سلب الروح والمال كاسين ثم اتوابهم فرادى
وجملة وجاروا بسيل دمائهم نهر الدجلة وطرحوا ابدانهم فى تلك
الميادين وجمع رؤسهم فبنى بها مياذين فقتلوا من اهل بغداد
نحو من تسعين الف نفس صبرا وبعضهم عجز عن تحصيل البغداديين
فقطع رؤس من معه من الشام وغيرها اسرى وعجز بعض عن
رؤس الرجال فقطع رؤس ربات الحجال وبعض لم يكن معه
رقيق فاصطاد من وجده فى طريق او اغتال من معه من رفيق
وفدى نفسه بعدو وصديق ولم يلتفت الى شفيق وشقيق
اذ لم يمكنهم الخروج عن ربقة الطاعة ولم يقبل منهم عدل ولا
تنفعهم شفاعة وهذا العدد المذكور سوى من قتل وهو محصور
او قتل فى مضيق او مات فى الدجلة وهو غريق فقد ذكر ان خلقا
القوا انفسهم فى الماء وما تواغرق ومن جملتهم فرج فانه ركب سفينة
وابق فاحتوشوه من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت به السفينة
فادركه الغرق فبنى من الميادين نحوا من مائة وعشرين كذا اخبرنى
القاضى تاج الدين احمد النعمانى الحنفى الحاكر ببغداد كان وتوفى غرة
المحرم سنة اربع وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى
ثم ان يمور خرب المدينة بعد ان اخذ ما بها من اموال خزينة
وافقر اهلها واقفر مناز لها وجعل عاليها سافلها وصارت

بعد ان كانت مدينة السلام دار السلام واسروا من بقي من
ضعفة اهلها فمزق ومزقهم ايدى الزمان كل ممزق بعد ان كانوا
فى ظلال ودلال ومن مساكنهم فى جنتين عن يمين وشمال فاليوم
عشنش البوم والغراب اماكنهم واصبحوا لا ترى الا مساكنهم
وهذه المدينة هى اشهر من ان توصف وعرف عارفها اذكى من ان
يعرف وناهيك انها كاسمها مدينة السلام وانه على ما قيل
لم يمت بها امام ذكر رجوع ذلك الطاغ واقامته فى قراباغ
ثم الوى بتلك الاتراك الذى يصح ان يقال لكل منهم انه فى التركية
طاغية طاغ وعزم ان يشتى فى مكان يصلح ان يكون فى الترك
والعرب كصفاته وذاته قراباغ وامسى كالبارزى المطل بل كالبوم
فى الشوم مراقبا اطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم ذكر
مراسلة ذلك المريد سلطان الروم ايلديم بايزيد قراسل سلطانها بايزيد
المجاهد الغازى وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية و
الغاز وجعل السلطان احمد وقرايوسف سببا وذكر انهما من
سطوات سيوفه هربا وانهما مادة الفساد وبوار البلاد ودمار
العباد وسنخ الخمول والادبار وكفرعون وهامان فى العلو
والاستكبار وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
وقد صارا بمن معهما فى حمى ذراكم لا طئين وانما حلوا حلت
التعاسة والشوم وحاشا ان يكون مثلهما من المفلوكين تحت
جناح صاحب الروم فاياكم ان تؤوهم بل اخرجوهم وخذوهم
واحصروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم واياكم ومخالفة امرنا
فيحل عليكم دائرة قهرنا فقد سمعتم قضايا مخالفينا واضرابهم
وما نزل بهم منا فى حرابهم وضرابهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم
فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال فضلا عن جدال وقتال
فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال وفى اثناء ذلك

انواع التهديد والتخويف واصناف التهويل والاراجيف وكان
ابن عثمان عنده رقاعة وشجاعة ولم يكن عنده صبر ساعة مع انه كان
من الملوك العادلين وعنده تقوى وصلابة فى الدين وكان اذا
تكلم وهو فى صدر مكان فلا يزال فى حركة واضطراب حتى يصل
الى طرف الايوان وكان بواسطة عدله ساعده الزمان وقويت
شوكته فى المكان فاستصفى ممالك قرمان وقتل ملكها السلطان
علاء الدين واسر له عنده ولدان واستولى على ممالك منتشا
وصاروخان وهرب منه الى تيمور الامير يعقوب بن عيشاه حاكم
ولايات كرميان وصفاله من حدود جبل بالقان من ممالك
النصارى والى ممالك ارزنجان فلما وقف على كتابه وفهم فحوى
خطابه نهض وربض وامتعض وارتمض ورفع صوته وخفض
وكانه تجرع نقوع الحنضض ثم قال او يخوفنى بهذه الترهات
ويستفزنى بهذه الخزعبلات او يحسب انى مثل ملوك الاعاجم
او تتار الدشت الاغتام او فى جمع الجنود كجيش الهنود او جندى
فى الشقاق كجمع العراق او ما عندى من غزاة الاسلام كعساكر
الشام او ان قفله المجمع كجندى او ما يعلم ان اخباره عندى وكيف
قتل الملوك وختر وكيف تولى وكفر وما صدر عنه وعنهم وكيف
كان كل وقت يستضعف طايفة منهم وانا افصل وجمل هذه الامور
واكشف ما خزنه فى التامور اما اول امره فحراى سفاك الدم
هتاك الحرم نقاض العهود والذمم طرف متحرف عن الصواب
فى الخطا فصال وجال وجار وصار وسطا ثم طال واستطال
واتسع له المجال وغفل عنه الرجال ومن حين نبع استصبى حتى
شاب الشيب بالعيب فادرك ما ادرك وما بلغ فالتهبت قبيلته
بعد ان كانت شراره وانتشرت فروع جبته فصارت غراره
اما ملوك العجم فانه استنزلهم بدهله وختله ثم استفزهم بخيله

ورجله وبادر الى قتلهم بعد ان امكنتهم فرصة قتله واما تو قتاميش
خان فان عساكر مخان ومن اين للتتار الطغام الضرب بالبتار
الحسام ومالهم سوى رشق السهام بخلاف ضواغم الآرام واما
جنود الهنود فانه ختلهم فى امرهم وردّ كيدهم فى نحرهم فوهنت
اركانهم لاستيماو قدمات سلطانهم واما عساكر الشام فامرهم
مشهور وماجرى عليهم غير مستور ولما مات سلطانهم تضعضعت
اركانهم وانقض امرهم وانفضّ وبغى بعضهم على بعض فقطعت منهم
الرؤس الكبار ولم يبق فيهم الا رؤس صغار فتتر الزمان نظامهم
وسام التبدد ملكهم وشامهم مع انهم فى الصور ربيع وفى المعانى
جمادى يرمون بواحدة وهى انهم يبيتون جميعا ويقومون مثنى
وفرادى لاجرم تفرقت ايادى سبا احزاب تلك الزمر فاشتغل
جيشه فيها بالحرم فباض لما خلا له الجوّ وصفى ولو كان بينهم اتفاق
لفتوه فتا وبددوا شمله وبتوه بتا ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى ومع انشاق نظامهم وتسديد سهامهم وقوة نطاحهم وشلّ
كفاحهم وسدة رماحهم وكونهم ظهر الحاج واسود الهياج انّى لهم
نظام عساكرنا وقوة القيام بنظامنا وتناصرنا وكم فرق بين
من تكفل بام الحفاة العراة وبين من تحمل اصر الكماة الغزاة فان
الحرب دأبنا والضرب طلابنا والجهاد صنعتنا وشرعة الغزاة فى
سبيل الله تعالى شرعتنا ان قاتل احد تكالبا على الدنيا فنحن
المقاتلون لتكون كلمة الله هى العليا رجالنا باعوا انفسهم واموالهم
من الله بان لهم الجنة فكم لضربائهم فى اذان الكفار من طنة و
لسيوفهم فى قلانس القواس من رنة ولنون قسيهم فى خياشيم
بنى الصليب من غنة لو سمعناهم خوض الحمار خاضوها او كلفناهم
افاضة دماء الكفار افاضوها قد اطلوا من صياصيهم على قلع
قلاع الكفار واخنوا عليها وامسكوا بعنان افراسهم فكلما سمعوا

هيعة طاروا اليها لا يقولون لملكهم اذا عسرهم فى البلاء والابتلاء
انا ها هنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا ومعنا من الغزاة
مشاة افرس من فوارس الكماة اطبارهم باترة واظفارهم ظافرة
كالاسود الكاسرة والنمور الجاسرة والذياب الهاصرة قلوبهم
بوادينا عامرة لا يخامر بواطنهم علينا مخامرة بل وجوههم فى الحرب
ناضرة الى ربها ناظرة وحاصل الامر ان كل اشفالنا وجل احوالنا
وافعالنا جمع الكفار ولمّ الاسرى وضمّ الغنائم فنحن المجاهدون
فى سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم وانا اعلم ان هذا الكلام
يبعثك الى بلادنا ابتغاثا فان لم تات تكن ذو جاتك طوالق ثلثا
وان قصدت بلادى وفررت عنك ولم اقابلك البتة فزوجاتى
اذذاك طوالق بتة ثم انهى خطابه وردّ على هذا الطريق جوابه
فلما وقف تيمور على جوابه القبيح قال ابن عثمان مجنون حمق لانه
اطال واساء وختم ما قرأه من كتابه بذكر النساء وان ذكر النساء عندهم
من العيوب واكبر الذنوب حتى انهم لا يلفظون بلفظ امراة
ولا بانثى وانما يعبرون عن كل انثى بلفظ آخر ويحثون على
الاحتراز عنه حتا ولو ولد لاحدهم بنت يقولون ولد له مخدرة
او من ربات الحجال او مستترة او نحو ذلك ذكر طيران ذلك اليوم
وقصد مخرب ممالك الروم فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل
فطلب الرفيق والطريق ورام الدليل وعرض جنده فاذا الوحوش
حشرت وانبثوا على وجه الارض فاذا الكواكب انتثرت وسار
فزلزلت الارض زلزالها ومار فاظهرت القيامة اهوالها
وارسل الى ولى عهده ووصيه من بعده حفيده محمد سلطان بن
جهانكير ان يتوجه اليه من سمرقند صحبة سيف الدين الامير
وركب الى الروم الطريق وساعده الاتفاق لا التوفيق وجرى
بذلك البحر المطلخم والليل المدلهم فدار وداخ وعلى قلعه كماخ اناخ

لفظ

وماج فاذا الجبال سيرت
وماج فاذا القبور بعثرت صح

صفة قلعة كماخ فاذا هى فى الوثاقة كيقين موحد وفى الرصانة
والمناعة كاعتقاد متعبد لا يقطع خندق مناعتها سهم وهم ولا
يهتدى الى طريق التوصل اليها صائب فهم مؤسسن اركان هضابها
معمار القدرة ومهندس بنيان قبابها بخار الفطرة ليست بالعالية
الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة غير انها فى مناعتها وحصانتها فائقة
من احدى جهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها ومن الجهة الاخرى
واد متسع يحفظ اعلامها لا يمكن للاقدام فيه الثبات وهو مسيل
ماء يصب فى نهر الفرات ومن الجهتين الاخريين هضاب يتلولسان
البصيرة عند وقوع البصر عليها ان هذا الشئ عجاب فاخذها من غير
كلفة ووجد حرمها من غير طواف ووقفة وذلك بعد ان قدم
محمد سلطان عليه ووكل امر حصارها وقتالها اليه وسبب ذلك
ان الوادى الذى كان وراءها يرد بالخيبة لوعورته من منه جاءها
لكونه مزلة الاقدام واسع الافعام بعيد مهوى المرام لا يثلب
لسان السهم له عرض عرض ولا يثبت له تحت قدم غواص البصر
قوادارض فبمجرد ما وقع نظره عليها نظر بعين الفراسة اليها فقدر
امر بقطع الاخشاب ونقل الاحطاب فلم يكن الا كلمح البصر حتى
هدموا البيوت وقطعوا الشجر ونقلوا جميع ذلك الخشب والاعواد
وطرحوها فى قعر ذلك الواد فساووا به الارض وملأوا طوله
والعرض وحين شعر اهل القلعة بهذه الفعال القوا النار والبارود
على تلك الاخشاب فاخذت فى الاشتعال واما اساس القلعة
فلم ينال لانه راكب على قلل الجبال فلم يبد ذلك من امره ولم
يشوش من فكره بل امر فى الحال كل واحد من الرجال ان يأتى من تلك
القفار بعدل من الاحجار فابتنوا كالنمل والجراد فى تلك المهامه
والاطواد والبرارى والمهاد وجابوا الصخر بالواد ففى الحال ملأوا
تلك الدارة من الحصباء والحجارة ثم امر ان يفعل بتلك الحجارة فى

ذلك المهوى البعيد ما يفعل بهم فى جهنم يوم يقال لها هل امتلأت
وتقول هل من مزيد فالقوا فى ذلك الوادى بعض ما لموه من
اكداس تلك الحجارة فطموه وبقى فى بيادر ذلك الحجر اضعاف ما رمى
من الصبر ولما امتلاء الوادى من الاحجار مشوا عليها وقربوا من
الاسوار ونصبوا السلالم وتسلقوا وبناصية مرامها تعلقوا
فاقلع اهل القلعة عن الكلام وطلبوا الامان وقالوا ادخلوها
بسلام وكان هذا الحصار والفتح فى شوال سنة اربع وثمان مية
ولما استقر فيها امر بتلك الاحجار ان تنقل من وادبها ففى الحال
سفوها وفى مكان اخذوها منه رموها ثم ولى بها شخص ايد عى
الشمس وولى عنها كما ولى امس وهذه القلعة نحو من نصف يوم
عن ارزنجان ومن القلاع المشهورة بالمناعة والعصيان فالاجرم
حين استولى عليها وافضى بصارمه الذكر اليها وفتحها قهرا ومنحها
جبرا ابرد بهذا المغنم البارد الى كل صادر فى مماليكه وارد بكتب
ترجم فيها من الاخبار كل سائح وشارد وعنوان هذه الترجمة
بلفظها من غير ترجمة شعر بحد سيوف دامياتٍ لدى الوغى
فتحنا بحمد الله حصن كماخ وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه
وكيف رد جوابه المحق عليه ومن جملته وبعض ترجمته انا ما جفونا
ولا تعدينا عليه ولكن رققناله القول ولطفنا اليه وقلنا له يخرج
من قروح مملكته مادة الفساد وهى احد الجلاوزى وقرا يوسف
التركمانى اللذان اخربا البلاد واهلكا العباد والرضى بالمعصية
معصية والاقرار على الكفر كفر والفاسق المحروم اليائس شر
من الفاجر الظلوم الملابس فصار انى الفساد وزبريه وهو الامير
وفى العناد صفيرين وهو الكبير وعاشراه على ذلك ووالياه فلبئس
المولى ولبئس العشير فافسداه وما انصلحا وخسراه ومار بحا فكانه
عنى شانهم من اظهر قولهم وشانهم بقوله ولا ينفع الجرباء قرب

في الدنيا صح

صحيحة

ولاينفع الجرباء قرب صحيحة اليها ولكن الصحيحة تجرب

ولم يزل على طريقته العوجاء فاشبه لما اجارهم مجيرا ام عامر العرجاء
فنهيناه فما انتهى ونبهناه فما ارعوى واريناه العبر في غيره فما اعتبر
وناداه لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر وكنا وضعنا اسمه
مع اسمنا على عادة حشمتنا في المراسلات ورسمنا فتعدى طوره
وابدى جوره وكان في بعض مراسلاته وما وضعه في مكاتباته
كتب اسمه تحت اسم طهرتن وهذا هو الواجب عليه والحسن
ثم انه اعتى ابا يزيد لما طالع كتابنا ورد جوابنا وضع اسمه فوق
اسمنا بالذهب وهذا ما فيه من كثرة الحماقة وقلة الادب
ثم ذكر انه توجه يروم استخلاص ممالك الروم وتشدق
في هذا الكتاب وتفيهق في هذا الخطاب فهو احد دساتير الكتاب
والاساطين لهم والاساتير المستعان بها في الخطاب والجواب ذكر ما عزم ابن
عثمان عليه عند انضباب ذلك الطوفان اليه فلما بلغ ابن عثمان ما قصده
وانه جعل طالعه في سماء الحرب رصده توجه لقتاله واستعد
لاستقباله وكان على مدينة استنبول محاصرا اتمها واكفارها
وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب اوزارها وان جنده كان
عنده ولكن امر بطارقة الغزاة والشواهين من كواسر جيشه
والبزاة وسراة السرايا وكرام كرميان واحلاس خيل السواحل
وقروم قرمان واجناد ولايات منتشا واساورة صاروخان
وجميع أمراء التومانات والسناجق واصحاب الرايات ورؤس
الفيالق ونواب جميع الثغور والامكنة مما هو جار تحت تختي
بروسا وادرنه وكل من دبح البحر الاخضر من بني الاصفر
من رايته البيضاء بالدم الاحمر وفلق سويداء كل عدو ازرق
بسهامه السود على جواده الابلق ان يعملوا مصلحتهم ويأخذوا
حذرهم واسلحتهم واستعان في ذلك بكل بطريق وعلج مارجي

ولا شك ان طهرتن بالنسبة الينا كبعض خدمنا واقل حشمتنا ا ه

داخل في امان المسلمين على قتال كل باغ وخارجي واستدعا التتار
وهم قوم ذوو يمين ويسار ناس سوادج لهم مواش نواج ملوا
الاقطار بمواشيهم وعلوا الشواهق والبوادي بروسهم وحواشيهم
ربما يكون لواحد منهم عشرة الاف جمل ما منها واحد حمل ومثل
ذلك افراس ما اسرج لها ظهر ولا الجم راس واما الغنم والبقر
فلا يحصى عددها ولا يحصر وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي
الا ذكرى للبشر لهم في ممالك الروم وقرمان مشات ومصايف
وللملوك والسلاطين عليهم اعتماد كما لهم في انواع المبرات و
ظايف لو قصدهم فقير او غريب او طالب علم او اديب جمعوا له
من الغنم والبقر والصوف والشعر والسمن والاقط والوبر
ما يكفيه وذويه الى آخر العمر وكانوا يسمون لكثرتهم وما معهم
من الامم ثمانية عشر الف عالم فلبى كل من صداها ولا الجبال
مداصوته بالاجابة وبادر الى امتثال اوامره بالأطاعة والانابة
وانبعثت اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا وبثت اليه اطواد
عساكرها وبحار جنودها بثا وحث على ملاقاة تيمور عساكر
الغزاة والمجاهدين حثا ذكر ما فعله ذلك الخداع المكار ونمقه
في تفخيده عن ابن عثمان جنود التتار وتلبث تيمور في امره واستورى
زناد فكره فاورى زناده ناره ان يفخذ عن ابن عثمان تتاره
فارسل الى زعمائهم والكبار من امرائهم ورؤسائهم واميرهم
يدعى بالفاضل وكان في المكرمات من الافاضل غير انه ما مارس
الانام ولا اطلع على مكايد اللئام ان حسبكم حسبي ونسبكم
متصل بنسبي وان بلادنا بلادكم واجدادنا اجدادكم فكلنا
فروع نبعة واغصان دوحة وان اباءنا من سالف العصر وغابر
الدهر نشوا في عش متوحد ودرجوا من وكر غير متعدد فانتم
في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من اغصاني وجارحة

من جوارحي وخالصتي وخلاني وانتم لي شعار وباقي الناس
دثار فان كان الناس ملوكا بالاكتساب فانتم ملوك بالاكتساب
والانتساب وان آباءكم في قديم الزمان كانوا ملوك ممالك توران
فانتقل منهم طائفه من غير اختيار الى هذه الديار فاستوطنوها
وهم على ما هم عليه من الكرامة وشعاير السلطنة واسباب الزعامة
ولم يزالوا على هذا النشاط والهزة الى ان اندرجوا الى رحمة الله تعالى
وهم على هذه العزة وكان المرحوم ارتنا آخر ملوككم واكبر من
في بلاد الروم اصغر مملوككم وليس بحمد الله تعالى في شوكتكم قلة
ولا في كثرتكم قلة فاني رضيتم لانفسكم بهذه الذلة وان تصيروا
مسخرين حتى كأنكم من المسخرين وبعد ان كنتم اكابر مكبرين
كيف صرتم اصاغر مصغرين ولستم بدار هوان ولا مضيعة
وارض الله واسعة ولم صرتم مرقوقي رجل من اولاد معتوقي
علي السلجوقي ولا ادري ما العلة لهذا والسبب ومن اين هذا
الاخاء والنسب سوى عدم الاتفاق وانتفاء الاتساق وعلى
كل حال فانا اولى بكم واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم
فان كان ولابد من استيطانكم هذه النحوم وبيع تلك البلاد
الفسيحة بمضايق ممالك الروم فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم
حكامها مالكي نواصي صياصيها راقين سنامها باسطي ايديكم
فيها قابضين زمامها وهذا المرام انما يتم اذا كفينا هذه المنازلة
وقضينا الارب من هذه المناضلة وتمهد لنا الميدان وارتفع
من البين ابن عثمان فاذا خلا الجو من المنازع وصفت لي في
هذه البلاد المشارع وظفرت بهذه الممالك وسلكت فيها الطرق
والمسالك اعطيت القوس باريها واتزلت الدار بانيها ورددت
المياه الى مجاريها وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها ومدنها
وضواحيها وقررت كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها

فان رأيتم ان لا تعينوا علينا او امكنكم ان تتخاذوا الينا فاغتنموا
فرصتكم وخذوا من انتهازها حصتكم فانكم قريبون منا
صورة ومعنى واما الآن فكونوا بظاهركم مع ابن عثمان
وبباطنكم معنا حتى اذا التقينا امتازوا والى عساكرنا انحازوا
ولا زال فحل كلامه ينزو على حجر حجرهم ولا يجفر مزخرفا
بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر غايصا
في درر دور افكارهم ليردها عن ان تتبع ابن عثمان وتقفو
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر حتى خلبهم بهذا المقال
واستجنحهم الى معنى ما قال واستهواهم حب الرياسة الذي
طالما استرق احرار الصديقين واستعبد كبار الاولياء
والصالحين وكبكب في النار على الرؤس رؤس العلماء
العاملين فوافقوه على الانخزال عند المواقفة للنزال
ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر الوبيل وتوجهه الى ملاقاة
تيمور بطوع عسكره الثقيل فاما ابن عثمان فانه خاف من الهجوم على
بلاد الروم لان الزروع كانت قد استحصدت وصدور
الفواكه والثمار قد استنهدت وخضراوات الارض قد اسودت
والرعايا في ظل الامن والرفاهية قد امتدت فخشي ابن عثمان
ان يصيب العباد منه ضرر او يتطاير الى قبايل بلاده من
لهيب ناره شرر فبادر الى ملاقاته وساقته سوابق المنون
الى شرب كاسها في مساقاته واراد ان يكون مصطدم الباس
خارج بلاده على ضواحي سيواس فاجرى من عساكره السيول
الهامرة واخذ بهم على قفار غامرة حذارا على رعاياه من مواطئ
مطاياه فانه كان على الضعيف من رعيته شفوقا وبالفقير
من حشمه وخدمه رفيقا يحكى انه كان في بعض مغازيه
فعطش بعض حواشيه فاتى في قرية بعض النساء فطلب منها

شربة ماء وكانت اشأم من البسوس يضرب بها المثل في اللؤم
والبوس فقالت ماعندي ماشرب فخذ طريقك ولا تتعب
وكان العطش قد غلبه ورأى عندها في بعض القعبة شربة
لبن فشربه فقالت هذا قوت الصبيان واشتكت عليه لابن عثمان
فطلبه واستفسره فخاف شدة نقمته فانكره فقال للمرأة انا ابيح
قبقبه وابين صدقه وكذبه فان ظهر في بطنه اللبن اعطيتك
الثمن وان تبينت بالصدق قوله جعلتك مثلة مثله فقالت والله
انه شربه وما فهت في حقه بكذبة ولكني افرجت كربته وابرأت
ذمته فقال لابد من اجراء العدل وانهاء هذه الحكومة بالفصل
ثم دعا بالسيف ووسطه واجرى على بطنه ماشرطه فانفجر
بطنه وهو منعقر وجرى اللبن بدمه وهو بدمه ممذقر فاشهره
في الوثاق ونادى عليه هذا جزاء من يتناول في دولة الملك العادل
ابن عثمان شيئا بغير استحقاق ثم ان ابن عثمان تابع الرحال
وسلك في رمضان السفر صوم الوصال ذكر ما فعله ذلك الساقطة
مع ابن عثمان وعسكره من المغالطة ولما بلغ تيمور ان ابن
عثمان اخذ على الطريق العامر نبذ نبذ اليهود كتاب الله وراء
ظهورهم واخذ على الجادة العامرة فدخل هو وعسكره على ظلال
وعيون وفواكه مما يشتهون ولسان حالهم الفصيح ينشد في
الآفاق ويصيح شعر

ولست ابالي حيث ادركني العلى ... اكان تراثا ما تناولت ام كسبا

فلم يزالوا في مراح وزروع ومراع وضروع بين سدر مخضود
وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وهواء بالراحة مصبوب
ونعيم بالسلامة محبوب في امن ودعة وخصب وسعة آمنا
من الوجل سايرا على غير عجل مستيقنا بالنصر والظفر مستبشرا
بالملك والوزر مستتبعا تدبيره القضاء والقدر لا يبرد حرارة

حميته لتسخين عين عدوه واحراز المغنم البارد فترة ولا في
الكليل كواكب عساكره المنتظمة نثرة ولا بين اسود جيشه مكا شرة
ولا نقرة ولا في قراهم الاعادي اللهذميات على موايد طعامهم
طعامهم جبن ولا كسرة فلم يفق ابن عثمان من رقاده الا وتيمور
قد دمر على بلاده فقامت عليه القيامة واكل يديه حسرة
وندامة وزأر وزقا والتهب خنقا وكاد ان يموت حنقا
وسلب القرار والهجوع وعزم في الحال على الرجوع فتلاطمت
من بحر عساكره امواجه وتصادمت اثباج اطواده وابراجه
فرجع عوده على بدئه واغرى بوصال السير وحثيثه فنهكهم
السير بسرعته والمكان بقفرته والزمان بهجيره والسلطان
بزئيره فلم يدركوه الا وقد ذاب كل منهم وصبا وتلا لسان
حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فصل وكان تيمور
قد وصل الى مدينة انقرة وخيله ورجله مستريحة موفرة
للقتال منتظرة وللنزال متشمرة بل لم يكونوا به مكترثين
ولا به محتفلين وقد سبقوا كصناديد قريش الى الماء وتركوا
عساكره كمسيلمة بدد في جانب الظما فهلكوا اكرما واوما وذابوا
عطاشا بلاما وكانه الى ذاك المنزل هوارشدهم وبلسان
حاله انشدهم شعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وانت رب المنزل

وانقرة هذه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الطنانة
وهي نزلوا بانقرة يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من اطواد
فاذا النعيم وكل ما يلهى به ... يوما يصير الى بلى ونفاد
فلما تدانت الجيوش من الجيوش واضربت الوحوش على الوحوش
وامتلأت منهم الصحارى والقفار وتقابلت اليسار باليمين
واليمين باليسار اندفعت من عساكر ابن عثمان التتار واتصلت

عجبه

حيرة

بعسكره تيمور كما رسم اولا واشار وكانوا هم صلب العسكر
والاوفر من عسكر ابن عثمان والاكثر حتى قيل ان جماعة التتار
كانوا نحوا من ثلثي ذلك العسكر الجرار بل قيل ان ذلك الجمهور
كان نحوا من جند تيمور وكان مع ابن عثمان من اولاده اكبرهم
امير سليمان فلما رأى ما فعلته التتار علم انه حل بابيه البوار
فاخذ باقي العسكر وقهقر عن ميدان المصاف وتأخر وترك
اباه في شدة البأساء وانخزل بمن معه الى جهة بروسا فلم يلق مع
ابن عثمان الا المشاة ومن داناهم وبعض من الكماة وقليل ما هم
فثبت للمجادلة بمن معه من الرفاق وخاف ان فر ان يقع عليه
الطلاق وكأنه في تلك المعركة والمعركة كان متمثلا بما قاله عنترة
وهو ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تسفك في دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم
فصبر لحادث الدهر وما ازمه واراد ان يفي على مذهب مالك
بما به التزم فاحاطت به اساورة الجنود احاطة الاساورة بالزند
وحين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسرة وعلمت انها تورطت
في جيش العسرة وثبت المشاة على الكماة واستعملت الاطبار
وكل صادم بتار وكانوا في ذلك المصاف نحوا من خمسة آلاف
فبددوا انداده واباد واعداده ولكن كانوا كساقي الرمال
بالكربال او كايل البحار بالغربال او محرر اوزان الجبال بقراريط
المثقال فامطروا على قلل اولئك الاطواد وحقول ذوات
تلك الاسود من غمام القتام صواعق دين المدميات واعطار
السهام السود ونادى محرش القدر وصياد القضاء الكلاب
على البقر فلم يزالوا بين وقيذ وواقذ ومضروب بحكم سهم ماض
في القضاء نافذ حتى صاروا كالشياهم والقنافذ واستمرت
دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى العصر وانقلت

ملك بر

احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر ثم لما كلت
منهم السواعد وتحكم فيهم الاباعد والمباعد دفقوهم بالسيوف و
الرماح وملاوا بدماهم الغدران وباشلاهم البطاح ووقع ابن
عثمان في القنص وصار مقيدا كالطير في القفص وكانت هذه المعركة
على نحو ميل من مدينة انقره يوم الاربعا سابع عشرين ذي الحجة
سنة اربع بعد ثمان مائة حجة وقد قتل غالب العسكر العطش و
الضموز لانه كان ثامن عشري تموز فصل ووصل امير سليمان
الى بروسا معقل ابن عثمان فاحتاط على ما فيها من الخزاين والاموال
والحريم والاولاد ونفايس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى بر
ادرنه وراء البحر المحيط بكثير من الامكنة المنشعب من بحر
مصر الاخذ بعد ما يتدرس الى بلاد الدشت والكرج الفاصل
بينه وبين بحر القلزم جبل الجركس ذكر ما وقع من الخباط بعد
وقعة ابن عثمان في كل ثغر ولما حصل لرأس مملكة الروم هذه
الوعكة واندعكت اجسام عسكرها الجسام اقوى دعكة واخفى
عليهم الجد المشوم ونعق في صباحها غراب البين ورغق في
رواحها البوم وتلا في محراب انسها على جماعتها امام القضاء
والقدر الكر غلبت الروم خضعت رؤسها ونواصيها وتزلزلت
حصونها وصياصيها وتزعزع دانيها وقاصيها وانبهر طايعها
وعاصيها فحاصوا حيصة الحمر وايسوا من الاهل والاوطان
والمال والعمر اذ قد ذهب منهم الراس ولم يبق فيهم من يقيم الباس
فلما سمعوا ان امير سليمان ضم الناس الى نحره وعزم على العبور الى
بر ادرنه بقطع بحر سالت بهم الاودية والشعاب اليه وعولوا
في خلاصهم من ذلك بلاء الطام عليه فصالح اهل استنبول
وداهم وعاهدهم على ان لا يغدر كل منهم بالاخر وماداهم ثم
قصدهم ان يعينوه على الوصول بقطع البحر من ثغرى كالى بولى

وقل المواصر والمعاضم

ورباط

واستنبول اذ ليس لهذا البحرين وهذين البرين طريق قريب
ومعبر سوى هذين الثغرين فان بحر اسكندرية ياخذ على انطاكية
وعلاءية ثم يروم بلاد الروم فتحصره الجبال قبل وصوله بلاد
الشمال فلا يزال خصره يدق وشقتا جانبيه ترق حتى تتراءى
حافتاه وتكاد تنطبق شفتاه ومسيرة هذا الانضمام نحو من
ثلاثة ايام ثم ياخذ فى المد والانبساط والجريان على وجه النشاط
ثم تدور كتايب امواجه وتتكردس ويأخذ نحو بلاد الدشت
والكرج حتى يصل كما ذكر الى بلاد الجركس وما امكن احدا من
سواحل الحكمة ومهندزى النواقت ان يعزز هذين المعبرين
فى مدى هذا الانضمام بثالث فثغر كالى بولى بيد ملاحى المسلمين
وثغر استنبول بيد النصارى اعداء الدين وهو اعظم الثغرين
واجسم المعبرين وكانت النصارى ملاحيه فصار غالب الناس
يقصده وينتحيه فاستطارت الفرنج فرحا واستطالت وخاضت
فى دماء المسلمين وحريمهم واموالهم وجالت فان ابن عثمان كان
بالحصار قد انهكها واباد قراها وضواحيها واهلكها وضيق
على اهلها فى مجارى ارواحهم مسلكها فبيناهم وقد بلغ السيل
الزبى وجاوز الحزام الطبا وانشب كل شر فيهم حده واذا بتيمور
جاءهم بالفرج بعد الشدة فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان
وحصل لهم بذلك الفرج والامان وزاد ذلك بان احتاج المسلمون
اليهم وتراموا فى طلب الخلاص من العدو عليهم فبعد ان زالت
عنهم الغصص اغتنموا فى درك الثارات من المسلمين الفرص
فجعلوا يوسقون المراكب من الناس والحمول ويتوجهون بذلك
الى صوب استنبول وان استنبول وراء ذروة جبل وقلة من
القلل وهى من اكبر مدن الدنيا حتى قيل انها قسطنطنية الكبرى
فكانوا اذا عطفوا وراء تلك الذروة بالمراكب واستتروا بالهضبة

التاسعة

الثانية عن عين من هو فى هذا الجانب يصيرون كالاموات
المنازلين الى الحفاير الملقمين فى قعر اللحود والمقابر لا يدرى
الى اين يتوجهون والى ماذا يصيرون الى بر السلامة والاسلام
ام الى دار الحرب واسر الكفرة الطغام فيذهب منهم الذاهبون
فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون فاذا جاءت
المراكب وهى فوارغ تعلق كل من هذه الخلائق فيها بجهد كامل
وجد بالغ ولم يدر ماذا يجرى عليه والى ماذا يصير امره اليه
واشتبهوا فى ابصارهم الكليلة وخطوبهم الجليلة ما لكا الحزين
والسمك المذكور فى كتاب كليله وحاصل الامر انه لم يسلم
من ذلك السواد الاعظم فى كل غراب ادهم الا مثل الغراب الاعصم
واستطالت اعداء الدين كيف شاءت على المسلمين وقطع امير
سليمان البحر واستولى على ذلك البر وضبط ممالكه وربط مسالكه
وهو اوسع من هذا الجانب وافسح مرجا وادر ربعا واكثر خراجا
وخرجا واعظم حصونا وامكنه وتحته مدينة ادرنه فاجتمع
الناس على امير سليمان وسهل الامر فى الجملة شيئا ما وهان
ذكر اولاد ابن عثمان وكيف شتتهم ثم ابادهم الزمان وكان للسلطان
ابى يزيد المذكور من الاولاد الذكور امير سليمان هذا وهو اكبرهم
وعيسى ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم فكل طلب لنفسه
مهربا وانحاز اليه من ابيه طايفة نجبا فكان منهم محمد وموسى
فى قلعة اماسية وهى خوشنه الشاهقة العاصية
التى قال فيها ابو الطيب شعر

حتى اقام على ارباض خوشنة يشقى به الروم والصلبان والبيع
وقلة قلعتها شاهقة كانها بقبة الفلك عالقة تعيى النازل
عنها فى نزوله منها اكثر مما يعيى الصاعد الى غيرها يسميها اهلها بغداد
الروم لان قرار اضها بنهر كبير من الوسط مقسوم وبينها وبين

الملقمون

توقات مسيرة يوم للمجد واما عيسى فانه لجاء الى بعض الحصون واستكان
الى ان قتله اخوه امير سليمان وموسى فيما بعد قتل امير سليمان بعيسى
ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى ونسخت الاحكام المحمدية شرايع آثار
الملة الموسوية والعيسوية الى ان مات حتف انفه فى اوايل سنة
اربع وعشرين وثمان مئيه اومات بشئ دس اليه على يد توجقار
فى الهدايا الملكيه للموئيدية وانتقل الملك من يده الى مراد ولده
وهو فى يومنا هذا اعنى سنة اربعين وثمان مايه مستقل به واما
مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه
عودا الى ما كنا فيه من امور تيمور ودولته ثم ان تيمور لما قبض على ابن
عثمان جرد الى بروسا طائفة من الجنود والاعوان واضافهم الى
شيخ نور الدين ثم اتبعهم بوقار مكين وجاش مستكين فوصل
اليها ونزل نزول القضاء عليها وضبط ما وصلت اليه يده من حماعة
ابن عثمان وحرمه واملاكه وخزاينه وحشمه وخدمه وخلع على
امراء التتار ورؤسهم واستعطف خواطرهم بتطييب نفوسهم
ووزع امرائهم على امرائه واضاف كل ظاهر منهم الى من رؤسائه
ووصاهم بهم وعليهم وبالغ فى ان يوصلوا اما امكنهم من البر اليهم
ومشى على سننه القديم فى استخلاص النفايس واقتناص
النفوس وسبى الحريم وجعل يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه
ويلاطفه ويباسطه ويترفق اليه ويسخر منه ويضحك عليه
ذكر ما فعله مع ابن عثمان من حكاية غدت باوصافه القبيحة على
مر الزمان حكايته ثم انه فى بعض الايام جلس فى مجلس عام وخفض
جناح الانشاط للخاص والعام وطوى بساط النهى والامر ومد
سماط الخمر والزمر وحين غص بالناس المكان استدعى سريعا
ابن عثمان فجاء وفؤاده يرجف وهو فى قيوده يرسف فسكن
قلبه وازال رعبه ثم احسن جلوسه وازال بالاهتشاش

اليه عبوسه ثم اقربا فلاك السرور فدارت وبشموس الراح
ان تسير من مشرق اكواب السقاة الى مغرب الشفاه فسارت وحين
تقشعت عن شموس السقاة سحاب الخدور ودار فى سماء العشرة
نجوم يحثها من مراسيمه بروز وبدور نظر ابن عثمان فاذا السقاة
جواريه وعامتهم حرمه وسراريه فاسود الدنيا فى عينه واستحلى
مرارة سكرات حينه وتصدع قلبه وتضرم لبه وتزايد كمده
وتفتت كبده وتصاعدت زفراته وتضاعفت حسراته ونكى
جرحه واغذ قرحه ونثر على جرح مصابه من قصاب الاسى ملحه وكانت
هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه فى مكاتباته بذكره النساء وحلفه
لانه قد سبق ان ذكر الحرم عند الجفتاى بل وقبايل الترك من اكبر
الجرم واعظم من الجناية فى الحرم وايضا مكافاة لما فعله ابن عثمان
مع حريم طهرتن فى ارزنجان ومن تمام اساءته لابن عثمان
احسانه لاولاد ابن قرمان وكان قبل ذلك ابن عثمان قد استولى
على ممالك قرمان وقتل متوليها السلطان علاء الدين بعد ان
حاصره وقبض عليه ونقل الى حبس بروسا محمدا وعليا ولديه
فلم يزالا عنده فى ضيق وضنك حتى افرج عنهما بالحبس عليه
تمرلنك فاخرجهما وخلع عليهما وابرهما واحسن اليهما وولاهما
ماواهما قلت ولم يرفض معاوية محبا عليا بل لان اورى يزيدا
وقيل وليس لحبه يحنو عليه ولكن بعض قوم اخرينا
وقلت بديها اصادق ضد اعدائى وان لم يكن بينى وبينهم ولاء
وابغض من يعادى لى صديقا وان اثنى على بما اشاء
وذاك لينتكى ضدى ويهنا فتى قد سرنى منه الاخاء

والامير محمد هو الذى قبض عليه الامير ناصر الدين محمد بن لغادر امير
التراكمة المفسدين وقتل ولده مصطفى فى البلاء وجهزه الى الملك
المويد مكبلا وذلك فى شهور سنة ستة وثمان مايه

ان اصاف فاصر يك من تعادى
فضد اثبت والفظ الرجاء

ذكر وفود اسفنديار عليه ومثوله سامعًا مطيعًا بين يديه

ثم إن الامير اسفنديار بن ابى يزيد وهو احد ملوك الروم وله فى السلطنة قصر مشيد ورث الملك عن ابيه وكان مستقلًا بالامر وبينه وبين الملوك العثمانية عداوة موروثة ونفرة وتحت حكمه بعض مدن وقلاع ووهد ويفاع منها مدينة سينوب الملقبة بجزيرة العشاق يضرب بظرافتها المثل فى الآفاق وهى فى النخر من البحر فى جزيرة كبيرة سبيل الدخول اليها عسيرة بها جبل احسن من ارداف الحور متصل بمعبر ادق من رقيق الخصور وهى معقل اسفنديار ومعاذه وحرز خزاينه وملاذه اعصى من ابليس واوثق من كف بخيل يخاف التفليس ومنها قسطمونية تحت ملكه وبحر فلكه ومنها سامسون وهى قلعة على جانب البحر للمسلمين مقابلتها نظيرتها للنصارى المجرمين بينهما دون رمية حجر وكل منهما آخذة من الاخرى الحذر وغير ذلك من القلاع والقرى والقصبات فى الوهد والذرى لما بلغه ما فعله تيمور الغدار مع اولاد ابن قرمان ومع التتار ومع قرايلوك وطهرتن حاكم ارزنجان والامير يعقوب بن عليشاه متولى كرميان ومن توجه اليه من حكام منتشا وصارو خان وانه لا يهيج من اطاعه وتلبس لاوامره بالسمع والطاعة سارع الى المثول بين يديه وتهيأ للوفود عليه فاقبل بالتحف العالية والتنف الغالية فقابله بالبشرى وعامله بالسرا واقره فى مكانه تكاية لابن عثمان ثم امره واولاد قرمان ومن انسم له بميسم الطاعة والاذعان من امرآء تلك الاكناف والاكناف ان يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان والامير الكبير تيمور كوركان فامتثلوا اوامره وحذروا واجره وامنوا بذلك الغارة والمصادرة **فصل** ثم ان تيمور اخرج ما لابن عثمان وغيره من الذخاير واستصفى لخزاينه ما كان ارثًا وكسبًا لملوك القياصرة

من النفايس والاخاير وشتى فى ولايات منتشا والقى لدروسها مباحث تصريفه كيف شا وانتهى الى اقصاها وحرر البحث فى مسائل الخمس والمغانم فاستقصاها وابثت جنوده فى آفاقها وغاصت فى بحار ما لكها من اثباج اطوادها الى قرار اعماقها فمن فارع الى جبال جباهها وقمم صياصيها ومن متعلق باذان مراميها ومتسلق باذيال نواصيها ومن راكب اكتاف اكنافها نازل فى سواحلها دايس بارجل سعيه خدود روضها الانف جايس بكاهل اهلها ومن دامغ دماغها باهداب دماجه لاجل العين بالغ من غير حاجب له منها ما رام باليد والبدين ومن حال على نهد صدرها نال ردسها ووجوهها للجبين على ظهرها ومن مادّ انامل تعديه من غير كفّ الى معاصمها ومرافقها كادّ باقدام الفساد فى بطون مغاربها وافخاذ مشارقها فجزوا الروس وحزوا الرقاب وقطعوا الاعناق وفتوا الاعضاد وبتوا الاكباد وخرقوا الاكباد وشوهوا الوجوه وبطوا البطون واسالوا العيون واشخصوا الابصار واخرسوا الالسنة وصكوا المسامع وارغموا الانوف واذلوا العرانين وهشموا الثغور وحطموا الصدور وقصموا الظهور ودقوا الفقر وشقوا السرر واذابوا القلوب وفطروا المرايز واراقوا الدما واستحلوا الفروج واحرزوا الاثقال واباروا النفوس وسبكوا الاشباح وسلبوا الارواح ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع وصارت جماعاتهم فيهم مابين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما اكل السبع **ذكر فتح قلعة ازمير وحتفها ونبذة من عجيب وضعها ووصفها**

وحاصر قلعة ازمين وهى حصن فى وسط البحر منالة عسير بهمزة مكسورة وزاء معجمة وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة قلعة قد اقلعت فى البحار واضرمت فى قلب خاطرها بتمنعها وعصيانها

سكبوا

النار اعصى من قلاع الجبال واقصى فى المنال أن تنال بخيل ورجال
فاعدّ لها انواعا من الآلات المحاصرة واخذها يوم الاربعا عاشر
جمادى الآخرة سنة خمس وثمان مئة سادس كانون الاول من
السنين الرومية فقتل كبارها واسر نساءها وصغارها وبنى من
ابدان القتلى جوامع وشيّد من رؤسها منارها ثم سلب عن القلعة
غناها فقتل كبارها واسر نساءها وصغارها وبنى من ابدان القتلى
جوامع وشيّد من رؤسها منارها ثم سلب عن القلعة غناها واقفرها
واقواها من ذخايرها واقفرها واخلاها وقد استصفى منها ابيضها
واصفرها وطيّر بهذه الامور اجنحة البشائر واطار بها على زعمه
فى الآفاق باسعد فال اسرع طائر ذكر ما صنعه من امر مرموم وهو
فى بلاد الروم من قصده بلاد الخطا واستخلاص ممالك الترك
والجتا وافتكاكه وهو فى الغرب مشغول فى استصفائه سايرَ ولايات
الشرق والموغول وكيف عاند القضاء المبرم بنازل الهبب
فوأده واضرم فصادمه الزمان وعكس غرضه وهذه كالجمل المعترضة
ثم ان تيمور كان قد استدعى من سمرقند سبطه محمد سلطان
والامير سيف الدين ورهطه كما ذكرنا اولاً وكان محمد سلطان
هذا للفضلاء ملاذاً وللعلماء معاذاً تخايل السعادة فى غصون
جبهته لائحة وبشاير النجابة من اسارير طلعته واضحة شعر
فى المهد ينطق عن نجابة جدّه ... اثر السعادة لائح البرهان
وسيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور فى مبداه واشد اركان
دولته فى منتهاه وهما اللذان كانا بنيا اشباره واسسا فيها قواعد
النهب والغارة وهى فى خر بلاد الموغول والجتا واقصى حدود
ماينتهى اليه حكم تيمور ومبدأ بلاد الخطا وتوليا بها اميراً يدعى
ارغون شاه وامداه بطوايف من العساكر وفى ثغر الموغول
ارصداه كل هذه الامور باوامر تيمور ولما شرعا فى ذلك لم يرض

الموغول بهذا الفعل الحالك لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الافق
اذا جاورهم لابدّ انه فى الفساد يسعى فلا يأمنون غايلته ولا يطيقون
مجاورته فتشوّشت خواطرهم وتكدرت ضمايرهم فاستوفزوا
للفرار واخلاء الديار فزاد الجغتاى فيهم طمعاً ومدّ كلٌّ من اشرار
الطائفتين الى الاضرار يد التطاول ورجل الفساد وسعى وشرب
كاسات التحرّم فاكل ماحل بيده وما تزهّد فى تعففه ورعاً وفرح
الجغتاى بذلك ووقعت العداوة بين الجانبين فسدّ كلٌّ على الآخر
طرق المسالك وجعلوا يرسلون اليهم السرايا ويحلّون بما تصل
يدهم اليه من متعلّقاتهم البلايا وجعل الموغول ايضا يفعلون
مع الجغتاى ذلك وتربّصوا بتيمور لبعده عنهم ريب المنون و
تشبثوا بعسويات المهالك واتصل الخبر بتيمور فسرّ بذلك
اشدّ السرور ثم انهما حصّناها بالاهبة الكاملة والعدّة الشاملة
والرجال المقاتلة منهم طائفة من عساكر الهنود ومولتان وقوم
من جند عراق العرب وآذربيجان وفرقة من فوارس فارس
وخراسان وشرذمة من اناسٍ تدعى جانى قربان واضافوا
هؤلاء الكماة مع تومان من ياساق الجغتاى الى الامير ارغون شاه
ووصلا الى خجند وقطعا سيحون وقد ما سمرقند وولّيا بها
اميرا يدعى خواجه يوسف فكان فى قيد الطاعة والاخلاص
ليوسف ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك الفشوم ثم انهما ماتا
جميعا سيف الدين فى خراسان ومحمد سلطان فى بلاد الروم فوقع
تيمور فى الاحزان على حفيده محمد سلطان ولبس عسكره السواد
واقاموا شرايط الحداد ولم يكن لهم حاجة الى السواد المعلم فانهم
كانوا هم السواد الاعظم ثم جهّز عظامه فى تابوت الى سمرقند
مع عظموت وجبروت ورسم ان يتلقاه اهل المدينة بالنوح
والبكاء ويقيموا عليه شرايط العزاء وان لا يبقى احد من العباد

الآويلبس من فرقه الى قدمه السواد فخرج اهل سمرقند عند موافاته
وقد انغمسوا فى السواد لملاقاته وصار الشريف والوضيع والدنى
والرفيع بالسواد معلما فكانما اغشى وجه الكون قطعا من الليل مظلما
فدفنوه فى مدرسته الحصينة المعروفة بانشائه داخل المدينة وذلك
فى سنة خمس وثمان مائة ولما اهلك الله تعالى جدده دفنوه كما سيأتى
ذكر ذلك عنده ذكر حلول غضبة ذلك الصياد على الله داد ونفيه اياه
الى اقصى البلاد ولما توجه النقل من ماردين صحبة الله داد وفاد قه
تيمور متوجها الى استخلاص بغداد وكان الله داد له انداد واكفاء
وحساد واعداء واضداد والحسد فى عنق صاحبه غل قمل وتحاسد
الاكفاء جرح لا يندمل وجداعداوه للطعن فيه مجالا وفى مقام
نلب عرضه مقالا فانتهز وا فرصة غيبته واكلوا بلا ملح لحمه وتنقلوا
بغيبته ووشوا به الى تيمور وذكروا ما فعله فى الشام من الامور ولانه
التمس من ذخايرها ما لا يحصى واختلس لنفسه من نفايسها و
تعلق به من اعلاقها ما لا يستقصى وكان كما قالوا وما اهملوا اكثر
مما قالوا فبدد وا امره واوغروا عليه صدره لاسيما وقد قص
جناحه بموت سيف الدين اخيه وكان من الابهة والمهابة
بحيث ان تيمور كان يخافه ويرتجيه وله فى ممالك ماوراء النهر
مآثر مشهوده ونتايج فكرية معهوده فلما وصل الله داد
الى سمرقند اعقبه تيمور مرسوما من عنده بان يتوجه الى
اشبارة ويستعد هناك للنهب والغارة وذلك كالنفى لالله
داد والقايه فى اقصى البلاد وطرحه فى نحر المخالفين وتغرير
ذوى العناد وانتقل منها الى سمرقند ارغونشاه ولم يزل
بها الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله فجعلت الموغول
تجهز الى اشبارة الفيالق وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت
وناطق وتغتنم الفرصة لبعد تيمور عنها وكان الله داد يحترز

اشد الاحتراز منها وهو مع ذلك يحفر لهم التجاريد ويحفر لهم بالمكر
الآبار والاخاديد ويقتل ويأسر ويطحن ويكسر حتى اقواها
بعد تيمور وسيأتى ذكر هذه الامور انموذج يدل على عمق ذلك البحر
المحيط وما كان يصل اليه غواص فكره الشيطم لما كان تيمور المشوم مخيما
ببلاد الروم ابرد الى الله داد مراسلة فيها امور مجملة ومفصلة
امره بامتثالها وارسال الجواب بكيفية حالها منها ان يبين له
اوضاع تلك الممالك ويوضح له كيفية الطرق بها والمسالك
ويذكر له مدنها وقراها ووهدها وذراها واعلامها ومنارها
ومياهها وانهارها وقبايلها وشعابها ومضايق طرقها ودروبها
ومعالمها ومجاهلها ومراحلها ومنازلها وخالها واهلها بحيث
يسلك فى ذلك طريق الاطناب الممل ويتجنب مأخذ الايجاز
وخصوصا المخل ويذكر مسافة ما بين كل منزلتين وكيفية السير
بين كل مرحلتين من حيث ينتهى اليه طاقته ويصل اليه علمه
ودرايته من جهة الشرق وممالك الخطا وتلك الثغور والى حيث
ينتهى اليه من جهة سمرقند علم تيمور وليعلم ان مقام البلاغة
فى معانى هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو
وتطويل واطناب وليسلك فى بيانه الطريق الاوضح من الدلالة
وليعدل عن الطريق الخفى فى هذه الرسالة الى ان يفوق فى
وصف الاطلال وحدود الرسوم وتعريف الدمن مضغة الشيخ
والقيصوم فامتثل الله داد ذلك المثال وصور له ذلك على
احسن هيئة وانق تمثال وهو انه استدعى بعدة اطباق من نقى
الاوراق واحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع
عليها ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن وما فيها من متحرك
وساكن واوضح كل الامور حسبما رسم به تيمور شرقا وغربا
بعدا وقربا يمينا وشمالا مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وارضا

بصفة الترجمة والمترجم

مرداً وشجراً غبراء وخضراً منهلاً منهلاً ومنزلاً منزلاً وذكر
اسم كل مكان ووسمه وعين طريقه ورسمه بحيث انه بين له
فضله وعيبه وابرز الى عالم الشهادة غيبه حتى كانه مشاهده
ودليله ورائده وجهز ذلك اليه حسبما اقترحه عليه كل ذلك
ويتمور في بلاد الروم يمور ذكر ما فعله ذلك المكار عند تجهيزه امر
الروم من الغدر بالتتار ولما صفا لتيمور شوب ممالك الروم من الكدر
وقضى الكون من افعاله العجب واهل الروم النجب وجيشه من
بين الغارة الوطر وامتلأ من المغانم وادى سيل العرم وكان
فتى الربيع قد ادرك وشيخ الشتاء قد هرم واندرج الى رحمة
الله المجيد السلطان السعيد الغازى الشهيد ايلدريم ابو يزيد
وكان في قفص من حديد وانما فعل ذلك يتمور قصاصاً لما فعله
قيصر مع سابور وكان قد قصد استصحابه الى ماوراء النهر فتوفى
معه ببلاد الروم في آق شهر وفي هذا المكان توفى حفيده محمد
سلطان عزم على الرحيل وحزم احمال التحميل ثم جمع رؤس التتار
وقد اضمر لهم الدمار والبوار وقال قد آن ان اكافيكم بما صنعتم
واجازيكم بما فعلتم ولكن قد اضر بنا المقام وملنا الاقامة في
مضايق الاروام فهلم نخرج الى الفضاء الفسيح ونشرح صدورنا
من ضيق الزمان والمكان في مهامه الفيح ضواحي سيواس
متنزه الناس ومثوى الاكياس فهنالك نضبط احوال هذا
الاقليم الوريف ونقرر كلاً منكم فيه حسبما يقتضى رأينا
الشريف فانه لابد من تفصيل جمله واما ان النظر في كيفية
تدبيره وعمله وحصر مدنه وقلاعه وضبط قراه وضياعه
وحسبان توامينه واقطاعاته والاحاطة باقراده وجماعاته
فاذا فصل لنا ما اجمل ووضح عندنا ما منه اشكل وفحصنا
عن رؤسكم وجماجمكم وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجمكم

معه مكتبلاً صح

٨٣

وجمعنا دساركم وحصرنا زعماركم واحصينا اعدادكم و
استقصينا اباءكم واجدادكم واعتبرنا اخوانكم واولادكم
ونظرنا متعلقيكم واحفادكم وتحققنا شعار الروم ودثارهم
اورثناكم ارضهم وديارهم ثم فرضنا هذه المسئلة على اعداد
الرؤس وقسمنا نفايس هذه الممالك على النفوس ثم رددناكم
اليها مكرمين وكفينا وعيالكم العيلة اذ كنتم علينا معولين
وعلى كل حال فاتانا نفعل مع كل منكم ما يجب فعله ونبقى عليكم
من افعالنا ما يتخلد في بطون الدفاتر والتواريخ نقله فكل
منهم ارتاح لهذا القول وعول في هذه المسئلة على موافقة
الرد ولم يعلم ما فيها من العول فلما توافقوا على هذه الحركة
بنفس ساكنة لم يقع منهم في هذه الموافقة على كثرة عددهم
المتماثلة ميا بينه فسار بالناس حتى بلغ سيواس فصل ولما
برق ركام ركابه المتراكم في آفاق سيواس ورعد وحان له
ان يفي لطائفة التتار بما وعد جلس جلسة عامة واقام من
زبانية الجند طائفة طامة ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس
والظهور والضروس ومن يخشى مضرته وتتقى معرته والمردة
من شياطينهم والعفرة من اساطينهم فاستقبلهم بوجه طلق
ولسان بالحلاوة ذلق واجلسهم مكرمين في مكانهم وزاد في
تمكينهم واماكنهم ثم قال قد كشفت بلاد الروم ونواحيها
وتبينت جميع قراها وضواحيها وقد اهلك الله عدوكم واستخلفكم
فيها وانا ايضا افوض ذلك اليكم واذهب عنكم واستخلف الله عليكم
ولكن اولادي يزيد غير تاركيكم ولا يرضون بان يكونوا في
مشاركيكم واما صلحهم فقد سددت فعالكم مع ابيهم طريقه
فلا مجاز لكم الى شريعته على الحقيقة ولا شك انهم يرأبون
صدعهم ويندبون جمعهم ويستوحون عليكم اهل المدر والوبر

جمون

ويلتبهم بالاجابة كل من تبلغه دعوتهم لانكم فى زعمهم آل غدر
فيلبسون لكم جلد النمر ويصلونكم الجمر بكل آمر ومؤتمر
فيقرضونكم من كل جانب ويختطفونكم من الاطراف والجوانب
لاسيما وبيدهم غالب الحصون والدساكر وتحت اوامرهم من بقى
من طوايف الجنود والعساكر فان كنتم كما انتم فى الناس فوضى
فانهم يخوضون فى دمايكم خوضا فعوا واسمعوا ان كنتم لم تعقلوا
ولم تسمعوا

شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما انا فلست منكم بدان ولا لى فى المدافعة عنكم يدان فلا بد
لعقد امركم من نظام ولصلاة جماعتكم من شرايط واركان يجب
القيام بها اولا والسلام واول شرايط ذلك امام يرجع الى
الاقتداء بافعاله الخواص والعوام ثم بعد ذلك ترتيب الجماعة
وتنزيل كل واحد فى صف السمع والطاعة ثم وضع الاشياء فى
محلها وزمام المناصب والوظايف فى يد اهلها وايصال كل
مستحق الى استحقاقه وجمع الراى على امر واحد باتفاقه فاذا
اتفقت آراكم وايتلفت اهواؤكم عظمت ابناؤكم وكبت اعداؤكم
وكنتم يدا واحدة على من ناواكم وانتصرتم على من خالفكم وعاداكم
وكان ذلك احرى ان لا تمتد اليكم بمكروه يد ولا ينالكم من
مخالفكم كيد ولا كد وهذا انما يتم بالنظر فى احوالكم والتفحص
عن امر خيلكم ورجالكم وضبط الاهبة والسلاح فان ذلك
آلة الظفر والفلاح فليذكر كل منكم ولده واهله وليحضر خيله
ورجله وليات بعدده وعديده وجنده وولده وليعرض ضرورته
ان كانت ولا يستصعبها فقد هانت فمن كان محتاجا الى اكمال شئ
اكملناه ومن كان معتازا الى ايصال شئ اوصلناه واضفنا الى
كل ما يجب اضافته فيحصل امنه ويذهب مخافته فاول شئ

اعرضوا

اعرضوا علينا سلاحكم حتى نكمله ونعمل صلاحكم فاحضر كل منهم
اهبته وعرض عليه عدته وطرحوه فى ذلك الجمع النظيم فتراكم
فكان كالطود العظيم كما فعل اول الزمان باهل مدينة سجستان
فلما سلب تلك الاسود براثنهم وانيابهم بهذه الاساليب وخلب
اولئك الكواسر الجواسر على مناقيرهم والمخاليب واولج صادم
فكره الذكر فى احشاء عقولهم وانزل وصار سماك سماء عزهم
الرامح وقد نحره سعده الذابح اعزل اما كل من عنده احد من
التتار ان يقبض عليه ويوثقه بقيد الاسار ثم امر برفع تلك
الاسلحة الى الزردخانة وقد اشعل قبايل التتار بجمر البوار
واصعد الى العيوق دخانه ففت ذلك من اعضادهم وبت من
اكبادهم وقصم ظهورهم واشعل نارهم واطفا نورهم ثم تلا فى
خواطرهم بالمواعيد الكاذبة واستعطف قلوبهم بالامانى
الخايبة واستصحبهم بالاقوال المموهة والافعال المشوهة
وحال بهم الحال وامر فى الحال بالمسير والترحال وقيل ان
السلطان ابا يزيد قال لذلك العنيد انى قد وقعت فى مخالبك
واعلم انى غير ناج من معاطبك وانك غير مقيم فى هذا الاقليم
ولى اليك ثلاث نصايح هن خير الدارين لو ايح اولاهن
لا تقتل رجال الاروام فانهم رد الاسلام وانت اولى بنصرة
الدين لانك تزعم انك من المسلمين وقد وليت امر الناس
وصرت لبدن الكون بمنزلة الراس فان حصل لوفق اتفاقهم
من تعدى يدك بسط وتكسير تكن فتنة فى الارض وفساد
كبير ثانيتهن لا تترك التتار بهذه الديار فانهم مواد للفسق
والفساد فلا تهمل امرهم ولا تؤمن مكرهم فخيرهم لا يعدل شرهم
ولا تذر على ارض الروم منهم ديارا فانك ان تذرهم يلاوها
من قبايلهم نارا ويجروا من دموع رعاياها ودمائهم بحارا

وهم على المسلمين وبلادهم اضرّ من النصارى وانت حين فحصتهم
عنى زعمت انهم اولاد اخوتك وبنو عمك وذوو قرابتك والاولى
بجماعتك وناسك ان تتبعك وبكل من اولاد اخيك ان يقول
لك عمّ خذ فى معك فاعمل افكارك المصيبة فى اخراجهم واذا ادخلتهم
حبسا فلا تطلعهم فى افراجهم ثالثتهن لا تمدّن يدا لتخريب القلاع
المسلمين وحصونهم ولا تجلهم عن مواطن حركتهم وسكونهم
فانها معاقل الدين وملجأ الغزاة والمجاهدين وهذه امانة
حملتكها وولاية قلدتكها فتقبلها منه باحسن قبول وحمل هذه
الامانة ذلك الانسان المظلوم المجهول واستكثرها على عقل ابن
عثمان ووفى بها بقدر الطاقة والامكان ذكر ارتفاع ذلك الفم
بصواعق بلائه عن ممالك الارمن واسار فثار غباره اخذ عين الشمس منه
الانبهار وفار بحار النار فكان البحر امده الله تعالى بسبعة بحار
فمر لا يدخل قرية الا افسدها ولا ينزل مدينة الا محاها وبددها
ولا يمر بمكان الا دمره ولا ينجذب عن ربقة طاعته جيدا الا
كسره ولا يمتنع عليه شماخ حصن شامخ الا هصره فخلع على
عثمان قوايلوك حين وصل الى ارزنجان وقرره فى ولاياته وزاده
بعض معاين ومغان ووصاه بشمس الدين الذى ولاه قلعة كماخ وان
يكون من كل منهما للآخر قوة وطباخ ذكر انصباب ذلك العذاب
ماء ونارا على ممالك الكرج وبلاد النصارى ثم لم يزل يلتج بذلك البحر
اللج حتى ارسى على بلاد الكرج وهم قوم يعبدون المسيح ملكهم غير
فسيح ولكنه مصون بواسطة قلاع وحصون ومغاير وكهوف
وجبال وجروف وقلال وحروف وكل من ذلك اعصى فى المنال
من نفس كريم سيم شيم الاذلال ومن مدنهم تفليس وكان
اخذها ذلك الابليس وطرابزون وآب خاص وهى التخت
بالاختصاص فتمنعت هذه الاماكن عليه ولم تسلم قيادها اليه

فاقام

فاقام يحاصرها وقعد يناقرها وينافرها فمن ذلك مغارة
بابها فى وسط جرف شاهق آمنة من البوايق سالمة من
الطوارق سقفها آمن من صواعق المجانق وذيلها ادفع من
ان يتشبث به علايق المسالق مدخلها اخفى من ليلة القدر
وعدم التوصل اليها اجلى من القمر ليلة البدر فاولع بمحاصرتها
والتزم بمضاجرتها واستعمل من فكره مهندسه وجعل لا يقر
من الافكار والوسوسة ثم انتج رايه المتين وفكره الرصين
ان يرسل عليها عذابا من فوقها وان يصطاد تلك الحمامة الصاعدة
فى الجو بارجلها من طوقها فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة
الدبابات كانهن شياطين النساء للرجال غلابات واوثقهن
بالسلاسل الحكيمة واوسقهن بالرجال ذوى الشكيمة وادلاهن
من تلك القلال واهواهن من شواهق الجبال فتدلين فى
الهواء تدلية مبرم القضاء فلا ان التفانف وارجفن من الجبال
والرجال الروانف وصار لسان حال تلك الصقور والشواهين
ينادى كل من راه الم تروا الى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن
الا الله فحين وازوا باب تلك المغارة اكبتوهم بالنبال المتحارة
وكشفوهم بالمكاحل الطيارة وهاوشوهم بانواع الاسلحة
وناوشوهم بالاوهاق والكلاليب المفلطحة فلا زالت تلك
الجوارح فى الهواء صافات ويقبضن ويقبلن الى ذلك الوكن
حايمات عليه ولا يعرضن ينقرن سرة اهله بمناقير المناقب
وينشبن فيهم مخاليب الكلاليب ويكرة الناشز تمانعهم على
الولوج وتستعين فى مدافعتهم بمن فيها من العلوج فلم ينشب
احدا ولئك الجوارح ان انشب فى الباب كلوبه الجارح ثم
استعضد الفتح واستنهض الظفر واعتمد على الله ومن
دبابته الى الوكن طفر فاحتضنه ساعد المساعدة واكتنفه

بنب

النفانف

الروانف

عضد المعاضده وقبض على رسغه كف السلامه فنكصت النصارى
على عقبهم امامه ولم يزل وحده مبيدهم حتى قتل اوباشهم وصناديدهم
ثم ادخل رفقته فيها واخرجوا ما كان فى مخابيها واسم هذا الرجل
لهراسب ستة احرف ليس فيها غير متحركين اللام مضمومة والها
والراء مفتوحة والالف والسين والباء اجتماع ثلث سواكن فى
الفارسى كثير وفى التركى ايضا موجود ولكنه عزيز غير غزير
ومن جملة هذه القلاع قلعة شاهقة حروف ذاتها كحروف اسمها
بمناعتها ناطقة لا يعمل فى فتحها لارتفاعها العمل وليت لان اسمها
كما زعموا اكل كورقيت اى تعال انظر ارجع بمعنى انه لا ينال
الوافد عليها سوى النظر اليها ثلاثة اطراف مبنية على قلل
اكام شمخت على ما حواليها من الهضاب فهى على الاعلام اعلام
وطريقها من الوجه الرابع وهو دقيق فى سلوكه عسر ينتهى
بعد انواع المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك
الحصن جسر اذا ارتفع ذلك الجسر سدت دون الوصول
اليه الحيل واعاذ كل من لاذ بقلته من بنيه فصح ان يقال له
معاذ ابن جبل فلما اطلع على حقيقة امرها وانكشف له مستور
خبرها ابا ان يرحل عنها الا ان يصل الى غرضه منها ولم يكن بالقرب
منها مكان ينزل فيه ولا بر يحمل ذلك البحر الطاغى ويحويه بل
انما كان حواليها حروف وهضاب غضون جبينها كأنها وجه
شوهاء ناشز عن زوج محب عقاب فى عقاب فطمع منها فى
غير مطمع ونصب سرادقه بحيث كان منها بمرأى ومسمع فصار
من عساكره الاسود الخوادر يتناوبون حصارها ما بين
وارد وصادر وهم يرفعون الجسر بالنهار فيأمنون مكايد
القتال والحصار لانه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان
للقتال ولا مفحص قطاة يتمكن منه للنضال فكانوا يرمونها

بالنهار على بعد بسهام الاحداق ويرضون منها بنظرة من بعيد
كقانع العشاق فاذا جنهم الليل شمروا الى جهة فخيمهم الذيل
لانه لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل فتضع النصارى الجسر
ويرومون الى حاجاتهم السبيل فلما لاح له منها امارات الحرمان
وبان له ان امل ظفره من فتحها قد مان كما قلت

ما واعظم شئ فى الوجود تمنعا نتاج مرام من عقيم زمان

فصمم العزيمة على الرحيل ولكن خاف العار فطلب لهذه المسئلة الدليل
والتعليل ذكر اخذه لهذا الحصن المنيع وبيان معانى ما جرى فى ذلك
من صنع بديع وكان فى عسكره شابان نديدان اسدان حديدان
يتشابهان فى الخلق والخلق لم يكن بينهما فى الرجولية والشجاعة
كثير فرق يتجاريان كل وقت فى ميدان المناقب لاحراز قصب
السبق فكانا كفتى ميزان وفى مضمارهما فرسى رهان فاتفق
ان احدهما صادف علجا من الكرج فى الجزيرة كالاسد وفى الجثة
كالبرج فنازله ثم قتله وقطع رأسه والى تيمور حمله ففخم شانه
واعلى على الاقران مكانه فاثر ذلك فى نديده وكانه قطع جبل
وريده ثم افتكر فى شئ يصنعه يضع من نديدته ويرفعه
وكان اسمه بير محمد ولقبه قنبر فلم ير اكبر من مراقبة ذلك
الجسر ولا اشهر فاعتمد على الله سبحانه وحده واستكمل ماله
من اهبة وعدة ورصد نجمه فى بعض الليال ولطع فى مكان
خال ولا زال يترقب النجوم ويترصد عليهم طوالع الانقضاض
والهجوم ويشبر تلك القنن بيديه ويذرع ويمشى تارة على
بطنه واخرى على اربع الى ان طرح الضوء نقابه وسلخ الجو
اهابه ورجع النصارى الى كسرهم وتعاونوا على رفع جسرهم
طمر بير محمد الى الجسر فقطع حباله وتابع عليهم من حنيته
نباله ولم يمكنهم من رفعه ولا غير موضوعه عن وضعه فتراكموا

عليه بالنبال والاحجار وارسلوا عليه من ذلك السماء المدرار
وهو لا يرجع عما هو بصدده ولا يلتفت الى حينه ويتلقى ما
يصدر من مراسيم نبالهم واحجارهم بالقبول على رأسه وعينه
ولم يزل على المكافحة والمناضحة والمكاشحة والمكالحة حتى تقاطر
النهار وعض الكون من فعاله انملة العجب واخذ عين المكان
الانبهار وكان المحاصرون لها كفوا عن القتال وتيمور قد عزم
كما ذكر على الترحال وكان سواد قه منصوبا بمكان عال فناداه
لسان الفتح وخاطبه منادى النجح شعر لا تيأسن من مطلب
قطع الورى اسبابه ان اغلقوا ابوابهم فالله يفتح بابه
فترائى على باب القلعة من بعدٍ كأن ناسا يتواثبون واشباح اشخاص
يتكالبون ويتضاربون فقال لقبيله اى اولى العون انى ارى
ما لا ترون فانعموا منى النظر ثم اسرعوا نحو المعتكر واتونى
بحقيقة الخبر فاندفعوا يستشرفون لذلك خبرا ويستكشفون
لستره سترا وهم ما بين عادٍ من النمر اعدى وجارٍ من الاسد
اجرى وكل منهم فى عدوه وعدوانه تابط شرا ولم يزالوا
يتجادون على ذلك ارسالا وتترا كانهم الشياطين نهاض
ووثاب وعداء وهلم جرا حتى ادركت مقدمتهم بير محمد وهو
فى غمار الموت بناره يتوقد وقد صار لسهامهم غرضا وكاد
جوهره يصير عرضا فلما رآهم من بعيد عاش وحصل له
الانتعاش وزال عنه الارتعاش وتلاحقت بهم الصناديد
فكفت عنهم تلك الافساد الرعاديد وحين عجزوا عن دفع الجسر
وولوا الاعقاب عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا الباب
فاختلط بير محمد معهم ودخل الحصن ومن ايصاده منعهم
فدقوه بالسيوف ورضوه باحجار الحتوف وهو يابى الا المدافعة
ويجتهد فى مراجعة الممانعة ولا يشعر بما يناله من رض الحجر

وجراح الحديد كانه متأله عراه الفناء فى الفناء فى التوحيد الى
ان غشيتهم تلك الليوث واندفقت عليهم بصواعق الغضب من
سماء النجدة سيول الغيوث فتشتت اسود المنايا بتلابيبهم وخلصوا
بير محمد من مخالبهم ثم قبضوا على النصارى واخرجوا اموالهم فيأ
وحريمهم سبايا واولادهم اسارى وحملوا الى تيمور بير محمد و
اخبروه بما قصده فى ذلك وتعمده وتفقدوا ما به من جراح ادمى
فاذا هى ثمانية عشر جرحا كل منها يصمى فشكر له فعله ووعده موا عيد
جزله واحله المحل العزيز وجهزه الى تبريز وامر بعد الوصية به
الامراء من النواب والرؤساء ان يجمعوا عليه كل نطاسى من الاطباء
وخريت من الاساة بحيث يبذلوا فى معالجته جهدهم ويستوعبوا
فى اساه كدهم ويستوفوا فى المعالجة قسمى العلم والعمل فامتثلوا
مراسيمه وعالجوه بما امكنهم وازاحوا العلل فاندملت جروحه
وبرئت احسن مما كانت قروحه فلما نصل والى تيمور وصل
جعله احد قواده ورئيس طائفة من اجناده وقدمه على
كثيرين بعد ان كان خلف وصيره امير مائة مقدم الف
تتمة ما جرى للكرج مع تيمور شيخ العرج وهذه القلعة والمغارة
كانتا عينى قلاع الكرج ونار اعلامهم والبواقى سرج فحين
قلعت من وجوههم عيناهم تيقنوا ان قد نزل بهم عناهم واحاط
بهم عزاهم فانحلت قواهم وانخرمت عراهم وقعدت بهم الحيلة
وقامت عليهم القيامة وتجهمت بهم الى جهنم الزبانية واسلمتهم
السلامة وتفاءل تيمور بحصول الفلج وانثنى عزمه الى استخلاص
ممالك الكرج وانبثت شياطينه فيها فهزتهم هزا وقدت ثوب
حياتهم قدا وجزتهم جزا وخاطت لهم اكفان المنايا بالسلاح
فاوسعتهم شلا وكفا ودرزا وتلا عليهم لسان الانتقام لم تر
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا ذكر طلب الكرج

الامان واستشفاعهم الى ذلك الجان بجارهم الشيخ ابرهيم حاكم شروان
فاستدركوا تقصيرهم واستنهضوا تدبيرهم ورقعوا خرقهم
قبل الاتساع ووصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع واستغاثوا
الامان الامان واستعانوا فى خلاصهم بالشيخ ابرهيم حاكم شروان
والقوا الى ايادى تدبيره الزمام ورضوا ان يكون لجماعتهم ولان
كان على غير ملتهم الامام وجعلوه خطيب ذلك الخطب واستحلوا
ما تثمر لهم سعايته من يابس ورطب وكان اذ ذاك وجيوش
المصيف لجمع الكرج قد ولت وجنود الخريف والشتاء لجيش
تيمور قد اظلت وسلطان الاجرد قد صقل فرند المياه وجرد
ورفع من الاغصان الاعلام السلطانية ونصب على قلل
الجبال الصيوانات البلاريه والبس متن الغدير من نسيج نسيم
الاصيل الدروع الداودية فكان ما فى الكون من جوامد ونوام
من جملة عساكر تيمور حام له او محام قلت

واذا اراد الله نصرة عبد كانت له اعداؤه انصارا

واذا اراد خلاصه من هلكة اجرى له من نارها الانهارا

فترى العقول تقاصرت عن نوله وترى له فى شوكة ازهارا

فدخل الشيخ ابرهيم عليه وقبل الارض بين يديه وحياه بتحية
الاكاسرة من الملوك ووقف فى مقام اصغر مملوك ثم استاذن
فى الخطاب واستلطف فى رد الجواب فاذن له فقال ان عموم
شفقة مولانا الامير وحسن حنوه على المسكين والفقير
وشمول عاطفته الكريمة ورحمته المنيفة حملت المملوك
على عرض ما عن له على الآراء الشريفة وهو انه بحمد الله تعالى
المرام حاصل والمراد على وفق الاختيار متواصل والولى
مجبور والعدو مكسور وهيبة مولانا الامير فى الشرق
والغرب اغنته عن الاستعداد للضرب والحرب ثم ان

العساكر المنصورة اكثر من ان تحصى وفيهم من الاسرى و
المرق الحال ما فات الاحصاء وخصوصا جماعات التتار الذين
ولى سعدهم الادبار واحلوا قومهم دار البوار قد اضربهم
البرد وتردد نقش حظهم بين العكس والطرد فان استمر
الامور على هذا الدستور دق الجليل وهلك الرقيق ودق
العظيم وانطحن الدقيق وهذه البلاد بل وساير الاقاليم
محال الا بامرك ان تستقيم وان دوساءها من الفجرة والفسقة
علموا ما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقة فتراموا
لعلة المجاورة على المملوك ورجوا من الصدقات الشريفة
ما يرجوه من الغنى الكريم المحتاج الصعلوك ومهما برزت
المراسيم المطاعة تلقاه بالقبول كل من المملوك وهاؤلاء
الجماعة وقابلوا اوامره الشريفة بالسمع والطاعة وان كان
المقصود جمع مال فالمملوك يقوم به على كل حال وان للمملوك
مال الامين صدقات مولانا الامير وما قصد المملوك بذلك
الا دفع الكلفة عن الجانبين وتيسير الامر العسير ودعاية
لحق الجوار عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل
يوصينى بالجار والراى الشريف اعلى واحرى ان لا يخيب
رجاء المملوك واولى فاجابه الى سؤاله وطلب منه مالا
عريضا سواء كان من مالهم او من ماله فقال الشيخ ابرهيم
انا به زعيم وابلغ ذلك الى خزانته اتم ابلاغ ثم رحل واكمل
شتويته فى قراباغ وذلك فى سنة ست وثمان مائة
ذكر ثنى عنانه الى اوطانه وقصد بلاده بعد استكماله فساده

ولما زينت ماشطة الكون عروس المكان واقام مزمن
الجمادات قوام الزمان وتهيجت الهوا القوى النامية و
تبرجت مخدرات الذرى السامية وشبت الجمرات ودبت

الحشرات تحرك للرحيل ذلك الافق ونفث على هوام اموات
الزمهرير من احياء عساكره فاذا هي حية تسعى فدق الكوس
فجاوب صداه الرعد القاصف ولمعت مرايا اللبوس فانعكس
منها ايماض البرق الخاطف وعرض فيوله في الدروس فاحاط
بالاطواد قوس قزح وسيرخيوله في اللبوس فتجللت كثايب
الكثبان بشقق الورد والريحان جايلة في ذلك البر المنزح
ومارت الجمال فمرت لجبال مر السحاب وسارت الرعال
فصعد العنان من النقع الضباب وشرعت الذوابل فاذا رطيب
الاغصان متمايل وهزهزت القواصل فانساب في القصيل رهف
الجداول ولضلضت السنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات
العذبات ونشرت اعلام اعلام الكثايب فانبثت تشاهير
الازاهير على عقبات العقبات وعلى الجملة فان الربيع حاكى ببروقه
بوارقه وبرعوده صواعقه وبخمايله وروابيه زرابيه وغمارقه
وبركامه قتامه وبشقايقه اعلامه وباشجاره المزهرة خيامه
وباغصانه رماحه وبهواصف امره ونهيه رياحه وبكثايبه
السود كتبه الخضر وبازهاره الزرق مزارقه الزهر وبسيوله
الجحافة مسير جحافله وباضطراب بحر فيالقه تموج خمايله
عند هبوب اصايله واستمر بين ذلك العراد والرند قافلا
بالبال الفارغ الى سمرقند فسار والسرور نديمه والحبور خدنه
والاشر والنشاط مسامره وبين التفريط والافراط موارده
ومصادره حتى قطع ولايات اذربيجان وحل ركابه بممالك
خراسان وفي خدمته ملوك الاقاليم وارباب التيجان ذكر نهوض
ملوك الاطراف لاستقباله ووفودها عليه مهنية له بحسن مآله
ولما سامعت اقطار البلدان انه قفل قاصدا الاوطان
اقبلت اليه الملوك من اطرافها والمرازبة من اكنافها وسارع

الكثايب صح

الى استقباله المدارة والمحاجح وتبادر من ماوراء النهر
وغيرها السراة والمراجح وتطاير من الاقاليم اساطينها ومن
الولايات والثغور ملوكها واساطينها ومن كان مرابطا في
ثغره او مواظبا على اكيد امر ارسل نايبه او قاصده او حاجبه
او رايده يتباشرون بقدوم اقدامه ويهنيونه بما فتح الله عليه
من هنده وعراقه وروميه وكرجه وشامه ويقدمون النفائس
والحمولات ويهيئون الضيافات والاقامات ثم اردفهم السادات
والعلما والمشايخ والكبرا ورؤسا الموابذة وموابذة الرؤسا
فجعل يسمت لكل منهم سمتا ويأمره فيخضع بالسمع والطاعة
اجلالا لاوصمتا ويمهد له فيما ولاه قواعده ومباني فلا ترى فيها
عوجا ولا امتا ثم جهز كلا منهم بما اقتضاه رأيه واجازه
ووصل الى جيحون وقد اعدت له السفن والمراكب فجازه فخرج
اهل المدينة للاستقبال وكل منهم منشرح البال مليم الحال
فدخل سمرقند اوايل سنة سبع وثمان مايه ومعه من طوايف
الامم الاثنان والسبعون فرقة واكثرهم قدريه ومرجيه
ثم اذن لمن اختاره من العساكر فتفرقت ولطوايف جند
ماوراء النهر فتمزقت ذكر توزيعه التتار ارسالا اشرقا او
غربا ويمينا وشمالا فلما استقرت به الدار اخذ في توزيع التتار
وكانوا ذوي عدة وعدة ونجدة وشدة فحين سلبهم عددهم
كسر شوكتهم وشدتهم ولكن ابقى الله عددهم فخاف لذلك
نجدتهم فشتت جمعهم واقوى من اجتماعهم ربعهم فبذرهم
في فيافٍ وبطاح ووزعهم في قفار وضواح وبددهم في
اشطار عناء وبراح وندهم في اقطار بكاء ونواح فسدد
برؤسهم افواه الثغور واوصد بظهورهم ابواب النحور
فجهز طايفة الى كاشغر وهو بين حدي الخطا والهند احد

الثغر ووجه فرقة الى دويرة في وسط بحيرة تدعى اسي كول
وهو ثغر بين ممالك تيمود و الموغول فساعدهم بعض السعد
فانقطعوا عمن اضيفوا اليه كما ينقطع عما يضاف اليه بعد
فانضموا منهزمين و لبثوا واخذوا من صوب الشمال وخرجوا
على الدشت الى ايدكو ثم اضاف سايرهم وقبايلهم وعشايرهم
من كل حزين اواه الى ارغو نشاه وجهزه بعزم وحزم الى ثغور
الدشت وحدود خوارزم وهذا كان هجيره وما بنى عليه اوامره
واموره فانه كان من الشياطين النقاله وفي المكر واللعب
بالناس كدلة المحتاله كما بنى في قطر قلعه او استولى في نحر
من نحور المخالفين على دقعة او بقعة انزل بها من العساكر
من هو في اقصى جهات تقابلها من الحصون والدساكر ونقل
اليها من بها من الرجال ان كان في الشمال الى اليمين وان كان
في القبلة او الجنوب الى الشمال فانه لما استولى على ملك تبريز
وما والاه استناب فيه ولده لصلبه اميرانشاه وامده من
الجغتاى بطايفة غلاظ شداد منهم خدايداخو الله داد
ونقل الى اطراف الخطا وتركستان طوايف من عسكر
العراقيين والهند وخراسان وولى سماقة ابن التكريتى
الذى اخذه من الشام كما ذكر نيابة مدينة سيرام وهى عن
سمرقند الى جهة الشرق نحو من عشرة ايام وولى يلبغا
المجنون نيابة ينكى تلاس و راسيرام بنحو اربعة ايام وهما
كورتان مختصرتان ورأى سيحون من معاملات تركستان
وهما كانا اقل من ان يذكرا فضلا ان يصيرا حكاما وامرا وانما
فعل ذلك لينتشر في اطراف الممالك ان عنده من رؤساء
الشام جماعة من اعيان الاعلام وان في مماليكه من الحذم
ورؤساء الامم حكام العرب والعجم وان ذلك الطرف جمال

وسطا

وسطا وملك ما بين الشام والخطا فصل ثم اخذ يتفقد ما
حدث في غيبته من امور بلاده ورعيته ويتفحص عن قضايا
الممالك ويسلك لملوكها المسالك ويدبر مصالح الاطراف والثغور
والاكناف والنحور ويراعي احوال الكبير والصغير ويتعاطى مصالح
الغني والفقير ويضع الاشياء على زعمه في محلها ويزمام المناصب
والوظايف في يد اهلها ويبادر بما قال الشاعر
لله در انوشروان من رجل ما كان اعرفه بالوغد والسفل
نهاهم ان يمشوا عنده قلما وان يذل بنو الاحرار بالعمل
واخذ يربي السادات ويكرم الاولياء ذوى الكرامات ويجل
العلم واهله ويعلي الفضل ويعز محله ويقمع المفسد ويقلع
المارق ويخنق الزاني ويصلب السارق حتى استقامت في
زعمه امور السياسة وتمت على تورات جنكيزخان قواعد الرياسة
ذكر ما ابتدعه من منكراته وطبع بخاتمه خوايم سيأته ووافى
باستيفائه رائد وفاتم شرع في تزويج حفيده اولوغ بيك بن شاه
رخ النبيه الذى هو في يومنا هذا اعنى سنة اربعين وثمان
مائة حاكم سمرقند من قبل ابيه فامر اهل المدينة ان يشرعوا
في الزينة وان يرفع عنهم الكلف والمظالم ويعفو من الطروقات
وجبايه والمغارم ويبسط لهم بساط الامان ويعامل الكبير
والصغير والرفيع والوضيع منهم بالفضل والاحسان وان لا
يشهر في مماليكه سيف ولا يجرى فيها ظلم ولا حيف وان يخرجوا
زينتهم الى مكان نحو ميل من ضواحي سمرقند يدعى كان كل
هوآءه اذكى من المسك وماءه احلى من القند كانه قطعة
من روض الجنان غفل عنها خازن نهار رضوان قلت شعر
رعى فيه غزال الترك شيحا فصار المسك بعض دم الغزال
روايح هوآئه الطف من نسيم السحر وروائح مايه اعذب

من ماء الحياة صفاء بلا كدر وتغاريد طيوره الذى فى السماع
من سانِ الناى على الوتر قلت بساط زمرد نثرت عليه
من الياقوت الوان الفصوص وقلت
كان مدور الازهار فيه ووردا فى محاسنه تنضد
صحاف من لجين اوعقيق ومرجان وياقوت وعسجد
فهذى حشوها مسك فتيت وهذى ضمنها تبر مبدد
اراد الروض يجلوها علينا فصاغ لها اكفا من زبرجد
صباغ القوة الخيالية يتعلم خلط اصباغ النقوش من تشاهير
ازاهيره ومواشط عرايس الجمال تزين عواتق الكمال من تحاريره
تصاويره قلت كان رباه سيما وقت هبة
خضم بانواع الحلى مرصع افسح من امل حريص طامع فى
جاه غنى كريم نافع وانزه للابصار والبصاير من غض شباب
زاهٍ زاهر ساعده الزمان بوجه بسيط وادب كامل وعمر
طويل ومالٍ وافر وهو احد الاماكن المذكورة والمتنزهات
التى هى بالنزاهة والرفاهة فى الدنيا مشهورة ومبدأ السعد
الذى جهاته بالنعم موفورة قلت
شقايقه خدود ناضرات تحشت من سواد المقلتين
عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم فيه تضاهى بنى اسرائل
فى قطر من اقطار التيه ثم امر الملوك والسلاطين وارباب
التيجان من الاساطين ان يخرجوا اليه وينبثوا عليه وفرز
لكل منهم فى ذلك المرج مقاما ورتبه ميمنة وميسرة وورا
وامام وامرا ان يظهر ما امكنه من تجمل وتحسين ويضرب
ماله من خيام وقباب متكلفة بانواع النقوش والتزيين
ثم رتب من دونهم من الكبرا والاعيان ورؤساء الامرا و
الاعوان فى ذلك الروض الاريض والمرج الطويل العريض فاخرج

الدهر

السعد

كل منهم ما حواه وكاثر نظراؤه لينظروا ما قدمت يداه وفاخر
ذوى الفخار منهم وباهى واستقصى فى المباهاة والمفاخرة وتناهى
فنشروا امتعة طوت صحايف ايامهم على جمعهم اياه سجلات آثامهم
من طرف اطراف الاقاليم والامصار وتحف جواهر المعادن و
البحار ونفايس ذخاير نهبوا عليها النفوس والهبوا الانفاس
وعرايس اخاير سقوا عليها الكوس وخرقوا الاكياس ما ازرى
على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر واسرى منظره
البهيج سرايا المسرات الى سر السراير فزاد حسن حديثه ذلك
المكان نماء وعلا قدره بهجة على كل ارض وسماء ثم امر بسراد قاته
فجعلت مركز تلك الدارة ونقطة دايرة تلك الافلاك المدارة
وهى سور محيط مضروب على ماله من خيام وقباب منصوب
له باب واسع يدخل فيه من دهليز شاسع الى ما به من معان
ومغان وله قرنان شامخان تنكس لهما الرؤس وتذهل عند
مشاهدتهما النفوس ولاجل هذين كان يلقب ذا القرنين
ونصبوله داخل هذا الجناب عدة من الخيام والاخبية والقباب
ومن جملتها قبة اعلاها واسفلها بالذهب مزركش وظاهرها
وباطنها بلبت الريش مريش واخرى كلها بالحرير محبوكة وبانواع
النقوش والوان الاصباغ مبنية مشبوكة واخرى من فرقها
الى قدمها مكللة باللآلى الكبار التى لا يعلم قيمة احديها الا علام
الاسرار واخرى مرصعة بانواع الجواهر على صفايح الذهب
مدهشة للابصار والبصاير وجعلوا ما بين ذلك سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسترا
عليها يتكيون وبين ذلك الارواق المنقشة ورواقات الاخبية
المزركشة والفساطيط والابنية المدهشة وفيها مراوح
الحيش الجالبات لبرد العيش والمنافع والمرافق والمفاخ

والمفالق واظهروا الذخاير الغريبة وارخوا على ذلك الستاير
العجيبة ومن جملتها ستارة جوخ كان اخذها من خزانة السلطان
ابي يزيد قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الحديد
منقشة بانواع النقوش من صور النباتات والعروش واشكال
الهوام والطيور والوحوش واشخاص الشيوخ والشبان والنساء
والصبيان ونقوش الكتابة وعجايب البلدان والعروق اللاعبة
وغرايب الحيوان بالوان الاصباغ المبالغ في احكامها واجادتها
احسن ابلاغ كان صورها متحركة تناجيك وثمارها الدانية
لاقتطافها تناديك وهذه الستارة احدى عجايب الدنيا وليس
المسمع كالمرأى ونصبوا امام سراداقاته بمقدار شوط فرس
الصيوان الذي يجتمع المباشرون فيه وارباب الديوان وهو جتر
عالي الذرى شامخ في الهوى له نحو من اربعين اسطوانة وعواميد
وسوار شيدوا عليها اركانه وسددوا بنيانه يتسلق الفراشون
الى اعلاه كالقردة كانهم مسترقوا السمع من الشياطين والمردة
ويتعادون على سطحه حين يرفعونه بعد بطحه فصل
واخرج اهل المدينة ما عبتوه من تجمل وزينة ونصبوه تجاه تلك
السراداقات على مد البصر وتانق كل واحد من اهل البلد فيما
وصلت اليه القوى والقدر واجتهد كل ذي حرفة فيما يتعلق
بحرفته وبالغ كل من ارباب الصنايع فيما يليق بصنعته حتى
ان ناسج القصب اخرج فارسا مكمل الاهبة واستقصى في اكمال
هيئته حتى اظافيره وهدبه واستوفى دقايق ما يتعلق به
من الآلات كقوسه وسيفه وساير الاستعدادات كل ذلك
من القصب ورفع ذلك في مكانه من غير تعب ونصب وصنع
القطانون من القطن مئذنة رفيعة محكمة بديعة ذات قد
رشيق وصنع وثيق ونظر انيق ببياض جسم يسمو على الحور

والنباتات ص

وكمال قوام يعلو على القصور ونصبوها فصارت بحسنها تستوقف
النظارة وبعلو قامتها ترشد في ذلك المهمه الحايرة حتى غدت علما
للسيارة وعلى جوامع تلك الابنية منارة وكذلك اهل الحرف
من الصواغين والحدادين والخفافين والقواسين وساير
الطوايف وارباب الملاعب واللطايف ولقد كانت سمرقند
مجمع الافاضل ومحط رحال اهل الفضايل فربت كل طائفة
ما اخرجته على حدة في مكانه امام سراداقه وصيوان ديوانه
ونصبت وراء ذلك كلة الاسواق وضربت بين الناس
بوقات الابواق وزينت الفيول وجياد الخيول بافخر لباس
واطلق عنان الرخص والتمتع بانواع الملاهي والملاذ للناس
فسارع كل طالب الى مطلوبه واجتمع كل محب منهم مع محبوبه
من غير ان يتعدى احد على احد او يستطيل على من يكون
على ادنى من يكون من الجند واهل البلد او يجري تعد ما من
شريف ما على وضيع ما فصل ولما استتب الامر على مراد
تسويل قرينته واخذت الارض زخرفها وازينت من جنده
واهل مدينته توجه الى ذلك المرج على وقاره وسكينته
وخرج على قومه في زينته ثم امر ان تجرى يواقيت الصهبا على
زبرجود ذلك المرج الاحوى وسبلها لكل ناظر وعام فسبح في
تيارها كل خاص وعام فدارت في سماء تلك الارض للسرور افلاك
وهبطت في افقها بوحي اللذات من افلاك الملاحة املاك
فاصبحت تلك الاسود الخوادر وهي ظباء جوادر وتنزلوا من
جحيم المنازلة الى نعيم المغازلة وتبدلت تلك الغلاظة والكثافة
باللطافة والظرافة وامسوا بعد جودهم يتجاودون وبمعنى
ما قلته يتحاورون وهو شحا الظلم من بين الورى رسم عدلنا
فما فيهم من يشتكي جور معتد سوى قلب صب صاوه طرف احور

وخصرٍ نحيلٍ آوَدَ رِدفٌ اغيدُ فما صار يصول سيف الآ ان كان
صارم لحظٍ وهو مع ذلك مكسورٌ ولا يجول ذابل الآ ان كان رمح قدٍّ
وهو مع ذلك بالعناق مهصور وصرت لا ترى الا عوداً يحرك
او يحرق او قدحاً يروق او يروق او شادياً يغرد او شادناً يعربد
او جاريةً تسقي او ساقيةً تجري او خدّ ورد ينشق او ورد خدٍّ
يعشق او كأس تغري برشف او غصن خصرٍ للعناق يقصف
او فرص عيش تغتنم او لسان حالٍ ينشد ويترنم قلت

في ربيع الوصل لما ان وفى ظبي الشرود وسرت بشرى الصبا للروض تثني بالورود
خوّت الانهار والاغصان مالت للسجود واجتمعنا في رياض حسنها يسبي الوجود

فالسحاب الصب فيها بالحشا امسى يجود

نثر الدرّ علينا منه بلّور الغمام فوق صحن سندسيّ فيه مليا قوبجام
وتغور من عقيقٍ زانها حسن ابتسام وعيون من لجين ناظرات لا تنام

وغصون الدوح حفّتنا بانواع النقود

طيرها فيه غنا ان قد علا عوداً وطار وشذاها ضاع فيه المسك لما منه غار
والصبا امسى عليلاً في رباها حين سار جنة الفردوس فيها وجه بدر حين بار

اصبحت جنات عدنٍ تشتهي فيها الخلود

يالها من عشرةٍ جاءت بانواع الهناء ليس فيها غير لثم وارتشافٍ واعتناء
وكؤسٍ دايراتٍ وغناءٍ وغناء لو رأها زاهد من ريحها كان انثنى

لم يسعه عندها من زهده الا الجحود

قم نديمي عاطني فالدهر لا يسوى الحزن كأس عيشٍ يمحي في مزجها صرف الزمن
الطلا والماء والخضرة والوجه الحسن لا تطع في ذا عذولاً انه خب كمن

في حشاه غليان لا تقل خلّ ودود

فصل الامن والدعة والفراغة والسعة ورخص الاسعار وقضاء الاوطار واعتدال الزمان وعدل السلطان وصحة الابدان وصفاء الوقت وذهاب المقت وحصول المطلوب

ووصال المحبوب مصراع وعند التناهي يقصر المتطاول واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت والسطوة والجبروت شيء لم اظنه حصل لاحدٍ من الخلفاء المتقدمين ولا يقع فيما بعد لاحد من المتأخرين وان كان المامون فرش تحته ليلة عرسه حصير من ذهب ونثر على رأسه اللولؤ المنتخب فلم يلتفت اليه ولم يلتقط من ورائه ولا من بين يديه واستمر حتى قال قائل الله ابا نواس كانه كان حاضرا حيث قال شعر

كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درٍّ على ارض من الذهب

لكن تيمور الجبار كان في عرسه ذاك بنات الملوك وصايفه وبنوها عبيدا كل منهم في مقام العبودية واقف واجتمع عنده قصاد الملك الناصر فرج من مصر والشام ومعهم الحمل والتقادم ومن جملته الزراف والنعام ورسل الحظا والهند والعراق والدشت والسند وبريدي الفرنج ومن سواهم وقصاد كل الاقاليم اقصاها وادناها ومن كل مخالف وموافق ومعادٍ ومصادق فاخر الجميع حتى شاهدوا عظمته وعاينوا جبروته في ذلك العرس وابهته فباشر ذلك على تلك الحال لا يخاف المنكال ولا يخشى الوبال قلت شعر

يتناول المحرمات ويبيحها ويروج عنه مستحبها وقبيحها فهما
امر به جماعته في ذلك امتثلوه يتباهون في كل قبيح عملوه
ولا يتناهون عن منكرٍ فعلوه، قلت

تبدّل من سفكٍ وهتك حريمه احل بها ما حرّمته الشرايع

وجعل يدعو الملوك والامراء وسلاطين الآفاق والكبراء وقوّاد التوامين وزعماء الجيوش والمقدمين ويسقيهم الكاسات بيده ويحل كلاً منهم محل اخيه وولده ويخلع عليهم الخلع السنية ويجزل لهم المواهب والعطية ويجلس كلاً منهم بحسبه ذات اليمين واما ذات الشمال فانها للنساء والخوانين فان النساء لا يستترن من الرجال

قرين العين لا يرجو الها
خلي البال لا يخشى معادا

خصوصاً فى مجالس الاجتماع والاحتفال واستمرّ فى ذلك
بين جنك وقانون وعودٍ وارغنون وناىٍ مرقصٍ مطربٍ وشادٍ
مجيبٍ مغربٍ وساقٍ فاتنٍ ودهرٍ موات وهوى متبّعٍ وامرٍ مستمعٍ
وشمسٍ تدورُ على نجوم وبدورٍ وكاسٍ تملأ وكيسٍ يفرغ وامرٍ يمضى
وامل يبلغ حتّى استخفّه الطرب والبطر واستفزّه النشاط و
الاشر فضبع الى من استعضده ومدّ للنهوض اليه يده فتعاضدوا
لمعاونته وتعاونوا على معاضدته وحين استوى قالصاً تهادى
بينهم بشيبته وعرجته راقصاً قلت

ومن عجب الدنيا اشلّ مصفّقٌ وابكم قوّال واعرج راقصٌ

فنثر عليه الملوك والكبراء ونساء السلاطين والامراء الجواهر واللآلى
والفضّة والذهب وكلّ نفيسٍ غالٍ ولم يزل على ذلك حتّى استوفى
من اللهو حصّته ودخل العروس منصّته وانقضت تلك الامنيّة
وتفرّقت هاتيك الجمعية شعر

ما كان ذاك العيش الّا سكرة لذّاتها رحلت وحلّ خمارها

فصل ولمّا بلغ من دنياه المرام وانتهى امله الى الكمال والتمام
وعرج فيما يرومه الى ما عرج وصعد فى سلّم ارتقائه الى اعلا الدرج
وقارب بدر عمره الافول وشمس حياته ان تزول وشقّه الزمان
بسهام اصماه فما انمى وناداه بلسانٍ فصيحٍ لو سمع فرغ العرس
يا بيت الاحمأ قلت وما الدهر الا سلّم فبقدر ما يكون
صعود المرء فيه هبوطه وهيهات ما فيه نزول وانّما
شروط الذى يرقى اليه سقوطه فمن صار على كان او فى تهشّما
وفاء بما قامت عليه شروطه فافاق من سكره وعاد الى عكره
وارعوى وما ارعوى وعلم انّه اضلّ قومه وما هدى ورأى
انّه قد فرّط فى امر الرياسة وحطّ من جانب الايالة والسياسة
وانّه سام الملك خسفاً وساس السلطنة وجد عليه مائة طريق

فى التقصير والفاً فاخذ يتدارك ما كان فرّط ويطلب التقصّى
عمّا فيه توّرط ذكر بعض حوادث متقدّمة لمتعلّقات ذلك العاتى

وكان تيمور قد رأى فى الهند جامعاً للبصيرة مرتعاً للبصر
رايعا عرشه فى حسن بنائه ونقشه من الرخام الابيض كبساط
فرشه فاعجبه شكله واراد ان يبنى له فى سمرقند مثله ففوز
لذلك مكاناً فى فرزٍ ورسم ان يبنى له جامعٌ على ذلك الطرز
وان يقطع له احجار من المرمر الصلد وفوّض امره الى رجلٍ
يقال له محمد جلد احد اعوانه ومباشرى ديوانه فاجتهد فى
بنيانه وتشييد اركانه واستقصى جهده فى تحسينه من
تأسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه واعلى له اربع ميادين
وتناهى فيه ايمة البنّائين والاستاذين وظنّ انّه لو كان فى
ذلك احد غيره لما قدر ان يصنع صنعه ويسير سيره وان
تيمور سيشكر له صنيعه ويُنزله عنده بذلك منزلةً رفيعة
فلما آب من سفرته وتفقّد ما حدث فى غيبته توجّه الى
الجامع لينظر اليه فبمجرّد ما وقع نظره عليه امر بمحمد جلد فالقوه
على وجهه وربطوا رجليه ولا زالوا يجرّونه وعلى وجهه يسحبونه
حتّى بضّعوه على تلك الحال واستولى على ماله من اهلٍ وولدٍ
ومال واسباب ذلك متعدّدة ومعظمها انّ الملكة الكبرى
امرأة تيمور العظمى امرت ببناء مدرسة واتفق المعمارية واهل
الهندسة ان تكون فى مواضع مقابلةٍ لبناء هذا الجامع فشيّدوا
اركانها وسدّدوا ابنيانها وعلّوا على الجامع طباقها وحيطانها
فكانت ارسخ منه تمكيناً واشمخ منه عريناً وتيمور كان نمرق
الطبع اسدىّ الوضع ما تكبّر عليه راس الّا شدخه ولا تجبّر عليه
ظهر الّا فضخه وكذلك كلّما اضيف اليه اوعول فى النسبة عليه
فلما رأى قامة تلك المدرسة طالت وعلى قدّ جامعه الحبتر ترفّعت

واستطالت نغل صدره غيظا واشتعل وفعل مع مباشر ذلك
ما فعل فلم يصادفه فيما امله سعد وهذه الحكاية مقدمة لما ذكره بعد
نكته كان هذا الجامع كصاحبه احاطت او زار الاحجار بجوانبه
وتثاقلت على غوارب وصناكبه ودقت عنق طاقته عن حملها ورقت
وتلا لسان سقفه اذا السماء انشقت وما امكن تيمور الاشتغال
بهدمه ثم احكامه ونقض بنائه واستيناف ابرامه فطوى ثوب
عمارته على غرة واستبقى خشب خشبه على وهنه وكسره لكنه
امر خاصته وذويه ان يجمعوا ويجمعوا فيه واستمر ذلك فى حيوته
وبعد وفاته فكان اذا اجتمع الناس فيه للصلوة يرتقبون من
تلك الحجارة ما يهبط من خشية الله وصار ملك الجبال فى تلك
المحلة يتلو واذ ننتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة ففى بعض الاحيان وقد
غص بالناس ذلك المكان واخذ كل منهم حذره سقط من حجارته
من اعلاه شذرة ففر كل من كان جاثما وانفضوا الى الابواب
وتركوا الامام قائما وكان من جملتهم الله داد احد الاكفاء والاندا
فلما اطلعوا على حقيقة الخبر تراجعوا وزال عنهم الحذر فلما قضوا
الفرض وانتشروا فى الارض قال لى الله داد وكان من الدهاة
ذوى الكياد والاذكياء النقاد له حوالى كعبة المخازى مائة شوط
والف طوف ينبغى ان يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلوة
فيه صلوة الخوف وقال لى ايضا الله داد وقد فهم معنى هذا الانشاد
وينبغى ان ينشد فى شان هذا المعبد ويكون رقم طرازه ونقش
صدره ومجازه قول الشاعر

"سمعتك تبنى مسجدا من جناية، وانت بحمد الله غير موفق"
"كمطعمة الايتام من كد فرجها، لك الويل لا تزنى ولا تتصدق"

فصل ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول كان استخلاص
ممالك الشرق فى فكره يجول وقد ذكر انه ارسل الى الله داد

يستوصفه اوضاع تلك البلاد ولما انكشفت له احوالها وتبينت له
قراها ومضافاتها واعمالها حتى شاهدتها عين بصيرته واستقرت
كيفيتها فى سر سريرته جهز لتلك النواحى رؤس هاتيك الضواحى
ومن جملتهم بيردى بيك وتنكرى بيردى وسعادات واياس
خواجه ودولت تيمور مع زيادات واضاف اليهم طوايف من
الاجناد ورسم ان يتوجهوا كلهم الى الله داد وان يجهز الله داد
امره ويتوجهوا فيبنوا قلعة تدعى باش خمره وهى عن اشباره
نحو من عشرة ايام ومن متعلقات المغل الطغام وكانت امورها
اضطربت ولكونها متنازعة بين مملكتين خربت فتوجهوا الى
تلك الدارة بالعساكر الجرارة واشتغلوا على خلاف عادتهم بالعمارة
وكان توجه هذه الفيلة فى اواخر سنة ست واوايل سنة سبع
وثمان مائة وقصد بذلك ان يكون لهم معقلا وعند توجههم
الى الخطا ملجأ وموئلا فلما احكموا اساسها وصنفوا انواع بيوتها
واجناسها وصفوا من احجار الاساسات اقدامها ورفعوا على
اعلام الاسوار اعلامها ارسل اليهم رسوما انهم يرجعون امرها
ويتناسون ذكرها ويامرهم فيه بالرجوع والاشتغال بتغليق
البلاد بالزروع بحيث ان فقهاء الدرس والدياس من اهل
القرى والامصار والمشتغلين بفقه المزارعة والمساقاة من
فلاحى الانجاد والاغوار واهل الرزداقات والاكاره من حدود
سمرقند والى اشباره يتركون مسائل المعاملة والمبايعة ويكرون
البحث قولا وعملا فى درس المساقاة والمزارعة ويؤذنون فى
جماعتهم ان يقيم كل منهم فى الزرع صلاحه وان اضطر احدهم
ان يترك صلاته فالحذر الحذر ان يترك فلاحه ورام بذلك
ان يكون لهم فى سفرهم عتادا وان نقص لهم فى الدرب قضيم و
خضيم زادا فتركوا العمارة وقصد كل من الامراء ديارة واشتغلوا

باستخراج البقر والبذار واجتهد وافى احياء جميع الموات كما رسم
واشار فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه ونشر
رايد الخريف على العالم اعلامه واغماطه ذكر عزمه كما كان على الخطا
ومجيئه سكرة للموت بالحق وكشفه عنه الغطا ثم انتقاله من
سفره الى سقره فلما افاق اخذ فيما كان عليه من التوجه
الى الآفاق وقصد الحواشى والاطراف واستخلاص الممالك
والاكناف وصرف عنان الذهاب نحو الخطا على عادته وكان
ذلك عين الصواب فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا ويأخذوا
اهبة اربع سنين او اكثر ويتجهزوا فلبت كل امة دعوة رسولها
وشنفت باقراط فراسيمه آذان قبولها وحمل كل اسد جوزاء عتاده
وامتطى جدى بغيه واعد كل ثور سنبلة زاده ودلو ساقيه ودب
كل عقرب منهم دبيب السرطان وانسابوا انسياب الحوت فى بحار
العدوان مجازفين مظالم العباد بالاكل والاميزان فابرد هلال
القوس سهم برده بمرسومه الى كل صماخ يخبر ان جند الشتاء على
عالم الكون والفساد اناخ فليستعد له الكفاة وليحذره العراة و
الحفاة ولا يكتفوا فى كفه بكافاته فما كل كاف له كفؤا لانه فى هذه
المرة اية من ايات الله فلا تتخذوا ايات الله هزؤا وان قصده بقده ومده
تبريد الانفاس وتشويط الانوف والآذان واسقاط الاكارع
والرؤس وان فصل الخريف رايد جنوده وقايد بنوده وانموذج
طلعته ومرئى عين غلته وعنوان مكاتبته ومقدمة كتيبته
ثم زمجر بعواصف رياحه البارده وخيم على العالم بخيام غيومه
الصادرة والواردة فارتعدت الفرايص من زئيره ولاذ كل
من الحشرات بقعر جهنمه خوفا من زمهريره وخمدت النيران
وجمدت الغدران وارتجفت الاوراق ساقطة من الاغصان
وخرت على وجهها الانهار جارية من الانجاد الى الاغوار

الاسود فى اخياسها وتكنست الظباء فى كناسها وتعوذ الكون
من آفته واصفر وجه المكان من مخافته واغبرت خدود الرياض
وذبلت قدود الغياض وراح ماكان بها من النضرة والارتياح
واصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح فاستسج تيمور
لفظات هذه النسمات واستبرد نفثات هذه النفحات وامر
باعداد لبوس القباب واستعداد بركستوانات الجباب
واتخذ لصفاح الجمد وسهام البرد من المبطنات الدرق ومن
الفراء الزرد ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات اللباس
وافرغها على قامة عزمه الثاقب وامدها من كافات كفايته
باتراس ولم يلتفت الى كلام وملام واستكفى امر الشتاء بمالبسه
واعده من كل كاف ولام وقال لعسكره لا تكترثوا بشأن الشتاء
فانما هو برد وسلام وحين اجتمعت عساكره والتأمت اموره
واوامره امر ان يصنع له خمس مائة عجلة وتضبب بالحديد ليحمل
عليها ثقله فبادر الشتاء خروجه بالدخول واورد بانقطاع
جراية عمره من ديوان الفناء الوصول فبرز فى شهر رجب
وقد اصبح البرد عجبا واى عجب وسار لا يرق لمرق ولا يرثى
لجسد من البرد محترق فوصل فى سياحته الى سيحون وقد
تجمد وبنى عليه رايق النسيم الصرح الممرد قلت قديما شعر
على البحر قد عاينت جسرا ممددا بناه الله العرش صرحا ممردا
بكيت فخلت الدمع فى جنباته رقيق رحيق فى زجاج تجمدا
فعبره ومر ومضى على ذلك واستمر وتمادى على لجاجه
واصر فدمر الشتاء عليه بالدمار وانحط عليه من الجوانب
بكل اعصار فيه نار وحطم على جيشه بكل نكباء صرصر وضرب
نبات عسكره بصرة صر طول فيها وما قصر وهو بذلك الجمع
الكثير يسير لا يحن لاسير ولا يجبر وهن كسير يسابق البرد ببرده

ويجارى اجرده بجرده ومرده فجال فيهم الشتاء بحراجف عواصفه
وبث فيهم حواصب قواصفه واقام عليهم نايحات صراصره وحكم
فيهم زعازع صنابره وحل بناديه وطفق يناديه مهلا يا مشوم
ودويد ايتها الظلوم الغشوم فالى متى تحرق القلوب بنارك
وتلهب الاكباد بأوامك واوارك فان كنت احد نفسى جهنم
فانى اثانى النفسين ونحن شيخان اقترنا فى استيصال البلاد
والعباد فاحبس بقران النحسين وان كنت بردت النفوس
وبردت الانفاس فنفحات زمهريرى منك ابرد واوكان فى
جوايدك من جود المسلمين بالعذاب فاصماهم واصمهم ففى اياى
بعون الله ماهو اصم واجرد فوالله لاحابيتك فخذ ما اتيتك
ووالله لايحميك ياشيخ من بردى المنون لواعج جمر مجمرة
ولاواهج لهيب فى كانون ثم كال عليه من حواصل الثلوج مايقطع
الحديد ويفك الزرد وانزل عليه وعلى عساكره من سماء الزمهرير
من جبال فيها من برد وارسل عقيبها زوابع سوافيه فحشرتها فى
آذانهم ومآقيهم ودسرتها فى خياشيمهم فاستقبلت بها انواع ارواحهم
الى تراقيهم وجعلت تلك الريح العقيم ماتذر من شئ اتت عليه
الا جعلته كالرميم واصبحت مشارق الارض ومغاربها من
الثلوج المنقضة كانها برّ عرصات القيامة او بحر صاغه الله من
فضة فكانت اذا برزغت الصقعاء ولمع الصقيع ترآئى شئ عجب
سماء من فيروزج وارض من بلور ملأما بينهما شذور الذهب
فان هبت فيما بين ذلك والعياذ بالله نسمة ريح على نسمة ذى
روح اخمدت نفسه وجمدته وفرسه وكذلك الجمل والجمال
حتى انت على كل مرقٍ الحال وانتهى الشأن الى ان طابت النار
وردا وصارت لوارديها سلاما وبردا واما الشمر فانها ارتجفت
وجمدت عينها من البرد ونشفت وصارت كما قيل شعر

يوم تودّ الشمس من برده ،، لو جرّت النار الى قرصها

فكان الرجل اذا تنفس جمدت انفاسه على سباله ولحيته فيصير
كانه فرعون وقد رصع لحيته بحليته وان لفظ من فيه لفظة تخامة
عاقدة لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهى بندقة جامدة
فانكشف ستر الحيوة عنهم وانشد لسان حال كل منهم شعر

،، فيارب ان البرد اصبح كالحاً ،، وانت بحالى عالم لا تغلّر ،،
،، فان كنت يوماً مدخلى فى جهنم ،، ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم ،،

فهلك من عسكره الجمّ الغفير واتى الشتاء على كثير من كبير منهم
وصغير وسقط منهم السقط وانحل عقد نظامهم وانفرط
ولا زال الشتاء يصب ويهب عليهم ريحا وبحارا حتى اغرقهم
فيها وهم عاجزون حيارى ونودى عليهم مما حطيئاتهم اغرقوا فادخلوا
نارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا وهو مع ذلك لا يلتفت
الى من مات ولا يتأسف على ما فات ذكر مرسوم ارسله الى الله
داد ، بث فيه منه الاكباد ، وفت القلوب الاعضاد ، وزاد
ما خبله فيه به من هموم بانكاد وكان تيمور مخرجه من سمرقند
ارسل الى الله داد باشباره مرسوماً اذهب فيه قراره ونفر
طاير نومه عن وكر اجفانه واطاره وفهم من فحواه بالاشاره
انه طالب دماره وموتم اولاده ومخرب دياره شد عليه الضايق
وسد فى وجهه الطرق والطرايق واقترح عليه فيه بامور
يسهل عندها قطع الجبال ونقل الصخور ويعذب عندانا ها
شرب البحور من اقلها ان يهيئ له بمفرده اقامة ليوم قدومه
دون غده خضيما يأكله ليله وقضيما يطعمه خيله ومن عرض
ذلك مائة حمل جمل طحيناً خاصة وهو مخصوص به لليلة واحدة
خاصة وانه مع عساكره الجرارة لا يبيت سوى ليلة واحدة باشباره
الى غير ذلك فلما اطلع الله داد على هذا الكتاب وفهم ما تضمنه

فحوى هذا الخطاب علم انه قد حل به العذاب فسلب وعيه
وبزل سعيه واخذ في اعداد الطحين واجتهد في ادارة الطواحين
وكانت الطواحين اوقف من حال اديب في هذا الزمان العجيب
ومجاري مياهها ايبس من كف شحيح كلف زمن القحط تذرية
الدقيق في الريح ودماء الانهار في مجاري عروق الجبال ناضبة
ودموع العيون في آماق الغروب غاربة فبذل ماكان اعده لكل
نايبة وشدة واهان نفايس الاموال واستعان على اجراء الماء
بالمال واستغاث باولى النجدة من الرجال واستمد المدد من كل
عد وثمد واستنهض اراء المشفقين من الاصحاب واستدفع
بهم ما نزل به من مخلب للبلاء آب ونائب وقرع لفتح ما ارتج عليه
مما لاطاقة له به كل باب فاستجابوا دعاءه واجابوا صداه ونداه
وتاوهوا لمضضه واستطبوا لمرضه وجمعوا من العملة والفعلة
الاسود والسراحين فعملوا في سوق الانهار من الاعمال ما يدير
الطواحين وجعلوا يعاندون البرد ويقطعون في طريق الماء
الجمد فكانوا كالضارب في حديد بارد والمكابد بتزويق وعظه
تليين قلب الجاحد وصاروا لايقطعون من الجليد مقدار
ذراع بالحديد حتى اذا اسهلت حزونه ورق لمكابدتهم فدمعت
عيونه الا وهبت نسيمة يابسه على تلك الوجوه العابسه فاذا هبت
بارد النسيم قابله الماء بوجه بسيم فيبرد قلبه عن نارهم ويصرد
لبه عن اوارهم فيجمد ما فوق ذلك فتضيق عليهم المسالك
فيرجعون القهقرى ويمشون كالجبال الى وراء والله داد مع ذلك
يبذل الاموال وينادي مستغيثا يا للماء يا للرجال قلت شعر

فكان كل منهم كالحمار يخرج ما امكنه بالمدار
يوقفه الماء لاجرآئه وكلما اوقفه البرد دار

الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق ان هذه مسئلة تكليف

مالايطاق وحين تبين له امرهم وتعين عنده عذرهم قارنه
الحظ الحالك وتيقن انه لا محالة هالك وانه قد وقع في البلاء
العريض الطويل وان مخدومه ما طلب منه في ذلك المحز الدقيق
الا لامر جليل وكان قد بلغه ما وشاه به اضداده ونقل الى تيمور
عنه اعداؤه وحساده وعلم ان خاطره تغير عليه وفعله مع محمد
جلد شاد جامعه قد نقل اليه وكيف قتله شر قتلة ونهب امواله
واسر اولاده واهله وكان متوقعا من تيمور اضعاف هذه الشرور
ولا يقر له قرار ولا يسكن له ليل ولا نهار وقد غسل من الحيوة
يده وودع حيوته واهله وماله وولده وقد قرب شهر الصيام
وصار بينه وبين تيمور نحو من عشرة ايام وقد انقطعت الدرب
وضعف الطالب والمطلوب شعر

اذا تضايق امر فانتظر فرجا فاضيق الامر اداناه الى الفرج

ذكر سبب انكسار ذلك الجبار وانتقاله الى دار البوار

واستقراره في الدرك الاسفل من النار وجعل تيمور يواصل التسيار
حتى وصل الى كورة تدعى ترار ولما كان بظاهره من البرد امنا
اراد ان يصنع له ما يرد الابردة عنه باطنا فامر ان يستقطر له
من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحارة والافاوية والبهارات
النافعة غير الضارة وابى الله ان يخرج تلك الروح النجسة الاعلى
صفات ما اخترعه من الظلم واسسه فجعل يتناول من ذلك
العرق ويتفوق افاويقه من غير فرق لا يسأل اخبار عسكره
وانبآءهم ولا يعبأ بهم ولا يسمع دعاءهم حتى سقته يد المنية
كأس وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم فانه لا يزل للقضاء معاندا
وللزمان مجاهدا ولنعم الله تعالى جاحدا ولاشك انه جاء ناقصا
وتحمل مظالم فراح زائدا فاثر ذلك العرق في امعائه وكبده فتزنخ
بنيان جسمه ورنخ اركان جسده فطلب الاطبا وعرض عليهم

ظاهراً او صح

هذا الداء فعالجوه فى ذلك البرد بان وضعوا على بطنه وجنبيه الجمد
فانقطع ثلاث ليال وعكم احمال الانتقال الى دار الخزى والنكال
وتفتت كبده ولم ينفعه ماله وولده وصار يتقيأ دما ويأكل
يديه حسرة وندما شعر واذا المنية انشبت اظفارها
الفيت كل تميمة لا تنفع وجرعه ساقى المنية امقر كاس وآمن
حينئذ بما كان جاحدا فلم ينفعه ايمانه لما رأى البأس فاستغاث
فلم يوجد له مغيث ونودى عليه اخرجى ايتها النفس الخبيثة كانت
فى الجسد الخبيث اخرجى ذميمة ظالمة اثيمة وابشرى بحميم وغساق
ومجاورة الفساق فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق
ويخمد لونه ويربد شدقاه كالبعير المشنوق ولو ترى ملئكة العذاب
وقد اظهروا استبشارهم واخنوا على الظالمين ليخزبوديارهم و
يطفئوا نارهم ويهدموا منارهم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ولو ترى نساءه وحاشيته
وهم حواليه يجأرون واعوانه وجنده وقد ضل عنهم ما كانوا يفترون
ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم
اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون
على الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون ثم انهم احضروا
من جهنم المسوح وسلوا سل السقود من الصوف المبلول تلك
الروح فانتقل الى لعنة الله وعقابه واستقر فى اليم رجزه و
عذابه وذلك فى ليلة الاربعا سابع عشر شعبان ذى الانواء
سنة سبع وثمان مأية بضواحى اترار ورفع الله تعالى برحمته
عن العباد العذاب المهين وقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين قلت

الدهر دولاب يدور	فيه السرور مع الشرور
بينا الفتى فوق السما	واذا به تحت الصخور

كم من شموس فى سما	فلك العلاء لها بدور
لما استوت فى عزها	زالت واكسفها الفتور
وملوك دنيا اضرمت	من نارها عدما البحور
ملكوا البلاد واهلها	ماضى الاوامر والامور
اغراهم الدهر الخؤ	ون وغر بالله الغرور
ضحك الزمان بشغره	لهم وقد ملكوا الثغور
فغدوا اذ يا با فى الاذى	وعدوا اسودا فى الشرور
غنالهم فتراقصوا	مثل الشخوص بلا شعور
وحكوا على بابا تهم	طيف الخيال اذا يدور
وتوهموا ان الزما	ن مطاوع غير النفور
او ان ما نالوه من	دنيا يفور ولا يغور
فتقابلوا وتضاربوا	وتكالبوا شبه الخنور
وتلاكزوا وتلاحزوا	وتناجزوا الضرب الهصور
وتناحروا وتدابروا	وتناقروا نقر الطيور
هذا وان يتصالحوا	يتصافحوا امنا وزور
فتهافتوا فى نارها	متصورين النار نور
بينا هم فى عزهم	والدهر مكار غيور
انقض فيهم صرفه	كالقضف فى دقل الطيور
امسوا وكل منهم	كاللحم يلقى للصقور
لا ملك رد يد الردى	عنهم ولا ملك ودور
كلا ولا جيش ولا	ولد ولا مدد نصور
ثم انمحت آثارهم	محوا الحيا نقش السطور
لم يبق منهم دهرهم	شيئا سوى ذكر يدور
ناهيك منهم فتنة	كالبحر الطلما تمور
الاعرج الدجال من	قصم الجماجم والظهور

داخ البلاد و دارها ... ونوايب الدنيا تدور

الى لرا الله الخليـ ... ـفزاد علوى فى فجور

وامده مستمد رجا ... اياه فى شئ يبور

ليراه فى امضائه ... امراً يعدل ام يجور

فاجتاح كل الخلق من ... عرب ومن عجم ولور

ومحا الهدى وغدا الردى ... بحسامه الباغى يمور

افنى الملوك وكل ذى ... شرف وذى علم وقور

وسعى على اطفاء نو ... ر الله والدين الطهور

بفروع جنكيز خان ذا ... ك المشرك النحس الكفور

فاباح اهراق الدما ... من كل صبار شكور

واحل سبى المحصنا ... ت المومنات من الخدور

ودمى على النار الصفا ... دكانهم فيها بخور

واضاف فى هذا الى ... فعل الزنا شرب الخمور

طورا يرى نكث العهو ... د وتارة نقض النذور

وعدا على السادات من ... اهل الصيانة والوقور

من كل ذيب صائل ... منهم ومن كلب عقور

فتكوا وقد بتكوا القلو ... ب وبعد ما هتكوا الستور

وشووا جباها طالما ... سجدت لدى الرب الغفور

وكووا جنوبا قد جفت ... طيب المضاجع والظهور

واستخلصوا الاموال من ... ايدى البرايا بالفجور

وسقوهم كاس السمو ... م وجرعوا كاس الحرور

واستأسروا آل النبى ... المصطفى الطهر الطهور

باعوهم من مشركى الا ... تراك فى اقصى الكفور

وكذاك واحدا مة ... من كل مقلوة تزور

وجروا على هذى الجرا ... يم واستمر لهم مرور

ما بين ايران و تو ... ران البلاد لهم عبور

وامتد ذاك من الخطا ... اخذاً الى اقصى القطور

لما انتهى افسادهم ... وتكاملت تلك الشرور

هجم القضاء لاخذهم ... ولكل تكميل قصور

حذفته ايدى الموتمر ... ذاك القصور الى القبور

وتبدلت منه الكرا ... مة بالمذلة والعثور

ومضى الى دار النكا ... ل بما تحمل من وقور

وتفرقت تلك الجمو ... ع وهذه ماشاد الدثور

ابقت عليه فعاله ... لعنا على مر العصور

وتخلدت آثار ما ... اذى على كر الدهور

فانظر اخى ثم افتكر ... فى ذا المساء وذا البكور

لا فرق عند الله بين ... شكور فضل او كفور

اين الذين وجوههم ... كالبدور كانت تلألأ كالزبور

اهل السعادة والمجى ... د وذوو السيادة والوقور

المطعمو ابدر السما ... والمخجلو فيض البحور

كانوا عظاما فى الصدو ... ر وهم صدور فى البدور

طحن الردى تلك العظا ... م وفتت هاتيك الصدور

وسفتهم ريح حفنا ... سفى الرمال يد الدبور

اين البنون ومن غدا ... للقلب افراحا ونور

كانوا اذا رفع الحجا ... ب وزحزحت عنهم ستور

تلقى الذنا قد اشرقت ... كالشمس من بين الخدور

من كل ظبى احور ... اوظبية ترنى بحور

نشر الجمال عليهم ... ثوب الدلال على جبور

وفدتهم مهج لورى ... من شر احداث الدهور

كانوا اذا سكنوا مكا ... ناحركوه من السرور

مكرور

وحدايقاً لرياضها
وعلى حدايقها ظهور

كانوا على وجه الدنا ... حدقاً وللاحداق نور
بيناهم فى سكرهم ... قد مازج الدل الغرور
وحدايقا لرياضها ... وعلى حدايقها ذهور
والعمر غض والزما ... ن مسلم لهم الامور
واذا بساقى الموت فا ... جاهم بكاساتِ الثبور
فسقى رياضَ حيوتهم ... قدحاً اعاد الكل بور
تركوا فسيحَ قصورهم ... دغماً الى ضيق القبور
وسقوا كؤسَ فراقهم ... صبراً لكلِ شجٍ غيور
من شق حزناً جيبه ... ولبعدهم دق الصدور
لوكان ينفعه الرثا ... اوكان يجديه النذور
لفداهم ووقاهم ... ودعاهم دعىَ الحذور
سكنوا الثرى فتغيرت ... تلك المحاسنُ والشعور
ودعاهم دودُ البلى ... وفراهم فرىَ الجزور
امسوا رميماً فى الثرى ... ونووا الى يوم النشور
يسعى المحب مخاطباً ... اجداثهم يوماً يزور
ينعى ويندب نائحاً ... قبراً تناوشه الدثور
ويمرغ الخدين فى ... ترب يراها كالذرور
يدعو فليس يجيبه ... الا صداصم الصخور
بيناتراه زائراً ... واذا به امسى مزور
هذا بتقدير الاله ... وحكمِ فعالٍ صبور
دربناك جسر فاعتبر ... واحرص على زاد العبور
واطمح الى اللب الهنى ... فجميعُ ما فيها فشور
لولم تك الدنيا وما ... فيها هباءً خيتعور
ماكان يزوى برّها ... عن كل صبارٍ شكور
كلاّ ولا انقادت لمن ... قد صار مختالاً فخور

هذا وغالب من عنا ... فى ارضها عوجٌ وعود
خلقوا لحق فانثنوا ... عنه الى مينٍ وزور
يارب ثبتنا على ... ما ترتضيه من الامور
واغفر لنا ماقد علمتَ ... من الخطايا يا غفور
واختم لنا بسعادةٍ ... نكفى بها شرَّ الغرور
وامنن لنا بتجارةٍ ... من باب فضلك لن تبور
وادِمَ سحايبَ رحمةٍ ... تهمى على بدر البدور
خيرِ الانام محمدٍ ... الشافع الطهر الطهور
والآل والصحب الكرا ... م وتابعيهم ياشكور

فصل فى ذكر ماوقع بعد وفاة تيمور من حوادث واموره وما ظهر من سروره وشروره وكان لابلله داد احدُ الخلان يدعى سعادات نايب مدينة اندكان من ذوى النباهة والشهرة واحد الامراء الذين توجهوا لعمارة باش خمره فارسل قاصده لابلله داد يخبره انه ارتفعت مادةُ الفساد وان تيمور ترك تبعة الممالك وتوجه بتبعاته الى درك مالك فوصل القاصد رابع عشر شهر رمضان سنة سبع وثمان مائة ففرج همته وازاح عنه غمته وكانه استأنف له الحياة اورد راحلته التى عليها طعامه وشرابه بعد ان اضلها فى فلاة وسيأتى حكاية ابلله داد وامره وماجرى له بعد ذلك الى اخر عمره ذكر من ساعده البخت واستولى بعد تيمور على التخت فلما قضى تيمور نحبه وانكشف عن العالم كربه لم يكن معه فى اجناده من اقاربه واولاده واحفاده سوى خليل سلطان بن امير انشاه حفيده وسوى سلطان حسين بن اخته الذى هرب الى السلطان فى الشام عند وروده فاراد واكتم هذه القضية وان لايشعر بها احدٌ من البرية فشاعت وذاعت وعلى رغمهم ذاعت فاضطربوا

واضطرموا واصطدموا واصطلموا واطلع الخلق كلهم على
ذلك وفهموا وعلموا انه قطع دابر القوم الذين ظلموا فجفلت
العساكر واحتفلوا وحملوا عظامه والى صوب سمرقند قفلوا
وساعد خليل سلطان البخت وخلا له الجو فاستوى على التخت
وكان ابوه امير انشاه متولى ملك تبريز وماوالاه وعنده ولدا
عمر وابو بكر وبينهم وبين ماوراء النهر من الاطواد والاشجار
مائة سياج والف سكر وكان ابو بكر هذا فى الجعتاى من الفوارس
والضاربين بالبيض الهامر والقوانس يذكر انه كان يوقف
بقرة او ينيخ بكرة ويضربها بالسيف ضربة لاضربتين فيجعلها
قطعتين مفصولتين وامير انشاه هذا قتله قرا يوسف بعد
تيمور واستخلص منه ممالك اذربيجان وولده عمر قتله اخوه
ابو بكر وابو بكر قتله ايدكو متولى كرمان ومصافاتهم مذكورة
ومواقفاتهم وحكاياتهم مشهورة وشاه رخ كان فى هراة
وممالك خراسان وبير عمر كان فى ولايات فارس وتلك
البلدان وتيمور كان جعل ولى عهده محمد سلطان وهو وان
كان من احفاده لكنه قدمه على اولاده لما لاح له من فلاحه
وظهور رشده وصلاحه فعاندته القضاء فيما يروم ومات
كما ذكر فى آق شهر من بلاد الروم وكان له اخ يدعى بير محمد فجعله
تيمور ولى عهده من بعد فلما هجم عليه رايد الموت واهاب بروحه
الخبيثة بازعج صوت كان مستغرقا فى بحار غفلته مستروحا
ادخاء مهلته فذبحه اعتباطا وسام عسكره اختباطا وكان
اذ ذاك وكل من اولاده واحفاده بعيد الدار مستقر القرار
آمنا من البوار فارغا من الدمار وهم كتيمور غافلون ومتفرقون
كما ذكر وبير محمد ولى عهده فى قندهار وهى بين حدى خراسان
والهند وبينه وبين ماوراء النهر سباسب وقفار فلم يكن

اقرب الى دار الملك الذى انشاه وهى سمرقند سوى خليل سلطان
بن امير انشاه مع ان قطان الشتا وندافه كان قد بسط على
فراش الارض لحافه وندف عليه من اقطان الثلوج ما غطى وجه
العالم واكنافه وطم ظهره واطرافه فلم يقدر احد من اولئك
الحشرات ان يخرج راسه من اللحاف او يضحك ثغر زهرة
انملة فى كم كريم خوفا من جانى النسيم ان يبادرها باختطاف
الاقطاف فضلا ان يتمطى فى فراش اهبة الى حركة سفر
فتمتد يده نحو بطش او رجله نحو طواف فاستولى خليل سلطان
على ذلك المغنم البارد من غير منازع وعديل واستبد الملك
بل العالم من جهنم الكوثر السلسبيل ونادى لسان السلطنة فى
رقعتها نعم البديل بدلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل
وتمكن من العساكر وكبار الامراء وخلاصة الجند واساطين
الزعماء واحتوى على تلك الامم وطوايف الروس من العرب و
العجم وادخل عنق الجميع فى ربقة المتابعة وفتح لهم فى اسواق
الصداقة حوانيت الصلات فعاملوه بعقود المبايعة ولم
يمكن احدا منهم الخروج عن الدخول فى الطاعة والتخلف عن
المبادرة الى مبايعته فى ذلك اليوم ولا ساعة فاطلق لهم
البشرة واحسن معهم العشرة وكان يوسفى الخلق محمدى
الخلق خليلى الرفق اسمعيلى الصدق جمع حروف الملاحة
وحاز صنوف الصباحة نقش محاسنه كاتب القدرة بقلم
الكاف والنون على احسن ما يكون من الحركات والسكون
فاول ما شق على لوح الجمال الف قده القويم فباء له كل من فاء
عن لام عذاره متقوسا فى خدمته كالدال والجيم وحسن
لكل داء ما فيه من زين وما شين سين ثغره وميم فمه مذقها
بخلف ولامين فاستقفى بوابله كل قاف واستكفى بنائله كل كاف

وامطر من غين كفه العين فصاد من الجند كل ذى لام وبا و
دال بذلك على كل من باء عن وعده ورجع عن عهده وفافقدت
الواقيات مهجته ورقت من عين الحوادث بهجته وعوذت منه
الارداف بالطوق والاحقاف وحمت بون حاجبه وفاه وطرفه
وطرته وردفه بحم عسق وفتحت له الملوك بالثناء فاها وخفضت
لارتفاعه خدودها معوذة له وقالت يا سين طاها ﴿
ذكر خلاص العساكر من البند وقفولهم مع عظامه الى سمرقند
ولما ذبح قصاب الفناء يتمور ونحره وجزره كالجزور فجعل يخور
كالثور وبقره ثم اراد ان يصليه من تنور الجحيم حفره فاستغاث
بخليله فاجاره واخره وقال لا تعجل عليه وحمله فى محفة بعد العجلة
وصبره والوى راجعا الى سمرقند وكان قد انحل نهر خجند و
طالب الشتاء قد ادرك ثاره وبرد قلبه وسكنت الحرارة قلت
﴿ورق للعالم قلب النسيم ﴾ واقبل الدهر بوجه بسيم ﴾
ثم هجم جيش الربيع المنصور فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور
ذكر ما اضمره وزراء يتمور واخفاه كل منهم فى التامور
وكان فى افلاك ذلك العسكر سيارات نجوم بهم سماؤه تزهر
وبآرائهم يقتدى وبروائهم يستضئ قلت ــــــ
﴿ من كل منجب للامر منتخب ﴾ كالشمس رأيا وكالضرغام اقداما
قد هذبتهم الامور وشذبتهم بلايا تمور استفتح بهم المغالق
واستوسع بصدماتهم المضايق وتخلص بحملاتهم من شدة كل
مازق وتوصل بعزمهم الى نيل المأرب وتوسل بعزيمتهم الى كنوز
المطالب فكان هو البدر وهم الهالة وهو الفاعل وهم الآلة وهو
الروح وهم الحواس وهم الاعضا وهو الراس فلما كورت شمس
مواكبهم وانتثرت كنس كواكبهم ورحل زحلهم وخاب املهم قلت
وعوض الكون الدجى بالضحى ﴿ وبدل المريخ بالمشترى ﴿

اجال كل منهم قداح فكره وتدبر فى ذلك الحادث وعاقبة امره
واستصغر خليل سلطان وعلم ان سيأتيه موج المنازعة
من كل مكان وانه لا يصفو له ورد الملك من مكدر ولا هواه
من مغير واقل الاشياء ان يقول له رسول اكابر اقاربه كبر
كبر فاعد لكل شدة شدة ولكل غدة عدة ولكل خزة فزة ولكل
جزة جزة ولكل بؤسا لبسا ولكل سهم ترسا ولكل نائبة نابا
ولكل بايقة بابا ولكل خطب خطابا ولكل خطاب جوابا ولكل
حرب حرابا ولكل امر امرا ولكل غدر عذرا ولكل ازمة حزمة
ولكل نصب نصبة ولكل كسرة جزمة ولكن شكيمة البرد
كانت ردت جماح كل جموح وصحيفة الجمد قدت جناح كل
سبوح فما وسع كلا منهم الا الاطاعة والانقياد لامر خليل
سلطان بالسمع والطاعة واستمر وامعه على القفول مضمرين
لخليل ما اضمره للحبيب عبد الله بن ابى بن سلول وكان احدهم
يدعى برندق فرام الى التحصين بقلعة المخالفة التسلق
فقال لخليل سلطان ان اقتضت الآرا ان اتقدم وامهد
لك الامور الى حين تقدم فاكون رائد دولتك وقائد سلطنتك
فاشيد القواعد وابشر الصادر والوارد فيكون كل
مستعدا للملاقاة ومهيئا اسباب الموافاة فاذن له ﴿ و
امامه ارسله فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسر بالمراكب
وهيئت اسباب عبوره لكل راجل وراكب فعبره بجماعته ثم
امر بقطعه من ساعته واعلن العصيان وقصد سمرقند مجاهرا
بالطغيان نظم اتفاق فكشرت اسوارها فى وجهه انيابها
وارخت عصمتها على بابها حجابها وشدت على جبين تمنعها
نقابها فاستدرك فارطه وسلك فى مسئلة منطقه بحث
المغالطه ووصل خليل سلطان الى الجسر فوجد عقده قد

انتقال ح

غير خاف واقام عليه شرائط العزا من اقراء الختمات والربعات
والدعاء وتفريق الصدقات واطعام الاطعمة والحلاوات و
ستم قبره وبخز امره ونشر على قبره اقمشته وعلق على الجدران
اسلحته وامتعته كل ذلك مابين مكلل ومرصع ومزركش و
مصنع اد فى شئ من ذلك بخراج اقليم وحبة من كدس تلك
الجواهر تفوت التقويم وعلق بخوم قناديل الذهب والفضة
فى سماء غواشيها وبسط على مهادها فرش الحرير قنديل من ذهب
زنته اربعة الاف مثقال رطل واحد بالسمرقندى وبالدمشقى
عشرة ارطال ثم رتب على حفرته القراء والخدمة وارصد على
المدرسة البوابين والقومة وقرر لهم الادرارات والمسانهات
والمياومات والمشاهرات ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت من
فولاد صنعه رجل من شيراز ماهر فى صنعته استاد وقبره
فى مكانه المشهور تنقل اليه النذور وتطلب عنده الحاجات
ويبتهل عنده بالدعوات وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما
وربما تنزل عن مراكبها اجلالا له واكراما فصل فى اعتدال
الزمان واخبار خليل سلطان ولما اخذت تيمور الصحة بالحق فصار
غنا وقعد خليل على التخت وقام الشتاء بعدان كان جثامة الشوا
السنهم للزمان بالمدح والخليل سلطان بالتهنيه وتيمور بالرثا
فسمع الشتاء وغنى صوته واجاز ورفع عن العالم فى نهوضه
الكلاكل والاعجاز فابتهج الكون بورود الربيع وشكر الروض
للسحاب ما اسداه من حسن الصنيع ورفع على الروابى من
الشقايق اعلامه ونصب ممازهره خيام الصنع من ازهار
الاشجار خيامه ونور الحدق بانوار الحدايق واستنطق
بتسبيح الخالق من خطباء الاطيار على منابر الاغصان ما
استنصت بلغاته كل ناطق من كل معرب فى ديوان الفصاحة

والديباج الى اطرافها وحواشيها
ومن جملة هذه القناديل صح

اخل فلم يكترث ببرندق وما فعل بل عفى عنه مرة ثانية ودخل
وولى ما وراء سيحون من البلاد متوليها اولا وكان يدعى خدايداد
وهو من اكبر اعدائه ومن رفقاء تيمور ونظرائه ومنسوبا الى السلطان
حسين وهو فى تلك البلاد بمنزلة الراس والعين فلما سمع خليل
سلطان الامسالمته واقراره فى بلاده ومهادنته اذ امور كانت
فى اوايلها ففوض اليه امرها والقلوب فى غوايلها ذكر وصول
خليل سلطان بما ناله من سلطان الى الاوطان ثم توجه الى سمرقند
فاستقبله كبراءها وخرج اليه نايبها وزعماءها ووفد عليه
نواب البلاد منغمسين فى السواد لابسين اثواب الحداد وجاء
الاكابر والعظام معظمين هايبك العظام ومهنيين خليل
سلطان بالسلامة ونيل سرير الزعامة قلت

ووجه كل قد غدا مثل الربيع القادم بعين سحب قد بكت وثغر زهر باسم
وجعلوا يقدمون التقادم السنية والحمولات البهية وهو يقابل
كلا منهم بما يليق بحشمته وينزله فى منزلته وقال لبرندق
لاتثريب وقابله مقابلة الخليل الحبيب ومهد له بساط المباسطة
وسلم اليه مسلمة المغالطة وحين سنحت اوتاده اقتلعه والقاه
على غفلة فى فم اسد المنية فابتلعه ثم اشلى على دياره كلاب النهاب
وشهاب الالتهاب فمزق اديمها وهتك حريمها ومحا حديثها وقديمها
ذكر مواراة ذلك الخبث والقايه فى قعر الجدث ثم انه اول
ما اشتغل بمواراة جدته وتجهيز امره والقائه فى حفرة لحده فوضعه
فى تابوت من آبنوس وحمله الرؤس على الرؤس ومشى فى تشييع
جنازته الملوك والجنود حاسرى الرؤس لابسى الثياب السود
ومعهم طوايف الامراء والاعيان وانزلوه على حفيده محمد سلطان
فى مدرسة حفيده المذكور بالقرب من مكان يسمى روح اباد
وهو موضع مشهور فكان هناك على اناف فى سرداب معلوم

رايق ومعجب باسرار البلاغة فايق فرقصت الاشجار لغناء
الاطيار وصفقت الانهار واعتدل الليل والنهار واكتسى
البسيط الاغبر خلع السندس المزهر وتبدلت الاغصان
من قطنى الثلوج كل ثوب باصباغ القدرة مزهر وبيد مقص
الازهار منسوج وكل قباء صار مزهرا فى كل دفاغن لكل
طائر وفروج وبسط الكون على المكان لاقدام قدوم خليل
سلطان شقق الورد والريحان ولما فرغ خليل سلطان
من ذلك شرع فى تمهيد الممالك وتسليك المسالك وعلم انه
لا يتقيد به انسان الا بقيد الاحسان ولا يجتمع له البال الا
بتفريق المال فعقد القلب على فك طلسمات الختوم وحل
الرموز وصرف الموانع والتوابع عن تلك المطالب والكنوز
وقوى العزيمة على فتح الخبايا وصيد عصافير القلوب ببذد
حبات الهبات تحت شباك العطايا ففرق ما كان شتت
جده فى جمعه شمل البرايا ونقل الكواهل بتخفيف ما انقل
ظهر غيره بالمآثم والخطايا واوسق احمال الآمال وربوع
الاطماع بالاموال وامطر ايادى يمينه بالنوال مصراع
ففاض الخير من صوب الشمال وملاء الافواه والمسامع
والمقل من الناس بما افرغ من حواصل الكنوز والصناديق
على اغتام الجند والاكياس فنثر اغصان الدوح عنه ورود
الربيع اصناف ازهاره فكأنه انامل كفه المنتظمة فى نثار
درهمه وديناره وجاد السحاب بدرره وامطاره فضاهى
جود جوده الهامى على العالم واقطاره فقيد الناس كلهم
بهذا القيد ونحوا صراف بذله معربين له بالاطاعة فترك
عمرو وزيد ذكر من اظهر العناد والمراء وتشبث بذيل
المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء غير ان بعض تلك القواد

وزعماء الوزراء والاجناد اعلن ما كان اسر ووضع المضمر
من العصيان موضع المظهر فاول من شهر سيف العصيان
وفوق سهام العدوان وشرع بالمخالفة الرد ينى خدايداد
الحسينى متولى ماوراء نهر سيحان واطراف تركستان
فوجد من كان قد عزم على نقض يده من عقد الطاعة اماما
يقتدى به فى البغى ومفارقة الجماعة لاسيما وقد كان
صواغ الربيع قد اذاب بجرانه سبايك الجمد والثلوج ورصع
بما اخرجه من ذلك ديباجة الارض وروضات الجنات و
ارباض المروج واستمعت اموات الحشرات صيحة الرعود
بالحق فقالت ذلك يوم الخروج فاقتفى خدايداد فى العصيان
والعناد شيخ نور الدين وكان عند تيمور من المقدمين و
ذوى الآراء والتمكين فانحدر جيحاراو سار ليلا ونهارا فوصل
الى خدايداد وقوى منه الظهر والاعضاد وشاركه فى التمرد
والفساد ثم بعده فرط نظام الطاعة شاه ملك واخذ فى
طريق المخالفة وهو منهمك وخرج من سمرقند وهو يصرخ
وقطع جيحون ووصل الى شهرخ وكان نظير شيخ نور الدين
وذا راى مكين وفكر رصين فلم يكترث خليل سلطان بالعاصى
واكرم من لم يعص وعمم بتاج انعامه كل ذى راس وما خص
ذكر اخبار الله داد صاحب اشباره واخلائه اياها وقصد ديار
وما صنع من تدبير الملك واثاره قولا وفعلا واشاره الى ان ادرك
فى ذلك دماره وبواره ثم ان الله داد جمع اخصاءه ليلة
ورود الكتاب اليه وشاورهم فيما يصنع وما يبنى اموره عليه
فاتفقت كلمتهم واجتمعت مشورتهم على قصد ديار واخلائه
اشباره فانهم كانوا فى ذلك المكان كالفسيفساء فى شهر رمضان
والزندبق بين قراء القرآن فلما طوى الجو ملائكة المسكية

ونشر على المكان مرطبه الكافوريه والقى نعبان الفجر من فيه
على هذا السقف المرفوع خرزته المضيئة حضر الى الله داد امراء
الجيش على عاداتهم ورؤس الاجناد من الترك والخراسانيين
والهنود والعراقيين فاختلى بافاضلهم ومداره مقاولهم ينشر
لهم من هذه القضية طيها وطلب من آرائهم فيها رشدها وغيها
واستكمهم امرها ليلا يستشق الموغول نشرها وان لعين
الشمس فى الصحو الاستتار وكيف يخفى على ذى عينين النهار
فكل منهم فوض الامر الى مرسومه وطرح قصة هذه القضية فى
فى جيب مكتومه فاستدعى من اولئك الرفاق ان يكونوا معه
فيما يراه على طبق الوفاق فاجابوه الى سؤاله وربطوا افعالهم
باقواله فاكد ذلك بطلب ايمانهم ان اسرارهم فى ذلك كاعلانهم
فشرع كل منهم فى المحالفة انه ليس فى موافقته مخالفة وانه
مهما راه الله داد امتثله وما امره به فعله وحين امن غائلة
مخالفتهم وعصيانهم وحصل له اليسار بربطه اعناقهم بايمانهم قال
اى جماعة الخير وقيم الضر والضير ارى ان اكون فى صلوة هذا
الامر امامكم فاتقدم بجماعتى الى سمرقند امامكم فامهد الامور
لكم وارسل الى بلدكم هذا بد لكم وايم الله لا ياخذنى قرار ولا
هدو ولا اتركم مضغة لضاغم فى ثغر العدو فان رايتم ان تضبطوا
بحسن الاتفاق امورکم وتحموا قريحة وردقلعتكم من سورة
شارب العدو وسورکم فلن امهلكم الا بقدر ما قطع نهر
خجند واصل الى سمرقند فامهلونى ريثما اصل وبخليل سلطان
اتصل فتبعوا مراده واقتفوا ما اراده وعاهدوه ان لا يختلفوا
من بعده ولا يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده فاقر
عليهم راس جنود العراق وكان هو اكبر الرفاق بالاتفاق
وفرز لكل مسلحة فى اسوارها من كل سالح جزءا مقسوما

وصار

وصار زعيم اولئك السالحين كالنبى فى امته مع انه كان
يدعى معصوما فصل ثم امر الله داد بتنجيز الامور وخرج
سابع عشر شهر رمضان المذكور ولم يلتفت الى برد وحره و
كان قد استوطن اشبارة واستقره ونقل اليها حريمه واولاده
وبذلك امر حاشيته واجناده فاقتلع الكل معه كبيرا وصغيرا
ولم يدع بها مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا فساد وانارة دبيبا
وحينا زحفا وطورا سومهم الارض من ثلجها خسفا وآونة
تسقط السماء عليهم كسفا فادركهم العيد المرموق فى مكان
يدعى قولانجوق من ابرد البلاد كانه ينبوع ريح عاد قلت
اذا احتاجت جهنم زمهريرا تنشق منه انفاس الهجير
ذكر ورود مكتوبين الى الله داد من خليل سلطان وخدايداد
تخالفت معانيهما وتصادمت مخاويهما فورد عليه مرسوم من خليل
سلطان يذكر فيه ما حصل لجدته من حادث الزمان وانه
استولى على سريره واطاعه كل كبير القدر وصغيره وان
الامور بحمد الله مستقيمة وقواعد الملك على عادتها القديمة
مقيمة فلا يحدث امرا ولا يخرج من بحر مدينته برا وليسدك
بمكانه وليثبت باشبارة مع طوايف جنده واعوانه وليطيب
خاطر الجزء والكل فانه عقيب ذلك يرسل اليهم بدل الكل
من الكل فتحير الله داد وتفكر وحاسب نفسه هل يرجع فى
سفره ذلك او يخره ففكر وقدر فقتل كيف قدر فبينا
هو فى امره يعيد ويبدى ويلحم فى شقة افكاره ويسدى
واذا بقاصد خدايداد الحسينى ورد عليه يستحثه على
الخروج من اشباره والوصول سريعا اليه فوجد لخروجه
من اشبارة عند خليل سلطان منذوحة وعاش فنام وهو
مغمض العينين بعد ان مات وعيناه مفتوحة فطوى بساط

تردده وتوجه ببسيط امله نحو مقصده ولكن كان بينه
وبين المراد خرط القتاد والموانع التى ذكرها طالب الوصول
الى سعاد مع زيادة نهر سيحون وخدايداد فواصل التأويب
والإسآد حتى وصل الى خدايداد فابتهج برؤيته واستبهج
مقصوده بطلعته ثم قطعا نهر نجند وقصدا ضواحى سمرقند
ووصلا على حين غفلة وفترة الى مكان يسمى تيزك وقد شهرا
للعدوان الحسام وشرعا للفتك النيزك فاحتاطا على جياد
تيمود فنهباه وتغلبا على ما وصلا اليه من نقد وجنس فسلبا
واكثراهنالك شرا وفسادا واشبها فى ذلك تسعة رهط
ثمود وعادا وكانت هذه اول شرارة شر وبدعة سقطت من
سقط الزند وبسطت يدها بالفتن بعد قبض تيمود فى
ممالك سمرقند لاهلها كانوا قد امنوا الشرور ووقوع الفتن
فى حيوة تيمود فحين دهمهم اولئك المغترون اتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون وذلك فى شوال سنة سبع وهو العام
الذى خلا فيه من تيمور الربع وما امكن السلطان خليل
تدارك هذا الخطب الجليل ذكر من خلفه الله داد باشباره
من الطوايف وما وقع بعده بينهم من التناكر والتخالف
واما امر من خلفه الله داد فى اشبارة من طوايف الاجناد
فانهم خافوا من الموغول حلول حينهم فحزبوا واختلف
الاحزاب من بينهم فمنهم فرقة قال قايلهم انا على عهدى
قوى فلا اخون وامين وقد استمسكت يدى بعروة عهد
مكين وارتبطت بحبل حلف فلا اصير من اهل الشمال باليمين
وادنى ذلك ان نصبر حتى يصل من الله داد رسول او
كتاب ونظر ما يبين فيه من سلوك سنة فنميز بصايب
نظرنا الخطأ فى ذلك من الصواب فان وافق مرادنا امتثلنا

ما يقول واتبعنا فى ذلك الكتاب والرسول وتوجهنا فى
تلك الساعة سالكين السنة مع الجماعة وان جالحنا فى كلامه
بخطاب اجلح عدلنا الى الاعتزال ومال كل منا فى مصلحة نفيسه
الى القول بوجوب رعاية الاصلح ومنهم شيعة مالت الى
دفض تلك الدارة والمبادرة الى الخروج من اشبارة وانتقلوا
من تكرار هذه المجادلة الى القتال وقطع راس احد رؤس
الخراسانيتين فى مصاف النزال ومنهم طائفة اهمتهم انفسهم فلم
يلبثوا الا عشية او ضحاها ثم تحملوا وخرجوا من المدينة
وتركوا الدار تنعى من بناها فلم يسع الباقين الا اتباعهم
فى الخروج لان مقاماتهم من اول الزمان هناك كانت
كبنيان القصور على الثلوج فتحملوا بقضهم وقضيضهم و
تجهزوا بصحيحهم ومريضهم وتركوا البلد بما فيه من غلات
ومستغلات ونعم وخيرات واموال واقمشة ونفايس
مدهشة ولم يبق فيه من تلك الامم المسجونة سوى ما به
مما عجزوا عن حمله من اموال مشحونة وسوى امرأة واحدة
مجنونة ولحقوا بالله داد وهو عند خدايداد فلم يعنف
واحدا منهم بما فعل واعتذاليهم بان خدايداد منعه
ان يتوجه الى سمرقند ويجهزلهم البدل وامرهم بالاقامة
معه مستوفزين وان يكونوا لفرصة التوجه الى سمرقند
اذا لاحت متهزين ذكر ما تم لالله داد مع خدايداد وكيف
خذله وخلبه واسترق عقله وسلبه ثم ان خدايداد تحقق بوقوع
هذا الفساد تاكد العداوة بين خليل سلطان والله داد فركن
اليه بعض الركون وجعل يستشيره فيما يصير من امره وما
يكون وكان عند خدايداد طائفة من ممالك الاجناد تخلفوا
من العساكر فى تلك البلاد وقد ضيق عليهم المسالك

واراد ان ينقلهم من مالك الى مالك فلم يتم له الله داد بذلك
وقال انّ عادة الاكياس استجلاب خواطر النّاس خصوصا فى
مبادى الامور وحدوث اوائل الشّرور فلا تنفّر عنك الخلق
وعاملهم اوّلا بالاحسان والملق واىّ فائدة فى قتل هؤلاء و
تمزيق اديمهم سوى نفى الصداقة وتاكّد العداوة بيننا وبين
مخاديمهم وربّما يكون فى خاطر احد من مخاديمهم نفرة من خليل
سلطان ويروم لذلك ظهرا وملجأ يلوذ به من رفيق ومكان
فتلجيه الضرورة الى ان يقصد ممالك تركستان فاذا آذيته فى
متعلّقيه انّى يكون له اليك ركون واطمينان واقلّ ما تفعل مع
هؤلاء يا انسان امساكٌ بمعروف او تسريح باحسان ومخاديم
هؤلاء لنا رفقا ولخليل سلطان اصدقا فان زرعت معهم الجميل
ملكت كل رقيق وجليل والقيت العداوة بين من عاداك من
صديق وخليل فلما سمع كلامه القى الى يده من ذلك الامر زمامه
فاشار عليه بسراحهم واحسان اليهم فى غدوّهم ورواحهم فراد
فى نجاحهم وراش محصوص جناحهم وصرّفهم بالعزّ فى طريق
مراحهم فدارت بالسّعد افلاكهم واجتمعت بهم املاكهم ومُلاكهم
ذكر ورود كتاب من خليل فيه لفظ رقيق لحلّ امر جليل

ثم انّ وافد خليل سلطان وفد على الله داد يطلب منه السعى فى
لمّ الشعث فيما وقع بينه وبين خدايداد وان يستعطف خاطره
الى الرّضى ويستقبل المودّة فى الحال ويعفو عمّا مضى ومهما طلبه
يتكفّل به ويعدّ قربه من افضل قربه ويكون هو السفير بينهما
ويقرّ بالصّلح عينهما فتوجّه الله داد الى خدايداد وابلغه هذه
الرسالة وبيّن له ما فى هذا القول من رقّة وجلالة سبب
العداوة التى كانت بين خليل سلطان وخدايداد على ما ذكر
ان خليل سلطان كان فى اوائل الزّمان مجاورا لخدايداد فى

تلك البلاد وكان جدّ جعله ناظرا عليه وفوّض امور تربيته
اليه وكان كرّاجا فيا وجلفاجا سيا فكان يعامله بالفظاظة
ويقابله بالكثافة والغلاظة وكان خليل سلطان لطيف
الذّات ظريف الصّفات نسيم اخلاقه لا يحتمل من خدايداد
دعازعه وبرد مزاجه اللّطيف لرقّة حاشيته لا يثبت المجاذبة
المشاقّة والمنازعة فتولّد من تلك القساوة بينهما العداوة
وسعت بينهما الوشاة الى ان دسّ له مهلكا فسقاه فكانته
احسّه فتدارك نفسه وتعاطى علاجه وما يصلح مزاجه
فقضى الزمان ان نصل من تلك الداهية ولكنّها كانت القاضية
وبقى فيه من ذلك ارج اورثه العرج فصارت العداوة
الخاصّة عامّة وغدت هذه الفعلة لهذا المعلول علّة تامّة

فصل ثم انّ الله داد حلف لخدايداد الايمان الغلاظ
الشّداد واكّد هذه الايمان بان استصحب معه القرآن
واشار اليه ووضع يده عليه وزاد تاكيدا بايمان الطّلاق
وبالالتزامات والنّذور والعتاق انه لا يقبض عن طاعته يدا
ولا يستحيل عليه ابدا وانّه ان توجّه الى سمرقند يجهد فى رأب
ما انصدع وردّ ما انفدع ودقّ ما بين الجانبين انفتق
ورقع ما فى خواطرهما من الشّحناء والعداوة انخرق وان
يجهّز له تومان احدى نساء تيمور وحاصل الامر انه تكفّل
بحسم مواد الشّرور واصلاح الامور وان عجز عن رفع
شنآن ومحو سطور العدوان فانه لا يستحيل عن مصادقة
خدايداد فى السّر والاعلان وصار يتملّق ويترفّق ويتوصّل
بتمويهات زخارفه الى مجارى فكره ويتسلّق ويشدّد ايمانا
ترجف القلوب وتصدع بالله الواحد ويثنّى بالطّلاق
الثّلاث من زوجاته الاربع وكان مخيّمهم على ساحل سيحون

مقصوص

انقع

ممتدّا وهو عن شاه رخيّه نحو من بريدين بعدا فعبر سهم
خيله الى سويدا قلبه بمكر و دخل وغربله اذ طحن معه ناعما ما
زرعه بيمينه فى ساحله ونخل الى ان سمح باطلاقه بعد تأكيد عهد
وميثاقه فرجع الله داد الى وثاقه واجتمع بحاشيته و رفاقه
وكانوا فى شاه رخيّه واخبرهم بهذه القضيّه وكان قد هيّأ قبل
ذلك امره واخذ من كلّ جهة اسلحته وجذره ثم انه شمّر الذيل
وقطعوا سيحون بالمراكب تحت جنح الليل ذكر لحوق الله داد
بخليل سلطان وحلوله مكرّما معزّزا فى الاوطان وحين حصل على
هذا الجانب ولم يبق له فى ذلك الجانب حاضر وغائب امر فى
الحال بعكم الاحمال وشدّ الاثقال واخذ الاهبة قبل النهبة
فافرغوا عليهم سوابغ السلاح واذّن بصلوة الرحيل قبل
الفلاح وقدّم ضعفة اهله والانفال امامه ونقض بهذا
الاذان شروط الاقامة وطير الى خليل سلطان باستقبال
المدد وارسال العدد والعدد لاحتمال ان خدايداد الابله
يتفطن لغائلة هذه الفعله فيخطر بباله ردّهم ويرسل وراءهم
من يصدّهم ثم ساروا كالسهم الصائب وطاروا كالنجم الثاقب
فما اصبح لهم الصباح الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح وجاوزوا
كلّ قاتم الاعماق خاوى المخترق وقطعوا على انوال المسير
مما اسدته مطاياهم من زهر الرياض الوان الشقق فوصلوا
بالسير سراهم فسار وانهارهم اجمع حتى غشيهم مسامهم وحين
اخذ منهم اللغوب وكلّ الراكب والمركوب وسدلت عليهم
عنقاء الظلام الجناح عدل بهم الى بعض البطاح وحطّ عنه
واستراح ورسم الا توقّدنار ولا يطمع احد فى طعم النوم بغرار
ولا يشام فى جفن طرف سيف ولا سيف طرف ثم التهموا
ما يسدّ الرمق وصلّوا صلوة الخوف فعبدوا الله على حرف

بسمه

وامهلوا ريثما قطعت الدوابّ العليق ثم ارتحلوا وركبوا
متن الطريق ذكر تنبّه خدايداد بان الله داد ختل عقله
بانكال وانكاد وانكاد ثم انّ خدايداد تنبّه من رقدته
وادعوى من ليلته وعلم انّ الله داد خلبه نهاره ذلك وسحره
وكسف شمس عقله ولعب به فى دست حلفه وثمره فعضّ كما
يعضّ الظالم على يديه وعبّى فى الحال عسكرا جرّارا وانفذه اليه
فاسرعوا واراه والتمسوا لقاءه فلم يروا له عينا ولا اثرا ولا روا
عنه من احد حديثا ولا خبرا فلم يزالوا فى طلبه حايرين دايرين
ثم غلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ووصل الله داد الى مقصده
فوجد وظيفة الوزارة شاغرة فاستولى عليها بمفرده اذ قبل
دخوله كان شيخ نور الدين قد خرج وشاه ملك وكلّ من رام
العصيان كان قد دبّ و درج فابتهج بقدومه خليل سلطان
وقدّمه كما كان على سائر الوزراء والاركان فتمكّن الله داد
كيف شاء فتصرّف فى معانى الملك ببديع بيانه اخبارا وانشاء
وتعاطى فى الحال تمهيد الامور وتجهيز السرايا وحفظ الثغور
فتراجع امر الناس وانضبط وانتظم عقد الملك بعد ما انفرط
واستقرّ حال الناس وتمكّنت القواعد على الاساس فكان
هو وبرندق وارغونشاه وآخرون يدعى كجوك يدبّرون مصالح
المملكة ويسلكون بكلّ احد مسلكه ولكنّ الله داد هو الدستور
الاعظم والمشار اليه المفخم وعليه مدار القبض والبسط
ونظام عقود الحلّ والربط واستمرّ شيخ نور الدين
وخدايداد يغيران على البلاد ويزيدان فى الشرّ والفساد
واستوليا على اطراف تركستان وممالك تلك البلدان
منها سيرام وتاش كند واندكان وخجند وشاه رخيّه واترار
وسغناق وغير ذلك مما فى تلك الاكناف والآفاق وكانوا

يقطعون سيحون ويتوجهون الى ممالك ماوراء النهر ويغيرون
فتارةً يتوجه اليهم خليل سلطان وتارةً يجهز لهم طوايف من
الجند والاعوان وعلى كل تقدير فانهما كانا لا يثبتان وينهزمان
وسيأتى ذكر ذلك كما كان ذكر ما وقع فى توران بعد موته من
حوادث الزمان واما الموغول فانه لما اتصل اليهم خبر ذلك
المخذول وكان قد بلغهم الله قد صوب احجار مدافعه الى هشم
تلك الثغور وفوق نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور
لم يشكوا فى ان ذلك شرك مكيدة واحبولة مصيدة فلم يقر
لهم قرار وثناداوا الفرار الفرار وتشتتوا فى البلاد وتشبثوا
باذيال القلاع ورؤس الاطواد ولجأوا الى الحصون والجروف
وتماوتوا فى قعر المغارات والكهوف وكذلك كل ذى يمين
من اهل الدشت والشمال توزعوا فى الاحقاف والرمال وصار
اهل المشرق والخطا الى حدود الصين ومن فى ذلك الوجه
يسرحون لو يجدون ملجأ او مغاراتٍ او مدخلاً لولوا اليه وهم
يجمحون والحق انه كان فى هيبته قد عرج الى ان اهلك العالم شرقا
وغربا بالادرج وصار كما قيل شعر

تكاد قسيه من غير رامٍ تمكن فى قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سلٍ تجد الى رقابهم استلالا
تكاد سوابق حملته تغنى عن الاقدار صونا وابتذالا

فلما تواتر هذا الخبر وتكرر سمر قند هذا السكر واشتهر
اسناده حتى ترقى من الآحاد الى التواتر وتقرر هذا الحق عند
كل احدٍ فلم يسع فيه جحود ولا تناكر تراجع فؤاد كل الى جوفه
وتبدل امنا من بعد خوفه وتنادوا يا للثارات وشرعوا فى
شن الغارات وقصد كل مستحق استرجاع حقه وكل مسترق
استفكاك رقه فاول من نهض من الشرق الموغول وقصدوا

اشباره واستكولوا وامتدوا فى تلك البلاد حتى جاوزوا خايدالو
فهادنهم وصافاهم وشرط لهم رد ما اخذ يتمور من ماواهم
وان يكونوا يدا واحدة على من ناواهم فاحسن كل منهم مع الاخر
الجوار واطمأنت بواسطة هذا الصلح تلك الديار ذكر نهوض
ايدكو بالتتار وقصده ماوراء النهر وتلك الديار ثم نهض من جهة الشمال
ايدكو بعساكر كالرمال وتوجه بحزم وجزم الى ممالك خوارزم
وكان نايبها يدعى موسيكا فلما احس بالتتار خاف على نفسه
البوار فاخذ اهله ومتعلقيه وسار وذلك بعد ان هجمت التتار
الرومية المضافة الى ارغونشاه وعبروا جيحون وهو جمدوخ
ارغونشاه الى مأواه فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها
واستطرد بخيله الى بخارا فنهب ما حواليها ثم رجع الى خوارزم
وقد اذكى فى الجفتاى اللهيب واتكى وولى من جهته فى
خوارزم وولايانها شخصا يدعى انكا فتمهدت ايضا تلك
الاماكن واطمأنت الظواعن والسواكن بواسطة ان خليل
سلطان قابل كل من اساء اليه بالاحسان وصار يسترضى كل
ساخط ويستدنى كل شاحط ويصطاد النفوس بالنفايس
ويفترس الاسود بالفرايس فاحبه الاجانب وخدايداد تماديا
فى الفساد ولجا فى العناد وخرب ما يحوذب بين الطرفين من البلاد
ذكر بير محمد حفيد تيمور ووصيه وما جرى بينه وبين خليله وولية
ثم ان بير محمد ابن عم خليل سلطان وهو الذى عهد اليه تيمور
كان بعد فوت اخيه محمد سلطان خرج من قندهار وقصد
سمرقند بعسكر جرار وارسل الى خليل سلطان وسائر الاكابر
من الوزراء والاعيان بانه هو ولى العهد وخليفة جده
تيمور من بعد فالسرير حقه فاى يغصبه والملك ملكه

والاباعد ورغب كل صادر وواردٍ
غيرات شيخ نور الدين صح

فكيف يسلبه فكلٌّ منهم جاوبه بما يليق بما خاطبه واما خليل
سلطان فتصدّى للمعارضة وقابل كلّ مسئلة من المخاطب
بما ينافيها من المعاكسه والمناقضه وقال لا تخلو مسئلتنا يا فلان
من ان الملك فى هذا الزمان امّا ان يكون بالانتساب او يظفر به
بطريق الاكتساب فان كانت الاولى فثمّ من هو احقّ به منّى ومنك
واولى وذلك ابى امير انشاه وعمّى شاه رخ اعنى اخاه فيكون بينهما
بالسوية نصفين فمالك كلامٌ مع وجود هذين وانا اولى ان اكون
صاحبه فارعى جوانبه واسلك مذاهبه امّا بان يقطع كلٌّ منهما
عنّى المشاغبه ويترك لى ماله فيه ولاية المطالبة ويقنع بما هو
فيه من مملكته ويحفظ جانبه واما بان يجعلنى خليفته فى سلطانه
فاصون نصيبه ونائبه وان كانت الثانية فكلامك لا يستقيم
لانّ الملك كما زعموا عقيم ومن قبلى وقبلك قيل فى الاقاويل شعر
صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم وشمّروا انّها ايّام من غلبا
وان زعمت انّ جدّك عهد اليك وعوّل فى وصيّته لك وعليك
فهو من اين استولى الا بطريق التغلّب وانّى حصل له ملك
وملك الا بالاغتصاب والتأثّب وعلى تقدير التسليم وانّ امر
وصيّته مستقيم فانّه كان فى حيوته قسّم بلاده ووزّع عليها اولاده
واحفاده فولّى والدى عراق العجم وتلك الديار وولاك انت
من جملة ذلك قندهار وجعلك وصيّه كما رسم واشار وتحمّل هو
المظالم وانتقل فاين نصيبى انا من هذا النقل فاجعلوا حصّتى من
ذلك ما استوليت عليه وليقنع كلّ منكم بما تقرّر فيه وفوّض اليه
ومع هذا ان تابعك ابى وعمّى تابعتك اوصادقاك على الوصيّه
وبايعاك بايعتك وان سلكا فى ذلك طريق الحقّ فالملك
صيد والاولى به من حاز فيه قصب السّبق وانّ الله ازاح علله
اذ شبّثنى باسبابه واتاحه لى مباحا ومن سبقت يده الى مباح

ملك اذربيجان وقرر عمّى فى ولايات
خراسان وابن عمّى بيره عمر فى صح

فهو اولى به هذا وان كلّا من مدّعى فقه الملك تابعنى ومن له
فى عقود السلطنة شركة ترك المضاربة وطاوعنى وعدّ عقد
توليتى مراجحة ولما وقف على سيرى القى السلم وبايعنى واما
الوزراء والاعيان فاجابوه بما لا طايل فيه سوى ما تمجّه اذن مستمع
غير انّ الخواجا عبد الاوّل وهو صدر صدور العلماء والمتصرّف
فى رؤساء ما وراء النهر من السادات والكبراء والمنفّذ سهامه
احكامه فى جميع الامراء والزعماء اجاب فاجاد واصاب وافاد و
اختصروا اقتصر وهصر من بير محمّد والخليل سلطان انتصر
فقال فى جوابه مجاريه فى خطابه نعم انت ولىّ العهد وخليفة
الامير تيمور من بعد ولكنّ ما صادف طالعك سعد ولو ساعدك
البخت كنت قريبا من التخت فالاولى بحالك ان تقنع بمالك ومالك
وتبقى على خيلك ورجالك وتضبط ما فى يدك من ممالك وان
ابيت الّا طلب النمّا ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى وخرجت من
مملكتك الى هذا الفضا فانك تقع فى العنا وتخرج ولايتك من
يدك فتصير مذبذبا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ذكر تجهيز خليل
سلطان سلطان حسين لمناصرته وخروجه عن خليل سلطان وقبضه
على امرآيه ومخالفتهم ان خليل سلطان لم يقنع بدقايق هذه الاقوال
واردفها بحقايق الافعال وامر بتجهيز جند مجنّد الى استقبال
بير محمّد واضافهم الى ابن عمّة والده السلطان حسين وعيّن فيهم
من امراء الجغتاى كلّ راس وعين وضمّ اليهم الظهور والاعضاد
ومنهم كجوك وارغون شاه والله داد فساروا سابعى العدّة كاملى
العدّة وذلك فى سنة سبع منتصف ذى القعدة فعبروا جيحون
الى بلخ وخيّموا فى ضواحيها وابثّوا فى اقطارها ونواحيها وبلغهم
مرفهو الحال فارغوا البال قريروا العين فمارض السلطان
حسين ثم انه دعا الامراء ليقوّمهم فيما هم بصدده الآراء وقد

اكمن لهم كمينا وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا وحين ولجوا خيسه
ودخلوا كيسه وثب عليهم وثوب الليث على الفريسة واغرى بهم
اسوده فوقعوا فيهم وقوع الجياع على الهريسة ثم نادى من معه من
الرفاق ضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وكان
كما ذكر خاطيش وشجاعة وتهور ورقاعة وصولة وجولة يسبق
فعله قوله فاهريق في تلك الساعة دم واحد من اولئك الجماعة
يدعى خواجه يوسف كان في حيوة يتمور نايب الغيبة بسمرقند
وهو امير مشهور ففي الحال قتل والى الدار الاخرة نقل ثم استقل
لنفسه بدعوى السلطنة ودعى الخلايق من هاهنا ومن هنه
فدهشت اولئك الرؤس وعلموا انه قد حل بهم النقم واليؤس
ذكر خداع الله داد سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين
غير ان الله داد ثبت جاشه المزؤد واستحضر تلك الساعة عقله
المفقود فابتدر سلطان حسين مناديا واستنبئه في امرهم
مناجيا وقال له بعبارة فصيحة ان لي اليك نصيحة ثم استخلاه
وقال انا كنت مترقبا منك هذا الفعال ومتوقعا منك اظهار
ما انت بصدده ومن ابن لخليل سلطان ان يحتوي على الملك
بمفرده غير ان هيبة مولانا كانت باسطة ولم يكن بينه وبين
الملوك واسطة مباسطة ولو كان عندي من ذلك ادنى
شعور لرتبت المصالح على ما تقتضيه الاوامر الكريمة والامور
ثم ان الخاطر الكريم يشهد بصدق هذا الحديث وانى عبدك
من قديم وسل من كان لك من المماليك والاجناد الذين كانوا
محصورين في اسر خداداد من خلصهم من حبايل اسره وانقذهم
من ضرام ضره واطفا عنهم ما التهب من شرار شره اذ لولا
انا لكان اباد هم وايتم اولاد هم وفجع بهم طريفهم وتلاد هم
فانك ان تسلهم يخبروك وعلى حقيقة الامر وجلية الحال

يظهروك ودمما اخبروك بذلك لما اتوك ومع هذا استقر
قلبك وان افتوك وافتوك ولا زال يطفي بماء خزعبلاته
شواظ تفوعنه ولهيبه ويذكي في خياشيم رعونته عنبرا حيالة
متمسكا بمسكه وطيبه ويرمي عن قوس ختله الى سويداء خيا
لاته نبال مكر انفذت فيه نضال القضاء والقدر لانها كانت
مصيبة فاشرب مكره وتبع امره وجعله ظهره واستقدح في
اموره فكره ثم انه بعد ان امتن عليه باستبقائه استشاره في
قتل رفقائه فقال له لاشك ان خليل سلطان ملك الناس
بالانعام والاحسان وهو وان كان في الشجاعة قاصر اليد
قليل البضاعة لكن استعبد ابطال الرجال بحسن الخلق
وبذل الاموال غير ان المال بمعرض الفناء والزوال وانت
بحمد الله مآثرك مشهورة ومنازل مناز لاتك لابطال
الابطال معمورة ورايات كسرك قرون الاقران على جبين
الكباش منشورة ورؤس مناطحاتك ثيران الوغى على
قرون الزمان ابدا منصورة قلت

ه فكر لو زرت شجاعا في البراز فمذ رأى محياك ولى ضارطا وجرى
وانا اعلم ان عامة الجند سيبتهج بطلعتك ويرقص فؤاده
لحصول سكونه فرجا بحركتك فانه لابد من راس يسوسهم
وضابط هماهم يصان بتدبيره نفايسهم ونفوسهم وقرم كالليث
الخادر والسيل الهامر بل كالبحر الفامر منصور ان دعا وان
دعى فناصر موصوف بما قال الشاعر شعر

اضاف الى التدبير فضل شجاعة ولا عزم الا للشجاع المدبر

وبما قال شعر لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها
وهل تم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت وما النجدة
والكرم والحسب الا راحل حيثما رحلت وساكن اينما سكنت

مذكرة رأى وعينا في الحروب بارى
فرياك الفتح بل في عيك النظرا م

ولو حدّث شاه ملك وشيخ نور الدين انّ وراءهما منك الحصن
الحصين لاسندا اليك روايه ذلك السند السديد ولاويا
من جنابك العالى الى ركن شديد وحاصل الامر انك مولى الكل
وجميعهم لك عبيد واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم فسواء عندك
ابقيت عليهم او ابدتهم ولكن الابقاء اولى ولا زالت العبيد
تترقب مراحم المولى فان اقتضى الراى السعيد ان نكون كلّنا
موثقين فى الحديد مع زيادة ايمان اكيد فرأيه اعلى واتباع
مايقتضيه احرى واولى فاقتفى رأيه واتخذه علماً لاموره ورايه
فاستتبعه لحينه وقال اسلك ورايه ذكر اخذ سلطان حسين
على الامر الميثاق ومشيد على خليل سلطان وهم معه فى الايثاق
ثم انه احضر الامراء وهم فى قبضة سطوته اسرى وقد ناوح
كلّ من متعلّقهم مهيب ناحيه وتوجّه الى دار كلّ المخبرون فقامت
عليهم النايحة والناعيه واوثقهم بقيدى الحديد والايمان ان يكونوا
معه فى السرّاء والضرّاء على خليل سلطان فمدّ كلّ منهم الى القيد
رجله والى اليمين يده وعاهده على مايختار وان يقدّم له نفسه
واهله وماله وولده فحين استوثق منهم ازاح بالامانى السوء
عنهم وتركهم موثقين فى البند ونكص قاصد اسمرقند وارسل
الى خليل سلطان يخبره بما دبّ من امره ودرج فليستعدّ لمبارزته
فها هو قد عبر جيحون وخرج وانه ايضا طالب من ملك خاله
حصّته ومنازع خليل سلطان فى السرير منصّته ذكر
تبريز خليل سلطان من سمرقند لملاقاة سلطان حسين
بطوايف جنده ورجوع سلطان حسين تمايروعه بخفّى حنين
فاستعدّ له خليل سلطان وخرج من سمرقند لاستقباله فى
اسرع زمان ثم انّ السلطان حسين احضر الله داد ومن
معه من الشياطين المقرنين فى الاصفاد واستأنف عليهم

العهود واكّد عليهم قيود العقود واحلّ كلاّ محلّه واجاز عقده وحلّه
وخلع عليه واجازه واحترم حرم حقيقته ومجازه وبشّ بانعامه
الى متعلّقيهم وهشّ وسار بهم حتّى وصل الى مدينة الكش والله داد
كان قبل ذلك بزمان ارسل الى خليل سلطان يخبر بوقوع هذا الهم
وما جرى عليهم من شرود وما تمّ ثم قال له انّ فالك سعيد واوركه
حميد فانهض برأى رشيد وعزم سديد وجنان حديد فانّ
ضدّك مصيد والله تعالى ناصرك قريباً غير بعيد وان كنت طفلاً
فانك فتىً شبّت اهواء القلوب بنسمات محبّتك فصرت شيخ
السلطنة وكلّ الانام لك مريد فوصل خليل سلطان الى ذلك
المكان فعبى السلطان حسين جيشه واستمل تهوّره وطيشه
وجعل الله داد على الميمنة ورفيقيه على الميسرة ولمّا تراءى الجمعان
وتدانى الزحفان وحقّت الحقايق وسدّت المضايق وتعادت
الاسود والغرانق باد ركلّ منهم من مكانه وقصد كلّ من الله داد
واقرانه عساكر خليل سلطانه فتخبّطت عساكر السلطان حسين
وسلب ثوب عزّه فبقى بالعراء ملتحفاً من ظنونه ثوبى خيبة ومين
ودهمه من البلاء ماانساه سلبه فرجع بخفّى حنين ومرّ على وجهه
قاطع الفلاه حتّى وصل الى ابن خاله شاه رخ صاحب هراه فلم
تطل له عنده مدّة فاما سقاه مهلكا واما مات حتف انفه عنده
فكان ذلك اخر العهد بسلطان حسين ورجع خليل سلطان
الى دار ملكه قرير العين بقيّة ماجرى لبير محمّد مما قصده من شرح
وهمّ وكيف آل امره ذلك الى وبال فنقص وماتمّ ثم انّ بير محمد تمادى فى
خروجه واستمرّ يرتع فى دوض الطلب ومروجه وتكرّرت
بينهما دروس المراسلة وتحرّدت مسايلهما بعد مطاولة
المقاولة ان ينزلوا منازل المنازلة ويحلّوا بروج المقابلة و
المقاتلة وكان متولّى امور ديوانه ومشيّد قواعد ملكه

و سلطانه شخصا يد عى بير على تاز حامى حقيقة باب الملك
وحارس المجاز سرة بطحاء مملكته وقطب سماء دايرته وقدوة
علماء عوالمه وقوة خوافى عسكره وقوادمه فجرد من عساكر قندهار
كل طود لو مال على القندهار وتوجه بعزم امضى من البتار وحزم
انفذ من الخطار وقايد ذلك الخضم الهدار والسيل الزثار والغمام
المدرار حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار ثم امر ذلك البحر
العجاج ان يركب من جيحون الاتباج ويصادم منه ما لاطم الامواج
فخروا منه بسفنهم النخر وجاوزوه مجاوزة بنى اسرائل البحر
وسار بذلك الاخشب حتى ارسى على ضواحى نخشب ذكر مقابلة
العساكر الخليلية جنود قندهار بصدق نية والقائهم بهزيمتهم اياهم فى بلية
وكان قبل ذلك خليل سلطان قد نجز امره كما كان ونفث اعطار
مندل الايثار وقوى العزايم على الملوك بالاستحضار ليجنوا من
اشجار الجرايات وثمار الادرار ما يستعدون به الملاقاة شياطين
قندهار فلبى دعوته العام والخاص وكل بناء من عفاريت الجنود
وغواص واجتمع من اعيان اولئك الاعوان كل مطيع مقتطف
ثمر احسان ذلك البستان من انس وجان وجاء ذلك البحر افواج
امواج العساكر من كل مكان وهم ما بين رؤس الجغتاى والجتا
وكل فرعون من بلاد تركستان قد عالا وعتا وفوارس فارس
والعراق ورستمدار وجان قربانية خراسان والهنود والتتار
ومن كان يعمد اعدة لمضايق الامور ولم يفارقه فى سفر ولا حضر
وارصده لكل نايبة من خير وشر شعر

فوارس لا يملون المنايا ... اذا دارت رحى الحرب الزبون
فاستانف عليهم فواتح الفتوح واستخب منهم لمادهاه كل صديق
نصوح واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات وضاعف
على قامة املهم من خلع انعامه المضاعفات ففتحت عليهم الارض

فرج الله البحرين هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ص

خزاينها وصبت عليهم من معادنها و فلزاتها ظاهرها وكامنها
فصار كل راجل و فارس وقد تجلى فيما تحلى به من تلك النفايس
يزدى بحسن هيئته على مخدرات العرائس فساروا و نسمات
النصر من انفاسهم فايحة ولمعات الفتح من بوارق بيارقهم
لايحة والسبع المثانى لابواب النجح والفتوح فى وجوههم فاتحة
ولا زال ذلك الراس يرسى ويمشى حتى حط على ضواحى قرشى
وهى المدينة المذكورة فاستقرت تلك العساكر المنصورة
وذلك يوم الاحد مستهل شهر رمضان سنة ثمان مائة وثمان
فبات كل من ذينك البحرين وقد ضم ذيله وكف عن التبذد
والتبدد سيله وحفظ من الاغيار رجله وخيله واحيى فى
معتكف المراقبة الى الصباح ليله قلت شعر

الى ان بدا لمع الضيا فى ظلامه ... يلوح كموج الماء من سجف طحلب
ولما سل الفجر صارمه الفضى تابرز ... ابرز ترسه ومسح عن لوح
الجو ما طرشه مسود الليل من دخانى نفسه تهيا كل من
اولئك الاطواد للاصطدام واشتعلت فى قلوب تلك القبايل
نار الحمية للاصطلاء والاصطلام فبنى كل عسكره ما بين
ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة ثم تدانوا وتكانوا وتعاونوا
وتعانوا وتراجزوا وتغانوا وتعانقوا وتهانوا وتناحروا وتقانوا
والتقت الرجال بالرجال والخيل بالخيل وارتفع ظلام القتام
على دؤس الاسنة فراوا فى صلوة الظهر نجوم الليل وجرى
فى ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل ثم عند منتصف
النهار انكشف الغبار عن ان طود قندهار هار وسعد اولئك
الكبار بار وعليهم غبار العثار نار وخبرهم بالانكساد سار
وصيت خليل الى الاقطار طار والى الافاق بالانتصار صار
فولى بير محمد وعلى راسه بحر الدمار هار وفى قلبه زناد البوار

حتّى كان فى قلبه جمر الغضا والغار غار او فى كبده نار لهيب الموخ
والعفار فار وجندلت رجاله وابطلت ابطاله ونهبت اثقاله
وتحولت احواله وسبى حريمه وعبيده وسلب طريفه وتليده وتشبث
هو باذيال الهزيمة وعلم ان اياه سالما نصف الغنيمة كما قيل
ايابك سالما نصف الغنيمة ٭ وكل الغنم فى النفس السليمة ٭
ورجع خليل سلطان وقد استناد به الكون والمكان واستقرت
دولته واستطالت صولته وشكر الله المليك واتم صيام رمضان
فى مكان يسمى جكديك ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان
ومجاهرتهم بالخروج وقصدهم الاوطان ثم فى ليله الاثنين غرة شوال
خرج من العراقيين الرؤس والابطال ومعهم حريمهم واتباعهم
واولادهم واشياعهم وكبيرهم شخص يدعى حاجى باشا وهم جارون
تحت امره كيف ماشا وكانوا ذوى صولة وجولة وصحبتهم السلطان
علاء الدولة ابن السلطان احمد البغدادى لصلبه وكان قد وقع
فى اسر تيمور فرهنه فى سجن محنته وكربه فافرج عنه خليل سلطان
وجعله عنده ذا مكانة ومكان فبينا الناس مشغولون باموراليد
رفع ايديهم اولئك الصناديد وكانة تقدم لهم بذلك مواعيد
فخرجوا تحت جنح الليل وشمروا نحو عراس العراق الذيل وطلقوا
مخدرات ماوراء النهر وما لواعنها كل الميل لانهم كانوا قد سمعوا
ان دار العراق انزلت باينها ومياه انهر سلطنتها الى مجاريها
فلم يقف احد امامهم ولا مشى خلفهم ولا قدر على ربط عن السير
رجلهم وكفهم فقطعوا جيحون ووصلوا الى خراسان فتصدى لهم
كل من سمع بهم من كل مكان فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم فقطعوا
فى البلاد قبل وصولهم الى عراقهم واين ايران من توران ودجلة
من جيحان فعيد خليل سلطان فى ذلك المكان ثم الوى راجعا الى الاوطان

عاوت

ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره

ولما وصل بير محمد الى قندهار واستقرت به الدار وتلملمت اموره
وحامت حول قصوره صقوره ودارت من سيارات عسكره بدوره
بدوره تسقرت سمومه وحروره وتطاير شراره وشروره فتارق
وتمرق وتحرق اسفا قلبه وتخرق وتمزق غيظا اديمه وتفرق
وكان ذا حماقة وقلة لباقة فطير اجنحة مراسيمه الى سكان اقاليمه
واستنهض على خليل كل حبيب صحيح الود وكليمه واستطب لجريح
قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه فلبوا
دعوته بالاطاعة واجابوا انداه بالسمع والطاعة ثم سالت
الادوية والجبال بالخيل والرجال وارسل الى خليل يقول ضمن
كتاب مع رسول ان اول مصافنا كان فلتة فمتّ وشرارة
سوهل فى اطفايها فالتهبت وطمت ولو انى استقبلت من
امرى ما استدبرت وتخذت ما استحقرت واستكبرت ما استصغرت
لانتصرت وما انكسرت ولعثرت على مرادى وما عثرت ولكن اضعت
الحزامة فحرمت السلامة وتناولت امرك برؤس الانامل فاكلت
يدى ندامة مع ان صليبة جندك وقوة ظهرك وعضدك
ونبال نبالتك وساعد سعدك وعضب غضبك ورمح رشدك
وحد صارمك وصرامة حدك انما كان رؤس العراق وما حصل
لك منهم من الاتفاق واما الآن فقد وقع منهم نفاق واتفق لك
منهم عدم اتفاق وظهر تباعد وشقاق ففت لذلك كبدك
واختل فكرك وجندك وها انا قد جيتك بجد جديد وبالحد و
الحديد فاستعد للقا وتيقن عدم البقا فان الحرب كما علمت
سجال وكما اديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال

ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثانى كرة وما حصل عليه فى
ذلك من كره وفره وتوليته الدبر كما بدا اول مرة ثم توجه بتلك الجنود
والاعوان وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان

حتّى كان فى قلبه جمر الغضا والغار غار او فى كبده نار لهيب المرخ
والعفار فار وجندلت رجاله وابطلت ابطاله ونهبت اثقاله
وتحولت احواله وسبى حريمه وعبيده وسلب طريفه وتليده وتشبث
هو باذيال الهزيمة وعلم ان اياب سالما نصف الغنيمة كما قيل

ايابك سالما نصف الغنيمة ٭ وكل الغنم فى النفس السليمة

ورجع خليل سلطان وقد استناد به الكون والمكان واستقرت
دولته واستطالت صولته وشكر الله المليك واتم صيام رمضان
فى مكان يسمى جكدليك ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان
ومجاهرتهم بالخروج وقصدهم الاوطان ثم فى ليله الاثنين غرة شوال
خرج من العراقيين الرؤس والابطال ومعهم حريمهم واتباعهم
واولادهم واشياعهم وكبيرهم شخص يدعى حاجى باشا وهم جارون
تحت امره كيف ماشا وكانوا ذوى صولة وجولة وصحبتهم السلطان
علاء الدولة ابن السلطان احمد البغدادى لصلبه وكان قد وقع
فى اسر تيمور فرهنه فى سجن محنته وكربه ففرج عنه خليل سلطان
وجعله عنده ذا مكانة ومكان فبينا الناس مشغولون باموور العيد
رفع ايديهم اولئك الصناديد وكانة تقدم لهم بذلك مواعيد
فخرجوا تحت جنح الليل وشمروا نحو عرايس العراق الذيل وطلقوا
مخدرات ماوراء النهر وما لواعنها كل الميل لانهم كانوا قد سمعوا
ان دار العراق انزلت باينها ومياه انهر سلطنتها الى مجاريها
فلم يقف احد امامهم ولا مشى خلفهم ولا قدر على ربط عن السير
رجلهم وكفهم فقطعوا جيحون ووصلوا الى خراسان فتصدى لهم
كل من سمع بهم من كل مكان فانفرط نظامهم لعدم اتفاقهم فتقطعوا
فى البلاد قبل وصولهم الى عراقهم واين ايران من توران ودجلة
من جيحان فعيد خليل سلطان فى ذلك المكان ثم الوى راجعا الى الاوطان

عادت

ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره

ولما وصل بير محمد الى قندهار واستقرت به الدار وتلملمت اموره
وحامت حول قصوره صقوره ودارت من سيارات عسكره بدوره
بصوره تسقرت سمومه وحروره وتطاير شراره وشروره فتارة
وتمرق وتحرق اسفا قلبه وتخرق وتمزق غيظا اديمه وتفرق
وكان ذا حماقة وقلة لباقة فطير اجنحة مراسيمه الى سكان اقاليمه
واستنهض على خليل كل حبيب صحيح الود وكليمه واستطب لجرح
قلبه كل قريع الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه فلبوا
دعوته بالاطاعة واجابوا نداه بالسمع والطاعة ثم سالت
الادوية والجبال بالخيل والرجال وارسل الى خليل يقول ضمن
كتاب مع رسول ان اول مصافنا كان فلتة فمتّ وشرارة
تسوهل فى اطفايها فالتهبت وطمت ولو انى استقبلت من
امرى ما استدبرت وتحذرت ما استحقرت واستكبرت ما استصغرت
لانتصرت وما انكسرت ولعثرت على مرادى وما عثرت ولكن اضعت
الحزامة فحرمت السلامة وتناولت امرك برؤس الانامل فاكلت
يدى ندامة مع ان صليبة جندك وقوة ظهرك وعضدك
ونبال نبالتك وساعد سعدك وعضب غضبك ورمح رشدك
وحد صارمك وصرامة حدك انما كان رؤس العراق وما حصل
لك منهم من الاتفاق واما الآن فقد وقع منهم نفاق واتفق لك
منهم عدم اتفاق وظهر تباعد وشقاق ففت لذلك كبدك
واختل فكرك وجندك وها انا قد جيتك بجد جديد وبالحد و
الحديد فاستعد للقا وتيقن عدم البقا فان الحرب كما علمت
سجال وكما اديل لك علينا بالامس فان غدا لنا عليك يدال

ذكر توجه بير محمد لمقابلة خليل سلطان ثانى كره وما حصل عليه فى
ذلك من كره وفره وتوليته الدبر كما بدا اول مره ثم توجه بتلك الجنود
والاعوان وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان

فتوجه اليه خليل سلطان ومعه من عساكر الرجال والفرسان
وجراد الجيش وقمله وصفادعه مايجرى من الدم الطوفان من تلك
الاطواد والبحار وسرى وهو مابين راس وساد حتى وافا جنود
قندهار وكان كما ذكر قبل قد قدح فى حراق احشاء العساكر القندهارية
من خوف نار الخليل زناد النبل فكانوا ملسوعين والملسوع يخاف
من جر الحبل فقبل ان يزعق النفير ويضرب الطبل نفر من كل فرقة
منهم طايفة وتنادوا ازفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة
فالبس بير محمد خلعة الخلع ولم يكن له بها طرق فاقلع الى القلعة القلع
واوصد الابواب واحكم الاسوار واستعد فى حصار شاد مان للحصاد
واحاط به من العساكر كل جارح وكاسر ودار عليه من بنى يافث كل
سام وحام وجد فى المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ودام فندم بير
محمد على ما قصد فى ذلك وتعمد وتذكر ما قال له اول الخواجا عبد الاول
لكنه اعتذر بالقضاء والقدر فرماه القضاء بسهم جواب اجاد فيه واصاب
وقال وعاجز الراى مضياع لفرصته حتى اذا فات امر عاتب القدر
فانعكس منه كل راى وفال وتغير عليه كل امر وحال وذهب عنه منطقا
ما بيده من ملك ومال ونفر عنه كل اسد اصلى للحرب نار لحامية
لما سطى على كل حام وصال ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذى قرابة
حين لمع له بالامانى الكاذبة كل سراب وآل وتمزقت شقق تدبيره
على منوال تفكيره سداة ولحمة فلم يبق له من دون الله من والى
ذكر ما صنعه بير محمد من حيلة عادت عليه بافكاره الوبيلة لان جدواها كانت قليلة
ولما عدم حوله اخذ فى اعمال الحيلة فاستدعى عدة مضبوطة من
الجلود المخطوطة المجادة بالدباغ المصبوغة بالوان الاصباغ ثم
فصلها لبوسا لكل بوسا وسمر عليها المرايا المصقولة وبعض صفاح
معمولة وموهها واحكمها بالمسامير واحضر من سوقة بلده رؤس
الجماهير واستكثر من الرعاع والهمج المجموع ثم احضر تلك الدلاص

والدروع ووزع على تلك الروس والظهور هاتيك النطوع فصاروا
كلما صارت الشمس بازغة اصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك
الاسود وعليهم تلك الدروع السابغة فاذا راهم الناظر من بعيد
توهمهم رجالا ولم يعلم انهم بندق البعيد واذا ترای ذلك الهباء
والخيشعور الذى ملأ الفضا كان كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء
واستمر على ذلك مدة يقاسى معاناة ويعانى شدة وكان الذى
تعاطى هذا المكر الجلى دستور مملكة اعنى بير على ومع ذلك
كله لم تنفعه هذه الحيلة وعادت عليه افكاره الوخيمة ووساوسه
الوبيلة وانكشف سره وانهتك ستره فضاق ذرعا وقصر منه
باع المجال ومد بنقص عدده وعدده وزاده الدهر بانكاك
ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم وطلبه الصلح والفائه السلم
فبسط بسايط التضرع وطلب وسايط التشفع وعلم انه لا عاصم
من امر الله الا من رحم فناشد خليل سلطان الله والرحم وقال معنى
ما قلت يعطى الكريم ولا يمل من العطا والعفو شيمته اذا وقع الخطا
فاجاب خليل سلطان مقاصده وتاكدت من الطرفين معاقدة
المعاهدة بان لا يقصد احد منهم بالاد صاحبه واذا كان الله تعالى
رفعه فلا يضع من جانبه ويسلم اليه ما فى يده ويبقى على الود و
الصداقة فى يومه وغده ثم تحالفا ان لا يتخالفا وتواثقا ان يتوافقا
وتصادقا ان يتصادقا وتفاقدا على ان يتوافقا وتوافقا ان يتلاقا
وراقبا الالّ والذمة وراعيا القرابة والحرمة وانشمر كل عن
صاحبه بما معه من قنه وذلك فى سنة تسع وثمان مائة
ذكر مخالفة ونكد وقعت بين بير على وبير محمد ازاحت ثوب الجفوة عنهما
واراحت مخالفيهما منهما ولما وصل بير محمد الى وطنه
واستقر بين خدنه وسكنه خرج عليه بير على تاز واستقل
بدعوى الملك وامتاز ثم قبض عليه وكبله ثم خذله وجد له

وشرع يقول وهو يصول ويجول امور الدنيا اضطربت والساعة
اقتربت وهذه دولة الدجالين واوان تغلب الكذابين والمحالين
مضى تيمور وهو الدجال الاعرج وهذا زمان الدجال الاقرع وسياتى
بعد هذا الدجال الاعور وان كان احد يجزع من قرع باب السلطنة
فانا اقرع فلم يجب احد من الرؤس والاذناب سؤاله ولا انعم له بما
اقر عينه وانعم باله اذ لم يوجد فى تناول هذا المحظور امر مبيح ولم
يكن لذلك الوغد فى سهام الملك غير المنيح والسفيح فدعا وياب
مما لكها تضرعا وخيفة فكشر كل فى وجهه انيابه وجاذبه هذه
الجيفة فلم يبق له قرار ولا اثبات فسل يده ومد رجله صوب
صاحب هراة فجرد وقوعه عنده فى شرك الاقتناص فبض
عليه واجرى عليه احكام القصاص وصفت له ممالك قندهار
من غير مضارب ولا مضار واستراح خليل سلطان ايضا من الانكاد
والمضار ذكر ما وقع من حوادث الزمان فى غيبة خليل سلطان
وفى هذه السنة بادرت بالهجوم تتار الروم واصلوا العزم
وقطعوا جيحون بالرجل وهو جمد من خوارزم وقصدوا بلاد هيرة
فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم وبادهم وحصل لهم من عدم
الاتفاق ما حصل لعساكر العراق وايضا فى غيبة السلطان خليل
واشتغاله بهذا السفر الطويل اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ
نور الدين فتوجهوا الى سمرقند مطمئنين واخوا عليها ونهبوا
ما حواليها فتحصنت منهم وترفعت عنهم فنهبوا خارجها ورجعوا
ونحو بلادهم انقلعوا ذكر تجريد خليل سلطان الاجناد وتوجهه
الى شيخ نور الدين وخدايداد ولما رجع خليل الى سمرقند اراح
طوائف عسكره وجنده ثم دعا اصحابه ووجه نحوهما ركابه وجعل
دابهما ودابه وسار بتلك القبايل المضطرمة والاسود الخوادر
والفحول المقتلمة واستمر ذلك الطود الركون بين حركة وسكون

حتى وصل الى سيحون وحين شرع ذلك الطود والنار ذات التوقد
على نهر سيحون فى العبور رأيت البحر المسجور فاذ عن له شاه رخيه
وخجنده وتحصنت منه تاش كند فتوجه لحصارها وعزم على هدم
اجارها فبعد ان حاصرها مدة واذاقها لباس الجوع والشدة
لجاءت الى طلب الامان وسلمت اليه قياد الاذعان فاجاب سؤالها
ورقح بالصلح حالها ثم قفى اثارها طالبا دمارها ذكر ايقاد شيخ
نور الدين وخدايداد نار الخليل ليحرقاه فأطفاها الله تعالى ووقاه
وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى ويترقبان
من فرص التهب والسلب معانى عسى ولعلما فتوجه ورآهما
ورام لقاءهما فجعلا يرحلان بمرأى منه ومسمع وينزلان بمأمل
منه ومطمع وجعل يقتفيهما فى كل منزل فاذا رحلا يتبع قفاهما
وينزل وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره مستيقنا بحول
نصره وظفره فكانه فى بعض الليالى غفل عن التحرس وكان
لهم فى جيشه من دأبه التجسس والتحسس فخيبه الظن وخانه
وحط على مكان يسمى شراباخانه وكان قد تقدم على الثقل فطار
جاسوسهما اليهما بما فعل فاقبلا كالسيل وبيتاه بالليل فخرج
من عسكره جماعة وكاد ما قامت القيامة فى تلك الساعة ثم
تركاه وردا وفرا عنه ومدا وتشتتا فى المهامه والموامى ومن
اين للسلطان اقتناص الحرامى فكف عنهما الطلب وقصد بالسلامة
دياره وانقلب ذكر مفارقة شيخ نور الدين خدايداد وتقاسمهما املاك البلاد
ولما كانت مودة خدايداد وشيخ نور الدين كالجرة الفخار واساس
مابينهما من الصداقة كمن اسس بنيانه على شفا جرف هار
اختلفا وما ائتلفا وتجاذبا شقة الشقاق ونفق فى تبايعهما
النفاق ولم يعلم احد من راق وظن انه الفراق فقهقر
شيخ نور الدين نحو سغناق واستولى على تلك الاطراف والاقاق

بحلول صح

عيان صح

رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار والتنصل عند خليل مما كان منه وصار

ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان واعتذر عما صدر منه
من العصيان وطلب ان يقابل اساءته بالاحسان ويرجع اليه
عوايد صداقته كما كان فاجابه الى سؤاله واسبل على سوءة
جرمه ذيل النسيان وارسل اليه امرأة جدته تومان فصل
ولم يزل على الوفاق وشق شقة الشقاق مرتبقا ربقة الوفاق
حتى وقع خليل سلطان فى الرباق وصفا لشاه رخ ملك سمرقند
وراق توجه اليه شاه ملك مظهرا الصلح ومضمر النفاق واستنزله
بالمكر من قلعة سغناق بعد ان احكام العهد والميثاق ووقع
بينهما الاتفاق ان يتلاقيا ركبانا ويتباثا الاشواق بعد السلام
والاستلام والعناق وكان فى جماعة شاه ملك شخص يدعى
ارغوداق ثم اقبل شاه ملك بجماعته ونزل شيخ نور الدين
من قلعته وساق شاه ملك وحده من غير عدته وعده وتعانق
هو وذلك المغرور وبثه ما نابه فى غيبته من امور وسرور
وشرور واكد عليه الميثاق والعهد ووصى كل منهما ما يفعله
الاخر من بعد ثم ودعه وانصرف واتصل بجماعته ووقف
وسارع كل من جماعته بمفرده الى مصافحة شيخ نور الدين
وتقبيل يده حتى افضت النوبة الى ارغوداق فتوجه بما اضمره
من الخداع والنفاق وكان فى الشجاعة اسدا وكالفيل قوة وجسدا
فوصل اليه وقبل يديه ثم التزمه عناقا واحكمه اعتناقا
فاقتلعه من سرجه واهبط بجمه من برجه وقطع راسه وفتح
ناسه ولما سمع بذلك شاه رخ طفق يندب ويصرخ ولعن شاه
ملك ونهره وضرب ارغوداق وشهره ولكن ما امكنه وصل
ما قطعاه ولا غرس ما قلعاه كما قيل وليس لما انطوى المنية ناشر
واستمر خدايداد متشبثا باذيال العناد مشركا بين العتو و

والفساد غير مسلم الى الصلح القياد الى ان اباده الدهر واباد
وسيذكر كيف جاد باعدامه واجاد ذكر امر خليل سلطان
ببناء ترمذ التى خربها جنكيز خان وتجهيزه العساكر لهذا الشان
ثم فى شهر صفر سنة عشر وثمان مائة ارسل خليل سلطان
من الجنود فئة واضافهم الى الله داد وضم اليهم جماعة من
الروس والاجناد منهم الياس خواجه وابن قمارى منصور
وتوكل قراود ولتيمور الى ترمذ مع آخرين ليعمروها فاستمروا
سايرين حتى وصلوا الى ترمذ فجمعوا فى الحال احتياجاتهم من
الاجار والاحشاب والقرمد ثم تقاسمت تلك الروس ابدانها
وعلوا عن ان تتسور قلة اسوارها حيطانها وجعلوا يعملون
ولا يلبثون ويبنون بكل ربع منها آية يعبثون وتركوا بالنهار
اكلا وبالليل نوما فاتموا بنيانها فى نحو من خمسة عشر يوما
وحين ميزوا محلاتها وفرزوا دروبها وطرقاتها ورفعوا
اعلام مساجدها ومناراتها وبيتوا مواضع اسواقها وابنيتها
امروا الباقين من ذرية النازحين عنها من اهلها وكل من
رحل من خراب وعرها الى عمران سهلها ان يرجعوا اليها
ويخيموا عليها وكان اولئك المساكين قد استوطنوا منها
البساتين وبنوا فيها اسواقهم وبيوتهم وجمعوا فيها اسباب
معايشهم وقوتهم واستمر ذلك من وقت جنكيز خان الى
وقت تيمور كوركان وكانوا فى وطنهم آمنين وعن حركات
الانزعاج والتقلقل ساكنين فلما مات تيمور وحدث شرور
وامور اراد خليل سلطان ان يصونهم فارسل من شيد
حصونهم وكانت الجديدة عن العتيقة نحو من فرسخ
فصارت العتيقة احصن من الجديدة وارسخ لاسيما وقد
على البانون منارها ونهر جيحون يصافح اقدام طود حمل

اسوارها بخلاف الجديدة فان قصور مساكنها غير مشيدة وهي عن
النهر بعيدة فلما ناد والناس ان ادخلوا الى دار قرارکم فکانهم کتبوا
علیهم ان اقتلوا انفسکم او اخرجوا من دیارکم فلم یثقل الله داد علیهم
ولا کرّب فی ذلك ولا التفت الیهم ولم یظهر فی ذلك عنادا ولکنه
حشر فنادا ان کل من سبقت یده من اهل البلد الی شیء من هذه
الاماکن والعمایر الجدد فهو له من غیر منازع ولا مانع ولا مدافع
ثم امر باستقال الخبازین والقصابین والطباخین والسمانین وبیّن
لهم منزلهم ومأواهم ولم یتعرض لمن سواهم فجعلوا یبیعون علی العساکر
ویشترون ویربحون فی ذلك ولا یخسرون فاختل نظام سایر
الجمع اذ الانسان مدنی بالطبع فالجأهم الاضطرار ان تبعوهم
بالاختیار فتفقد ما یلیق به احوال کل من کبیرهم وصغیرهم وقرّر
علی ما اقتضته اوامره قواعد امورهم ثم جمع رؤس جنده وقفل
الی سمرقند ذکر ما فعله شاه رخ من جهة خراسان فی مقابلة ما
فعله خلیل سلطان ولما سمع شاه رخ بما فعله خلیل سلطان
جهز طائفة من عساکر خراسان وجعل ممدّ ذلك السحاب المنجاب
من بحر امر امیر یدعی مزراب وهو اخو جهان شاه الذی کان تیمور
علی محاصرة قلعة دمشق ولاه فامر رؤس تلك الجنود ان یبنوا
قلعة تسمی حصن الهنود وهی من اقصی بلاد خراسان یفصل بینهما
وبین ترمذ نهر جیحان ففعلت من البناء العساکر الخراسانیة نحو
ما اعربت عنه العساکر الخلیل سلطانیة وفی اثناء مدة البناء ارسل
الله داد ومزراب وتصافیا وتواصلا بالاحتشام والاحترام وتهاديا
اشارة الی ما حدث فی اقالیم ایران وما جری من سیول الدماء عند
نضوب ذلك الطوفان ثم ان سلطان احمد وقرا یوسف رجعا
الی العراق ووقع بینهما علی سیاسة الملك الاتفاق واستقر
سلطان احمد فی بغداد ووثب قرا یوسف علی الجغتای لیستخلص

منهم البلاد وکتب الفتح علی رایاته ایات نصر من الله
فاستخلص ممالك آذربیجان بعد ان اباد طوایفهم وقتل امیر
انشاه ومدّ عنان الکلام فی استیفاء هذا المقام یخرجنا عما
نحن بصدده من المرام واما عراق العجم فانها کانت احصن
اجم فاستقبل بدعوی الملك متولیها بیر عمر فنهض علیه
ذو قرابة له یدعی اسکندر فقابله وکسره ثم قبض علیه و
حصره واستقبل بدعواه فتوجه الیه شاه رخ صاحب هراه
فقبض علیه واباده وفجع به اهله واولاده واستطفی بلاده
فخلص لشاه رخ ممالك العجم کلها وانثال الی خزاینه من اموالها
وابلها وطلها من غیر ان یعانی فی ذلك نصبا او یقاسی فی
تحصیله تعبا ووصبا مع ان مملکته کانت اوسط الممالك فلم
یتطرق الیه احد بسوء لذلك وانه کان حسن الجوار قلیل
الحرکة وابوه قد حسم عنه بقتله ملوك العجم مادة کل شر وهلکة
فثبت فی مکانه بین اسود شحمت ونبت وکبت ماله من اعداء
بماله من اصدقا وثبت فاهتزت اراضی دولته بنبات
الثبات ودبت وکأن عیون السعد کانت تراقبه وعرایس
الملك تناجیه وتخاطبه بقوله

نزه فوادك عن سوانا والقنا فجنابنا حل لکل منزه
والصبر طلسم لکنز وصالنا من حل ذا الطلسم فاز بکنزه

ذکر خروج الناس من الحصن وطلبهم اوطانهم من ماوراء النهر
وفی اثناء هذه الحالات قصد الناس من سمرقند التبدد و
الشتات وطلب کل غریب وطنه وتحرك یبغی سکنه وقطنه
اما باجازة واحتما واما بهزیمة واختفا فاول من استجاز من
اهل الشام ورام المسیر شهاب الدین احمد بن الشهید الوزیر
ثم تفرقت الطوایف عجما وعربا وتبددوا فی الآفاق شرقا

الا ان وقع بینها الشقاق
وتخبطت آذربیجان والعراق صح

وغربا وقع فى سمرقند القحط وغلاء الاسعار ولم يرخص
بين الناس سوى الدرهم والدينار ثم حصل بعد ذلك الرفاهية
واجتمع للناس الرخاء والامنية وطاب الزمان وحصل الامان
وذهب المقت وصفا الوقت مصراع وعند صفو الليالى يحدث الكدر
ذكر ما اثار الزمان الغدار من دمار وبوار القى به الخليل فى النار
وكان خليل سلطان تزوج شاه ملك ذوج سيف الدين الامير
وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير مال بكل جوانحه اليها
بحيث انه قصر نظره عليها وصارت محبته كل يوم تزداد وانست
قصته قضية قيس وليلى وشيرين وفرهاد وكان كما قيل شعر
اعانقها والنفس بعد مشوقة اليها وهل بعد العناق تدانى
والثم فاها كى تزول صبابتى فيشتد ما القى من الهيمان
كان فؤادى ليس يهدى الذى الى ان يرا الروحين تجتمعان
واستمر ذلك الى ان دان هواها على قلبه واخذ بمجامع لبه وربط
جوارحه وحل جوانحه وفصل قميصا واسعا فكانا يلبسانه واتحدا
فصار ينطق بلسانها وتنطق بلسانه وصار ينشدان والى
حالهما يرشدان شعر انا من اهوى ومن اهوى انا نحن روحان
حللنا بدنا بل كانت القضية بالعكس قلت شعر
انما كانا بروح نفخت مذ براها ربها فى بدنين
وكان لا يصدر امرا الا عن رأيها ولا يستضى فى سياسة
الملك الا بارائها فسلمها قياده واتبع مرادها مراده وهذا من
غاية البله والعته وكيف يفلح من ملك قياده امرأه وكان لها
خادم قديم ليس من بنى الاحرار ولا بكريم بل كان من اطراف
الناس يبيع فى اول امره البز والكرباس يدعى بابا ترمش بطرف
مهمش ووجه منمش وصورة قبيحة وسيرة غير مليحة وكان
يتقاضى حوايجها ويدخل عليها قبل وصول خليل سلطان اليها

فلما وصلت مخدومته الى ما وصلت وحصلت لها المرتبة التى
لغيرها ما حصلت ارتفعت درجة خدمها وزادت حشمة حشمها
فاستفاد بابا ترمش من اضافته اليها التعظيم وبحسب كرامة
المخدوم يحصل للخادم التكريم فصار يرأس جماعتها ويسوسهم
ويجالسها تحلى بخلعة هم القوم لا يشقى جليسهم ثم ترقى حتى صار
عليه مدار امرها ثم تخطت قدمه الى التكلم فى اسباب الملك و
غيرها ثم تدرج الى فصل المحاكمات الديوانية واجراء القضايا
السلطانية ثم ترفع الى التولية والعزل وتعاطى ذلك على سبيل
الجد لا الهزل وانتهى فى ذلك فصار دستور الممالك ولم يقدر
احد على رد كلمته لحدة شوكته بقوة مخدومته فبسط يده ولسانه
كما اختار وامتثل كل ما امر به واشار واستطال على الله داد
وارغونشاه فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما ابرماه وبلغ
فى قلة الادب الى ان كان يمد رجله بحضرتهما ولا يقيم بذرة
من واجب حرمتهما ثم حجر ان لا تفصل قضية الا بمشورته
وان كان غايبا فينظر حضوره او يتوجه الى حضرته ومن حين
نبغ الى ان بلغ ما بلغ كان نحو من ثلاث سنين وعفاريت الجفاء
وجنهم لا يبرحون معه فى العذاب المهين فحصل لالله داد وارغونشاه
من هذا التدرج غاية التضرر ونهاية التحرج وبلغا الغاية فى
الاهانة والنكاية واعضل داؤهما واعجز دواهما واستلذا ذهاب
العيش وزواله على البقاء على هذه الحالة ذكر ما افتكر الله داد
ودبره فى مراسلة خدايداد ثم ان الله داد استعمل فكره ولكن
اخطأت استه الحفرة فطبخ قدرا فانقلبت عليه ونسج كدود
القز شبكة حتفه بيديه قلت شعر
اذا انعكس الزمان على لبيب يحسن رايه ما كان قبحا
يعانى كل امر ليس يغنى ويفسد ما اراه الناس صلحا

فلم يجد لتبريد الاكباد الا مراسلة خدايداد فجلى اليه صورة هذه
القضية واخبره بها عن وضوح وجلية واشار اليه ان يتوجه
باهل فسيح ويقصد بعساكره سمرقند وخاطره مستريح فنهض من
ساعته وتوجه بحيشه وجماعته ودب دبيب الدبا فوصل الى مكان
يدعى اوانبا فلما سمع بذلك خليل سلطان ارسل الى الجنود والاعوان
وتعجب من وقاحته وتعوذ من كلاحته وجهز الله داد وارغونشاه
مع العساكر الجرارة للملاقاه فسارا حتى دانياه فقابلاه وما قاتلاه
ثم ارسلا الى خليل سلطان يستدعيان المدد ويقولان ان هذا
الرجل بلغ من مالاحاته وشدة دعادته وقلة مبالاته انه لم يترزع
من مناخه ولا دخل ريح هيبتنا فى صماخه فامدهما بباقى العسكر
وجعل يتشوف لما يكون من الخبر فارسلا ايضا ان هذا قد آذى
وزاد فسادا وجارى فى عدوانه ثمود وعادى فامدنا بنفسك
وادركنا بجدسك وحسك فان هيبتك اقوى وصلعتك اضوى
وما ارتكب هذه الجرأة ولا اقدم على هذه الجيئة الا وقد اضمر
شرا كبيرا وطوى فى باطنه قارا وقيرا فادركنا بباقى المقابلة فان
هذه المرة تكون الفاصلة فخرج خليل سلطان بقلب مطمئن وخاطر
عن حلول الحوادث مستكن واهل فسيح وصدر منشرح معجبا
بشبابه مغرما باصحابه متمائلا بين احبابه متهاديا بين اترابه
فى شرذمة قليلة وطائفة نبيلة ابعد ما عنده نزول هم واشرد ما لديه
حلول نكد وغم يفديه الكمال وينادیه لسان الجمال يقول

تله دلالا فانت اهل لذاكا ... وتحكم فالحسن قد اعطاكا

فوصل بتلك العصابة السلطانية الى قصبة تسمى سلطانية
فارسل الله داد الى خدايداد ان الركاب السلطانى قد خرج من
سمرقند فى اليوم الفلانى وفى الساعة الفلانية يحل فى كورة
سلطانية ذكر ما قصده خدايداد من الكيد ووقوع خليل سلطان

فى قنص الصيد فقصد خدايداد المخاتلة وترك المقاتلة ونبذ
العساكر وراء ظهره وتابط شر شراره وهراوة هره واستصحب
من ابطال القتال ورجال النضال والنزال طائفة جاسرة غير خائفة
شعر رزان اذا الاقوا خفاف اذا دعوا كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا
والتحف ذيل الليل ولطئ فى ظهر الخيل واستطرق الى مطلوبه
طريقا عوجا واستقود الى مقصوده قواد الدجى كما قيل شعر

لا تلق الا بليل من تواصله ... فالشمس نمامة والليل قواد

حتى وصل الى سلطانية وهى قصبة انشأها تيمور ولم يكن لاحد
شعور فلم يفجأ خليل سلطان الا وقد جاءه موج البلاء من كل
مكان فنهض كل من معه من الاصحاب واخذوا فى الحرب والضرب
الحراب وقاتلوا قتال الموت وايقنوا بحلول الفوت فعضت عليهم
الحرب العضوض وطرحتهم ما بين مهشوم وموقوذ ومرضوض
فقتل حقيرهم وجليلهم ووقع فى نار عدوهم حبيبهم وخليلهم ثم
رجع خدايداد الى معسكره فاين ابن جحه مستبشرا بظفره فصل
ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان باشد ما يكون وابلغ من
انواع الايمان انه لا يقصده باذى ولا يرمى فى عين معيشته
بخيال قذا ولا يوذيه بقول ولا عمل ولا يسلط عليه من يوذيه
بمكر ودخل وسيرى نتيجة ما حلف وان الله تعالى عفا عما سلف
فصل ثم التمس منه ان يرسل الى الله داد فمادونه من الاجناد
ان يستسلموا لخدايداد وارسل خدايداد ايضا الى الناس بانى
قد استوليت منكم على الراس فان اطعتمونى اطعته وان لم
تطيعونى قطعته ولما وقع خليل سلطان فى هذا الكرب تصور ان
هذا سهم غرب ثم ظهر له مكان ذلك المكمن وتحقق كيف
اخذ فى المامن وعلم من اين صب ذلك البلاء عليه وانى اخذ
من الجانب الذى يامن اليه فقال بلسان الحال شعر

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا ولا بينه ودّ ولا نتعارف
فما سامنا خسفا ولا شفنا اذى من الناس الا من نودّ ونألف
ثم ارسل الى سائر الامراء ورؤساء الجيش والوزراء ان يستسلموا الخذاداد
ولا ينازعوه ولا يدافعوه فيما يريد ولا يمانعوه فاستسلم الكلّ اليه
واستقبل ذراه وسلم عليه فاستولى على تلك الجنود المجنّدة
وتحصّن من غوائل المخاتل بالرماح المسدّدة والسيوف المهنّدة
وقدّم جنود جند وخجند واغتام تركستان وطغام اوزجند
واخّر من سوى اولئك اولئك وتقدّم الى سمرقند ولم يلتفت
الى الله داد فمن دونه وتحقّق الله داد ان صفقته في ذلك مغبونة
فسلخ الزمان عنه ما كان البسه من ثوب عزّ وسلب وفرّ من بين
يديه ما كان فيه من جاهٍ ومالٍ وذهبٍ وكان قيام هذا العشر
في سنة ثمان مائة واثنى عشر ذكر ما جرى من الفساد بسمرقند عند
قدوم خدايداد فوصل خدايداد الى سمرقند ودخل فتغيرت
تلك الرسوم والدول وكانه ظهر اختلاف المِلَل والنِحَل وكان له
ابن يدعى الله داد فدعاه بالسلطان على رؤس الاشهاد وتفحص
عن مكامن الخزائن ونقب في اطوادها عن الفلزات والمعادن
ونقر عن مضمرات الضمار وبحث عن الخبايا والدفاين وتغيرت
الاوضاع وتبدلت بالفظاظة رقاق الطباع وصار كما قيل شعر
امّا الخيام فانها كخيامهم واري نساءَ الحيّ غير نسائها
وتنكرت الصفات حتى كانما تحولت الذوات او بدلت الارض غير
الارض والسموات سمر وتنكرت ارض الفوير فلم يكن ذاك الفوير ولا الثقاذاك الثقا
ذكر بلوغ هذه الامور شهرخ بن تيمور وتلافيه تلك الحوادث
وحسمه مادّة هذه العوايث ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر عبس وبسر
وتضجر وزمجر واذور واكفهر وتغير وجهه وتمعر واستفاث
وتقلق وولول واسترجع وحوقل وتحرق وتنكد وتأوه وانشد

شعر لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى ساءها كل مفلس
ثم طير بطايق مراسيمه كل مطير الى اطراف مما لكه لجمع العسكر
وامر شاه ملك ان يسير غير مرتبك ويستديم السير ويسابق
بعتاقه عتاق الطير فيتدارك ما انفرط من النظام ويطارد عن
ورد المملكة الاغتام الطغام فلا يدع رائدهم ان يحلّ ويعاجل
مستعجل قديرهم ان يملّ فسار شاه ملك في الحال بعساكر في
المدد كالجبال وفي العدد كالرمال ثم اتبعه شاه رخ بساير الاساورة
وكواسر الاكاسرة وساد لا يلوى على احد ولا يركن في حركته الى
طالع ولا رصد فخاضوا جيحون وعبروه غطّوا وجهه وستروه
فانبسط ذلك السيل على وجه الماء فكان البحر غطى بالهمام المتراكب
وغرق في بحر الحيا فصل ولما قطع البحر تلك الاطواد واتصل الخبر
بخدايداد تيقن انه لا طاقة لدبابه وقرودة بذياب جنود شاه
رخ واسوده وان جلّ عساكره يفرّ عنه ويسلمه او يقبض عليه
ولشاه رخ يسلمه فاسرع في تجهيز مآربه وباد الى تجهيز مطالبه
واخذ ما وصلت يده اليه من اموال واوسق ما بلغت طاقته
من نفايس واحمال واستصحب خليل سلطان وتوجه الى اندكان
واودع الله داد وارغونشاه وبابا ترمش في القلعة وانفان
يستصحب احدا منهم معه وترك شاه ملك بفراق خليلها رهينه
وبسلب ما كانت فيه من العز مهينه ذكر ما جرى بسمرقند بعد
خروج الجنود الجنديه وقبل وصول الشواهين الشاهرخيه
ثم لما ارحل خدايداد وانفصل ولم يكن احد من جهة شاه رخ وصل
وما كان للناس ظهر ولا راس اراد الله داد وارغونشاه ان
يتوجها الى شاه رخ ويستقبلاه فرفع خواجه عبد الاول عليهما
يده واقام لمنعهما عن الخروج من القلعة رصده واستعان عليهما
بشطار المدينة وكان الله داد قبل ذلك انكاه نكاية اورثته

مدبرهم

ايضا في المدينة

فى قالب العجب فاكرم خليل سلطان رسلهم واعظم نزلهم واجل معهم
جوارا واجزاهم بكل حسنة عشرا شعر

الخير ابقى وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد

ولا زالت خلع المودة بينهم تنتسج ووجوه المكارمة والمحاشمة يوما
فيوما تبتهج حتى عراله ماعرا وجرى عليه من بحر القضاء والقدر
ماجرا فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه وارسلوا الى خليل
سلطان ينهون صورة الحال اليه وقالوا تعلم ما بيننا وبينك من
خالص الوداد واتا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد وانه كان
السبب فى تبددك وخروج ملكك من يدك وقد جاء يستمدنا
لك فارسم لنا ما بدا لك فان رسمت قتلناه وان اشرت امددناه
وفى الجملة مهما امرتنا به امتثلناه فارسل يقول قد علمتم كيف آذانى
ومزق عرضى واخذانى واخرجنى من ملكى وسلطانى وغربنى عن
اهلى واخوانى واذ تنى اذ داسنى بمفارقة حتى اوطانى والآن
قد جعلنى توسا يتقى فى الحوادث والباساو قد عرفتم كيف يريد
ان يتصرف وعلى كل حال فالعارف لا يعرف ومع هذا مهما رأيتم
فى ذلك من المصلحة فافعلوه ففى الحال قطعوا راسه واليه ارسلوه

ذكر عود خليل سلطان من ممالك اندكان وقصده عمه شهرخ
ولعبه بالنفس مع ذلك الرخ واستمر خليل سلطان فى ذلك
المكان واطراف تركستان يرسل بالفارسى الاشعار الفراقية
وينشى فى جيبته ما ينشى القصايد الزيدونية ويذكر ما هو فيه
من الغربة وما جرى عليه من الفراق والكربة فيصدع بذلك
القلوب ويفتت الاكباد الى ان مل المقام فى تلك البلاد فنفض
منها ذيله وضم رجله وخيله وقصد عمه وركب امم الطريق
وامه فاكرم عمه مثواه ولم يذكر له اخبار ما اشتاه وضم اليه
حبيبته ولم الى خليل خليلته وقرر قاعدة ذلك الاقليم وشيده

وولى فيه اولوغ بيك ولده وقفل الى خراسان مستصحبا معه خليل
سلطان ثم ولاه ممالك الرى فلم يقم بها الا ادنى شئ وانتقل الى
رحمة الله وكان عمه دش له شيئا فسقاه فدفن بمدينة الرى وطوى
نشر ذلك الخاتم اى طى وحين وقعت شاد ملك فى هذا المخطب
الجليل واشتعلت احشاؤها بنار الخليل قالت لا ذقت فقدك
ولا عشت بعدك وانت ورنت وانشدت وغنت شعر

كنت السواد لمقلتى فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت احاذر

ثم اخذت خنجرا فوضعته فى لبتها واتكأت عليه بقوتها فنفذ
من قفاها واحرقت بنارها من رآها فدفنا فى قبر واحد وامسى
لسان حالهما ينشد شعر

اجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

وصفا لشاه رخ ممالك ماوراء النهر وخراسان وخوارزم
وجرجان وعراق العجم وما زندران وقندهار والهند وكرمان
وجميع بلاد العجم والى حدود اذربيجان والى يومنا هذا اعنى
سنة اربعين وثمانمائة ونسأل الله حسن العاقبة بمنه و
لطفه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

فصل فى صفات تيمور البديعة وما جبل عليه من سجية وطبيعة

وكان تيمور طويل النجاد رفيع العماد ذا قامة شاهقة كانه من
بقايا العمالقة عظيم الجبهة والراس شديد القوة والباس عجيب
الكون ابيض اللون مشربا بحمرة غير مشوب بسمرة فخيم الاطراف
عريض الاكتاف غليظ الاصابع سميك الاكارع مستكمل البنية
مسترسل اللحية اشل اعرج اليمنا وين عيناه كشمعتين غير زهراوين
جهير الصوت لايهاب الموت قد ناهز الثمانين وهو مع ذلك
بجاش مكين وبدن مستمسك متين صلبا شهما كانه صخرة صما

لا يحب المزاح والكذب ولا يستميله اللهو واللعب يعجبه الصدق ولو
كان فيه ما يسوءه لا يأسى على ما فات ولا يفرح بما يجيئه وكان نقش
خاتمه راستى رستى يعنى صدقت نجوت ويسم دوابه وسرة سكته
على الدرهم والدينار ثلاث حلق هكذا لا يجرى غالبا فى مجلسه شئ
من الكلام الفاحش ولا سفك دم ولا من سبى ونهب وغارة
وهتك حرم مقداما شجاعا مهابا مطاعا يحب الشجعان والابطال
ويستفتح بهم اقفال الاهوال ويستفرس بهم اسود الرجال ويبتهدم
بصدماتهم قلل الجبال ذا افكار مصيبة وفراسات عجيبة وسعد
فايق وجد موافق وعزم بالثبات ناطق ولدى الخطوب صادق
قلت فكم قدحت اراه زند فتنة، حمته لدى البأساء ورت قبايلا
مجلجادرا كالليحه مرتاضا متيقظا للرزه لا يخفى عليه تلبيس ملبس
ولا يتمشى عليه تدليس مدلس يفرق بين المحق والمبطل بفراسته
ويدرك الناصح والغاش بدربه درايته يكاد يهدى بافكاره النجم
الثاقب ويستبتع بآرائه فراسته سهم كل كوكب صايب قلت
يشاهد اعقاب الامور بعقله كما شاهد المحسوس بالعين ناظره
اذا امر بامر او اشار بشئ لا يرد عنه ولا يثنى عنان عزيمته عن شئ
منه ليلا ينسب الى قلة الثبات وركاكة الرأى والحركات قلت
اذا قال قولا او اشار اشارة، ترى امره فى ذاك كالنص قاطعا
وكان يقال له فى القابه صاحب قران الاقاليم السبعه وقهرمان
الماء والطين وقاهر الملوك والسلاطين يحكى ان قاضى القضاة
ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المالكى قاضى القضاة بمصر كان
صاحب التاريخ العجيب والسالك فيه الاسلوب الغريب على ما ذكر
لى من رآه واطلع على لفظه ومعناه من الاذكياء المهرة والادباء
البررة مع اتى لم اره وكان قد قدم الشام مع عساكر الاسلام وحين
ولت العساكر الادبار انشبته فى مخالب تيمور الاقدار قال له

فى بعض مجالسه وقد انس بتوانسه بالله يا مولانا الامير ارنا ولنى
يدك التى هى مفتاح فتوح الدنيا حتى اتشرف بتقبيلها وقال له
ايضا لما اراد ان يستصحبه معه وقد سرد عليه شيأ من تواريخ
ملوك الغرب وكان تيمور مغرما باقراء التواريخ واسماعها فاعجبه
ذلك غاية الاعجاب ورغب منه فى الاستصحاب يا مولانا الامير
مصر خوجت عن ان يتولى فيها نائب غيرك او ان يجرى فيها غير امرك
ولى فيك عوض عن طريفى وتلادى ووطنى وبلادى واصحابى
واخدانى واقاربى وخلانى وملوك الناس وعن كل ظهر ورأس
بل وعن كل الورى اذ كل الصيد فى جوف الفرا وما اتأسف ولا
اتلهف الا على ما مضى من عمرى وانقضى من عصرى كيف تقضى
ذلك فى غير خدمتك ولم تكحل عينى بنور طلعتك ولكن القضاء
جاز وسا ستبدل الحقيقة بالمجاز وما او لانى ان اكر على لسانى
قوله جزاك الله عن ذا السعى خيرا، ولكن جئت فى الزمن الاخير
فلا استأنف فى ذراك عمرا ثانيا ولا عدت الزمان بابعادى عن
عدوتك عاديا ولا تداركت ما مضى من عمرى بصرف ما بقى من
فى خدمتك والتشبث بعزك ولا حسبت ذلك اعز اوقاتى
واعلى مقاماتى واشرف حالاتى ولكن ما يقصم ظهرى الا كتبى
التى افنيت فيها عمرى وصرفت جواهر علومى فى تصنيفها واظمات
نهارى واسهرت ليلى فى توصيفها وذكرت فيها تاريخ الدنيا من
بدئها وسير الملوك شرقيها وغربيها ولقد جعلتك واسطة
عقدهم وخلاصة نقدهم وطرزت بسيرك خلع دهرهم وصيرت
دولتك هلال جبين عصرهم اذا نت ابو المفاخر والبازغ بدر
نصره من شرق الغرب فى دياجير الملاحم والمكاشف به على لسان
كل ولى والمشار اليه فى الزوايج والجفر المنسوب تعالى الى امير المومنين على
والملك المنتظر فى آخر الزمان والسلطان الذى هو صاحب القران

وهى فى القاهرة فلو حصلت عليها ما فارقت ركابك ولا قابلت
اعتابك والحمد لله الذى رزقنى من يعرف قيمتى ويحرز خدمتى
ولا يضيع حرمتى مع كلام فصيح صادع بديع بليغ خالب خادع فاهتز
فرحا اعطافه وتراقصت مرحا اطرافه واعجب بذلك واغراه ميله
الى كتب التواريخ والسير واستهواه حبه معرفة احوال الملوك
الذى ذكر حتى شدّه عما خلبه بسحر هذا البيان البديع وسلبه ثم انه
استوصفه بلاد الغرب ومماليكها واستوضحه اوضاعها ومسالكها
وقراها ودروبها وقبايلها وشعوبها كما هو دأبه وشانه والقصد
فى ذلك امتحانه لانه لم يكن محتاجا لذلك اذ فى خزاين تصوره صور
جميع الممالك وانما اراد بذلك معرفة مقدار علمه وكيفية ابدآء نصحه له
وكتمه فاملى كل ذلك من طرف لسانه كانه يشاهده وهو جالس فى مكانه
وشرح تلك الامور كما فى طريمور ثم قال له كيف ذكرتنى وبحت بسرك
مع الملوك الاكابر ولم ننل فى النسب تلك المفاخر وما نحن من
يعاسيب النحل فانى عبيتنا مع الفحل فقال افعالكما البديعة اوصلتكما
الى تلك المنزلة الرفيعة فاعجبه هذا الكلام وقال لجماعته اقتدوا به
فانه امام ثم اخذ تيمور يخبر القاضى بما وقع فى بلاده وما جرى بين
ملوك الغرب واجناده ولا زال يذكر له اخبار الناس حتى سرد عليه
اخبار متعلقيه واولاده وحتى تحير القاضى من املائه وقال ان
الشيطان ليوحى الى اوليائه ثم ان تيمور عاهد القاضى ان يتوجه
الى القاهرة ويأخذ اهله واولاده وكتبه الزاهرة ولا يلبث اكثر
من مسافة الطريق ويرجع اليه بامل فسيح وعهد نبيل الامانى
وثيق فتجهز الى صفد واستراح من ذلك النكد فصل وكان
تيمور محبا للعلماء مقربا للسادات والشرفا يعز العلماء والفضلاء اعزازا
تاما ويقدمهم على كل احد تقديما عاما وينزل كلا منهم منزلته و
يعرف له اكرامه وحرمته وينبسط اليهم انبساطا ممزوجا بهيبة

ويبحث معهم بحثا مندرجا فيه الانصاف والحشمة لطفه مندرج
فى قهره وعنفه مندمج فى برّه قلت
مرّ المذاق على اعدايه يشفع حلوا لفكاهة للاصحاب كالعسل
مغرما بارباب الصناعات والحرف اى صناعة كانت اذا كان لها
خطر وشرف يبغض بطبعه المضحكين والشعرا ويقرب المنجمين
والاطبا ويأخذ بقولهم ويصغى الى كلامهم ملازما للعب بالشطرنج
لكونه منقيا للفكر وكانت علت همته عن الشطرنج الصغير فكان
يلاعب بالشطرنج الكبير ودقعته عشرة فى احد عشر وفيه من
الزوايد جملان وزرافتان وطليعتان ودبابتان ووزير واشيا
غير هذه وسيأتى وضعه والشطرنج الصغير بالنسبة الى الكبير
كلا شئ مواظبا لاقرآء التواريخ وقصص الانبيآء عليهم الصلوة
والسلام وسير الملوك واخبار من مضى من الانام سفرا وحضرا
كل ذلك بالفارسى ومما تكررت قرآءتها عليه وطنت نعماتها على
اذنيه قبض زمام ذلك وملكه حتى صارت له ملكة بحيث ان
قارئ ذلك اذا اخبط ردده الى الصواب من الغلط وذلك لان
التكرار يفقه الحمار وكان اميا لا يقرأ شيئا ولا يكتب ولا يعرف
شيئا من العربية ويعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغولية
حسب لا غير وكان معتقدا للقواعد الجنكيزخانية وهى كفروع الفقه
من الملة الاسلامية وماشيا لها على الشريعة المحمدية وكذلك
كل الجغتاى واهل الدشت والخطا وتركستان واولئك العظام
يمشون قواعد جنكيزخان [illegible] على قواعد الاسلام ومن
هذه الجهة افتى كل من مولانا وشيخنا علاء الدين حافظ الدين
محمد البزازى رحمه الله ومولانا وسيدنا وشيخنا علاء الدين
محمد البخارى ابقاه الله وغيرهما من العلماء رحمه الله الاعلام
وائمة الاسلام بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانية
على الشريعة الاسلامية ومن جرات انفرادها وقال انها وضع
ابطل الكفر والقواعد الجنكيزخانية وضع

وامران تجرى سياستهم على جداول الشريعة الاسلامية وما اظن
لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة الصريحة والاعتقادات
الصحيحة ولو اتفق انه يجمع مرازبه وموابذه فى دسكره ويغلق ابوابها
ويطلع عليهم من منظره ويفتح عليهم شيأ من هذا الباب لحاصواحيصة لحاصواحيصة
الحمر الى الابواب فصل وكان فريد الطور بعيد الغور لايدرك لبحر
تفكيره قعر ولايسلك فى طور تدبيره سهل ولا وعر قد اقعد فى ممالكه
نواميسه واقام فى سايرالممالك جواسيسه وهم مابين اميركاطلاميش
احد اعوانه وفقيه فقير كمسعود الكجانى عين اصحاب ديوانه وكان
ذلك فى القاهرة المعزية وهذا بدمشق احد الصوفية بالسميصاتية
ومابين متسبب وتاجر ومصارع شرير وبهلوان فاجر ومكدى
صنايعى ومنجم وطبايعى وقلندرى قوال وحيدرى جوال وبجرى
سباح وبرى سياح وسقاء ظريف وحداء لطيف وسعلاة دلالة
وشيخة محتالة كدلة المحتالة ومن مرت به التجارب وضرب اكباد
الابل مشارق ومغارب وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال
منزلة الكمال والف بلطيف ختله ودهاه بين الماء والنار والهدى
والضلال وجاوز فى الحيل والكيد ساسان وابازيد والرم فى حكمته
وجدله ابن سينا واسكت فى منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا
فجمع بين المتنافيين والف بين المتعاديين قلت شعر

فاق من قاد للعدى كل جيش ... بكلام تنى البعيد قريبا
مزج النقل فى القياد بعقل ... فهدى عاشقا واهدى حبيبا

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف واخبارهم ويكتبون اليه ماقد موا
واثارهم ويذكرون اوزانهم واسعارهم ويصفون منازلهم وامصارهم
ويصورون سهولهم واوعارهم ويخطون بيوتهم وديارهم ويتبينون
مدى ذلك بعدا وقربا وما فى ذلك ضيقا ورحبا وجهات واقطارا
شرقا وغربا واسامى الامصار والقرى والقاب المنازل والذرى

واهل

واهل كل مكان ورؤساءه وامراءه وكبراءه وفضلاءه وشرفاءه
واغنياءه وفقراءه واسم كل ولقبه وشهرته ونسبه وحرفته و
سببه فكان يطالع بفكره ذلك ويتصرف بتفكيره فى سايرالممالك
فكان اذا حل ببلد واجتمع به من اعيانها احد شرع يسأله عن فلان
وفلان وماجرى لفلان فى الوقت الفلانى مما ازانه من امر وشان
والام آلت تلك الواقعة وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما
من المنازعة فيبهت ذلك الرجل ناظرا ويظن ان تيمور كان
فى تلك الحالة حاضرا وكان كثيرا مايطرح عليهم من اغاليط المسايل
ويحكى صور مباحثات جرت لهم ورسايل فيتصورون ان له فى العلم
قدمة اوكان منه للعلماء خدمة ولذلك تصور بعض الناس ان ذلك
الوسواس الخناس كان مقيما بالسلاوية وبعض بالغ حتى قال انه
راه فى فقراء السميصاتية فصل ومما يحكى من فراسته انه لما نزل
على سيواس وقد حصنها منه اولو النجدة والباس قال لعسكره
اعملوا الحيلة انا فاتحوها هذه فى ثمان عشرة ليلة فكان كذلك فلاشك
ان ذلك الاعرج كان ملهما اومستدرج وكان ذا مغالطات وحركات
لها مغاورات اذا دهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه
وربما يظهر الرغبة عن شئ وهو مريد حصوله ومشتهيه وقد مر
نظاير هذا كله فمن مغالطاته انه اذا كان له فى مكان دوم اواراد
ان ينزل بساحة قوم وقصد الاخفاء والتعمية وطلب الايهام و
التورية وبحر عسكره لايخلو من تمساح متجسس اوسرطان متحسس
ولو لم يكن لاحد فى عسكره عين فان بزوغ العين لايخفى على ذى عين
فانه يجمع اركان دولته واعيان مملكته وذوى آرائه ومشورته بحيث
انه لايتخلف منهم احد ولايجزى مولود عن والد ولاوالد عن ولد
ثم يظهر لهم خفية اموره ويطلب منهم المشورة فى جهة مسيره و
يطلق لهم عنان الكلام ويقول لاتثريب على من خاض فى ذلك

من خاص الانام ناظر فى اعقاب الامور مابين يوم وعام فليتكلم كل منكم
ولاحرج فسواء هوى الى حضيض الخطا او الى اوج الصواب عرج فان
اخطأ فلا نقصان وان اصاب فله اجران فيبذل كل جهده ويعانى فى
ذلك وكده ويبدى فى ذلك ما ادّى اليه اجتهاده وتصوّر
انّ ذلك يوافقه مراده فتتفق الآرا على ناحية من الانحا ثم يفضّ ذلك
المجلس ويجتمع باخصائه ويجلس كسليمان شاه وقارى وسيف الدين
والله داد وشاه ملك وشيخ نور الدين ويمخضون القضية مخضا
غير ذلك ويبحثون فيها بحثا دقيق المسالك فيقع آخر الامر الاتفاق
على التوجّه الى بعض الآفاق ثم يدعو رايدهم وسايقهم فى ذلك و
قايدهم ويأمرهم بالتوجّه اليه ويتصدّون على ما عوّل فى ذلك عليه
وحين يقوّض الظلام خيامه وينشر رايد الصبح اعلامه ويضرب
الكوس للرحيل ويأخذ الناس فى التحميل ويتوجّه النّاس الى
الجهة التى امرهم بالمسير اليها ووقع الاتفاق عليها دعاها شيته
بعد ما حملوا واخذوا فى المسرى وامرهم ان يمتازوا ويرحلوا الى
جهة اخرى لريكن ابداها لاحد من الجماعة الا فى تلك الساعة
ولولا الضرورة لما افشاها ولا اعاد سريرتها لاحد ولا ابداها
فيضرب النّاس ضربا ويضرب ضربا ويأخذ العساكر شرقا ويأخذ
غربا فتضطرب تلك الاطواد وتختبط وتنفرط عقود نظامهم
فلا تكاد تنضبط وتنحلّ قوايم مواشيها عن المسير وترتبط و
تموج بعض الناس فى بعض وينعكسون سمآ فى ارض وطولا فى
عرض ويتولّه كلّ احد ويتدلّه ولا يدرى الى اين يتوجّه فان كان
فى عسكره ربيئة او من يراقب ذهابه ومجيئه فبمجرّد ما راى تحيلهم
وشاهد تحويلهم ورحيلهم طار الى مخدومه واظهر له ما فى
معلومه من توجّه العساكر الى الجهة التى اتفقوا عليها وانه شاهدهم
بعينه وقد توجّهوا اليها فياخذ حذره اهل ذلك الجانب وتطمئنّ

سايرالجوانب من النوايب فلم يشعر الا وقد در على الجانب الذى
قصده وحطمه ونبذه من نار العذاب الموقدة فى السعير والحطمة
وكم كان له من دهاء وفكر خفى وذكا ومن جملة ذلك انه لما كان
بالشام وقد قابلته عساكر الاسلام اشاع انّ سوار اساورته
تخلخل وتأخر قليلا الى وراء وتحلحل واذاع انه اعوز خيله و
رجله الزاد وانه صايب صوب بغداد ثم اسفرت القضيّة عن
انّ انهزمت العساكر المصريّة وكان قصده بذلك تشتيت جاشهم
واستقرار رؤسآئهم واوباشهم وان يكنّ كلّ منهم على ما ازم
فى بعض مكانه ولا ينهزم فيحيط بالكلّ كيده ويصير المجموع
صيده ومما يحكى من شدّة عزمه وثباته على ما يقصده وجزمه
وحلول نقمته ممّن يعارضه ويعاكسه فيما يرسم وينا قضه انه لما
توجّه بالجنود الى بلاد الهنود بلغ الى قلعة شاهقة اقراط الذرى
باذا ان مراميها عالقة ورجوم النجوم الصايبة تتعلّم الاصابة
من رشاقة سهامها الرّاشقة كان بهرام فى مهواه احد سوار طيرها
وكيوان فى مسراه خادم نواطيرها والشمس فى استوايها غرّة
جبينها وقطرات السحاب فى الانسكاب تترشح من قعر معينها
وشقّة الشفق الحمرآء على اذان مراميها وانوف ابدانها سرادق
وكريات نجوم القبّة الخضرآء لعيون مكاحلها وافواه مدافعها
طابات وبنادق فيها من الهنود طايفة ثابتة الجنان غير خايفة
جهّزت اهلها وما تخاف عليه الى الاماكن المحرزة وثبتت هى
فى تلك القلعة حافظة لها متحرّزة مع انها شرذمة قليلة وطآئفة
ذليلة لا خير عندهم ولا مير ولا فايدة سوى الضرّ والضير ولا
للقتال عليها سبيل ولا حوالها لاحد مبيت ولا مقيل بل هى
مطلّة على المقاتلة مستمكنة من المقاتلة فابى ان يجاوزها
دون ان يناحرها بالحصار ويناجزها فجعلت المقاتلة تناوشها

من بعيد ويصب كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد
كما يريد فكان كل يوم يقتل من عسكره ما لا يحصى والقلعة تزداد
بذلك اباء واستعصاء وهو يأبى الرحيل عنها الا ان يصل الى غرضه
منها ففى بعض ايام المحاصرة مطروا وبواسطة المطر انحصروا
وصار يحتم على القتال وركب لينظر ما ذا يصنعون فى تلك الحال
فلم يرتض افعالهم لما عكست اوحالهم احوالهم فدعا منهم رؤس
الامر وزعماء العسكر والكبر واخذ يمزق اديم عصمتهم بشفار
شتمه ويشقق ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه ونفخ الشيطان
فى خيشومه والهب فيه نيران غضبه وشومه وقال يا لئام و
اكلة الكرام تتقلبون فى نعمائى وتتوانون عن اعدائى جعل الله نعمتى
عليكم وبالا والبسكم بكفرانها خيبة ونكالا يا خزى الذمم
وكافرى النعم وساقطى الهمم ومستوجبى النقم الم تطؤا اعناق
الملوك باقدام اقدامى وتطيروا الى آفاق الدنيا باجنحة احسانى
واكرامى وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتى وتسرحوا فى
متنزهات الاقاليم سوائم تحكمكم بترعية دولتى بى ملكتم مشارق
الارض ومغاربها واذبتم جامدها واجمدتم ذائبها شعر

الرأى نار ايصطليها عدوكم وحرز المآثم من ورائيا
وباسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكم بشماليا

ولا زال يهمهم ويغمغم ويهذرم ويبرطم وهم مطرقون لا يحيرون
جوابا ولا يملكون منه خطابا ثم ازداد حنقا وكاد يموت خنقا
فاخترط السيف بيده اليسرى وهمز به على قيم اولئك الاسرى
وهم ان يجعل رقابهم قرابه ويسقى من دمائهم نمل فرنده وذبابه
وهم على تلك الحال فى الحزى والاذلال باذلوا انفوسهم ناكسوا رؤسهم
ثم تراجع وتماسك وملك نفسه قليلا وتمالك فاغمد عن
تشريقهم حسامه ولم يلق لامره قبلة ولا دبرة فغلف غربه

فغلق

وشامه

وشامه ثم نزل عن مركبه واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به وكان
عنده شخص يدعى محمد قاوجين هو لديه ذو مكان مكين ومقام
امين مقدم على كل الوزراء مبجل دون سائر الامراء مسموع القول
مقبول الرأى ميمون النقيبة محبوب الشكل فتشفعوا اليه وعولوا
فى حل هذه الاشكال عليه وقالوا ساعدنا ولو بلفظة وراقبنا ولو
بلحظة واعمل معنا بهذا المعنى قلت

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرا فالجود بالجاه فوق الجود بالمال

وبما قال واهون ما يعطى الصديق صديقه من الهين الميسور ان يتكلما
وبما قيل وان امرأ قد ضن عنى بمنطق يسد به من خلتى لضنين
فاجابهم واللزم ان يرده عما ألزم به وازم وراقب مجال المقال وراعى
فرص المجال واخذت افكار تيمور تفود فى امور القلعة وتغود و
يستضوى اضوائهم ويستورى آراءهم ولا يسع كلا منهم الا القبول
لما يستصوبه رأيه ويقول ففى بعض الاحايين اتفق ان قال محمد
قاوجين وقد زل به القضا واحاطت به نوازل البلا اطال الله
بقاء مولانا الامير وفتح بمفاتيح رأيه ودرايته حصن كل امر عسير
هب انا فتحنا هذه القلعة بعد ان اصيب منا جانب من اهل النجدة
والمنعة هل يفى هذا بذا او يوازن هذا النفع بهذا الاذى فما
احتفل بخطابه ولا اشتغل بجوابه بل استدعا شخصا من المرقدانية
قبيح المنظر الا انه فى حالة زرية يدعى هرامك ذا عرف سهك
ووجه بالسواد سدك اوسخ من فى المطبخ واسخ من فى المسلخ
لعاب الكلب طهور عند عرقه وعصارة القير حليب بالنسبة الى
رقه فعند ما حضر لديه ووقع نظره عليه امر بثياب محمد قاوجين
فنزعت وبخلقان هرامك فخلعت ثم البس كلا ثياب صاحبه
وشد وسطه بحياصته ودعا واوين محمد ومباشريه
وضابطى ناطقه وصامته وكاتبيه ثم نظر ماله من ناطق

وصامت ونام وجامد وملك وعقار واهل ودیار وحشم وخدم
من عرب وعجم واوقاف واقطاع وبساتین وضیاع وخیل وجمال
واحمال وانقال حتی ذوجاته وسراریه وعبیده وجواریه فانعم
بذلك علی ذلك الوسخ وامسی نهار وجود محمد قاوجین وهو من تلك
النعمة منسلخ ثم قال تیمور اقسم بالله وآیاته وكلماته وصفاته وارضه
وسماواته وكل نبی ومعجزاته وولی وكراماته وبراس نفسه وذاته
لئن اكل محمد قاوجین احد او شاربه او ماشاه او صاحبه او صادقه
او صافاه او اوی الیه او آواه او راجعنی فی امره او شفع عندی
فیه واشتغل بعذره لاجعلنه مثله ولاصیرنه مثله ثم طرده و
اخرجه وقد سلبه نعمته واخرجه فصار مسلوب النعم قد حلت به
نوائب النقم وسحبوه بالوبق ورای نعمته علی اقل الخلق واتصل
خبره بالخلق وقطع منه الحلق ففلقت حبة قلبه ای فلق واستمر
علی ذلك فی عیش مر وعمر حالك وحاشی ان تشبه قصته قضیة
كعب ابن مالك فكان یستحلی مرارة الموت ویستبطئ اشارة الفوت
وكل لحظة من هذا الحیف كانت اشد علیه من الف ضربة بالسیف
فلما مات تیمور احیاه ورد علیه خلیل سلطان ماسلبه جده ایاه
فصل وكان من ابهته وعظمته وشدة شكیمته وعتوه وحرمته
ان ملوك الاطراف وسلاطین الاكناف مع استقلالهم بالخطبة
واستبدادهم بالسكة وانفرادهم بالزعامة والریاسة وقیامهم
بامور الایالة والسیاسة كالشیخ ابرهیم ملك شروان
وخواجه علی بن المؤید الطوسی سلطان ولایات خراسان و
اسفندیار الرومی وابن قرمان وملوك فارس وآذربیجان
وملوك الدشت والخطا وتركستان ومرازبة بلخشان ومراجیح
مازندران وعلی الجملة فالمطیع من ملوك ایران وتوران كانوا
اذا قدموا علیه وتقدموا بالهدایا والتقادم الیه یجلسون علی

اعتاب العبودیة والخدمة نحوا من مد البصر من سراد قانه
قایمین بشرایط الادب والحرمة فاذا اراد منهم واحدا ارسل
الیه من الفراشین او نحوهم قاصدا فیهیب ذلك القاصد و
هو یعدو كالبرید وینادی ذلك الواحد باسمه یا فلان من
مكان بعید فینهض فی الحال من مجتاه مجیبا بلبیك لبیك
دعواه ویعدو نحوه متعثرا فی اذیاله متلقیا ما برزت به
مراسیمه بقبوله واقباله مطرقا راس التذلل والخضوع ممتثلا
باذان الخنوع والخشوع مفتخرا علی اضرابه لكونه اهله ودعاه و
اعتنی به وقیل انه كان اناس من جماعته یلعبون بالنرد فاختلفوا
فرقتین واختلفوا فی نقش الكعبتین فقال احد اللاعبین وراس
الامیر تیمور كذا وكذا كان نقش الكعبتین فرفع یده خصمه و
لطمه وسبه ولعنه وشتمه كانه ذبح یحیی او زكریا نشر او كفر
بمحمد او قدم موسی علی البشر وقال یا ابن الفاعلة والفاسل
ابن الفاسلة بلغ من انتهاك الحرم ان تذكر الامیر تیمور بشفه
وفم واتی لك ان تجعل خدك موطئ مداسه فضلا عن ان
تحلف براسه انه لاجل من ان یتفوه مثلی ومثلك باسمه او یتلفظ
بشیء من حدوده ورسمه وانه لاعظم من كیخسرو وكیكاوس و
كیقباد الذین ملكوا المشارق والمغارب وافخم من بخت نصر
وشداد وقیل انه قصد فی بعض الاوقات الاصطیاد و
ارسل یمنة ویسرة علی العادة طوایف الجیش والاجناد ورسم
ان یخرج مشاة تلك الرقاع ورجالة هاتیك القری والبقاع
فیمتدوا فی الوهد والیفاع وحین تلتئم علی الوحوش حلقة الكید
ویصح ان یتنازع فعلا رمی واصمی كلا من عمرو وزید لایشیر
احد بضربة ولاطعنة ولارمیة الی صید بید انهم یردون
اوابد تلك البیداء الی بهرة ذلك البید فامتثل كل ما به امر

وحين صار كالبنيان المرصوص صفّ تلك الاحزاب والزمر
واحاطت صافّات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم بالقمر
ماجت بحار الوحوش فى ذلك البرّ ولم تجد لها من دردور تلك
السّيول الهامرة من مخرج ولا معبر فدارت ومارت وحارت
وخارت وثارت وبارت واستجارت بعد ماجارت واستكانت
بعد مازأرت وانطوت ارضها التى طالما عليها انتشرت وطرزت
خلع اعلامها باعلام واذا الوحوش حشرت فبينما هى على تلك
الحال فى اشدّ مايكون من الاهوال امر بان يضرب الطّبول من كلّ
الجهات وينفخ فى صور المزامير والبوقات فدقّ الكوس وزعق
النّفير وامتلأت الدّنيا من الشّهيق والزّفير ورجّت الارض
رجّا ومارت الاقطار هرجا ومرجا وحين سمعت السّباع صوت
الطّبول ورأت الوحوش هذا الامر المهول سقطت قواها و
تقطّعت كلاها وجثت وما انبعثت ثمّ تقاربت وتلاءمت و
تقارنت وتضامّت وتصوّرت انّ القيامة قد قامت فاخذ
بعضها بعنق بعض ونامت فعانق النّور منها اللبوة وضاجع
الاسد فيها الظّبية واختفى سرحان بين الغزلان واستجار الثّعلب
ببنات الاربد ولاذ الآروى بالنّعام والارنب بالعقاب
وعاذ الضبّ بالنّون واليربوع بالغراب فعند ذلك امر الاطفال
من اولاده واولاد الامراء واحفاده ان يرموا ويصموا ويفنوا
مهما ارادوا ولا يطنوا وجعل ينظر اليهم ويتفرّج عليهم ويزهزه
لافعالهم ويقهقه على احوالهم ويجرّئهم على الاقدام والنضال
ويشجّعهم بذلك على صيد الابطال وجعلت حواشى الجيش تجهز
ما اصموا وتجهز على ما انموا وصار ذلك المفسد يترنّم وينشد شعر
صيد الملوك ارانب وثعالب فاذا ركبت فصيدى الابطال
فصل وكان يحمل اليه البلخش من بلخشان والفيروزج من

نيسابور وكاذرون ومعادن خراسان والياقوت من الهند
والالماس منها ومن السّند واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا
والبشم والمسك وغيره من الخطا ومن سائر الاقطار خالص
الفضّة ومصفّى النّضار فصل واتشا فى سمرقند بساتين عدّة
وقصورا شوامخ مشيدة كلّ له ترتيب غريب ووضع انيق عجيب
احكم اساسها وطعّم باطيب الفواكه غراسها سمّى احدها بستان ادم
والآخر زينة الدّنيا والآخر جنّة الفردوس والآخر بستان
السّمك والاخر الجنّة العليا ثمّ انّه هدم مصرا وبنى فى كلّ بستان
منها قصرا وصوّر فى بعض هذه القصور مجالسه واشكال صورته
نادرة ضاحكة واخرى عابسة وهيآت مواقعاته وصوّر محاضراته
ومجالس صحبته مع الملوك والامراء والسّادات والعلماء والكبراء
ومثول السلاطين بين يديه ووفودها بالخدمات من سائر
الاقطار اليه وحلق مصايده وكمائن مكايده ووقايع الهنه
والدشت والعجم وصورة انتصاره وكيف انكسر عدوّه وانهزم
وصوّر اولاده واحفاده وامرآئه واجناده ومجالس عشرته
وكاسات خمرته وسقاة كاسه ومطربى اينا سه وتغزّلات
مقاماته ومقامات تغزّلاته وحظايا حضرته وخوانين عصمته
الى غير ذلك ممّا وقع له من صورة حادثة فى الممالك مدى عمره
المتقارب المتدارك كلّ ذلك كما وقع ووجد لم ينقص من
ذلك ولم يزد وقصد بذلك الافادة لمن كان فى عالم الغيب عن
احواله بالشّهادة فكان اذا توجّه الى مكان وخلت سمرقند
من الظّلمة واعوان الشّيطان تخلو تلك البساتين فيتوجّه
اليها اهل المدينة الاغنياء والمساكين فلا يوجد اعجب
متنزّها منها ولا احسن ولا اوفق مرتفقا ولا آمن واما
تمادها الطّيبة فانها مسبّلة بحيث انّه لا يباع منها قنطار

بخرد له وانشا فی ضواحی سمرقند ومعاملاتها قصبات سماهن
باسماء کبار البلدان والامهات کمصر ودمشق وبغداد وسلطانیه
وشیراز عرائس البلاد وانشا بستانا فی ضواحی سمرقند علی طریق
الکش وبنی به قصرا سماه تخت قراجا یحکی ان بعض مشیدی عمارته
ضاع له فرس مشتدی واستمرت ترعی فی البستان ستة اشهر حتی
لقوحها فصل نساءه الملکة الکبری وهی اقدم واکمل والملکة الصغری
وهی احسن واجمل وهما من بنات ملوک الخطا وتومان بنت الامیر
موسی امیر نخشب المار ذکره فی اول الکتاب وجلبان کانت کالبدر
عند الکمال وکالشمس قبل الزوال قتلها فی حیوته لشیء بلغه عنها
وکان غیر واقع وانما فعل ذلک معها لانه قیل ان صدقا وان کذبا
واظنها کانت من الخطایا واما السراری والخطایا فاکثر من ان
یحصین فالملکتان المذکورتان سمتهما شاد ملک خوفا منهما علی
خلیلها وتومان ارسلها خلیل سلطان الی شیخ نور الدین بسغناق
کما مر وبعده جاءت الی سمرقند وسمعت انها عرست فی یومنا هذا
اعنی سنة اربعین وثمانمایة علی الحج فالله تعالی اعلم فصل اولاده
لصلبه المتخلفون من بعده امیر انشاه قتله قرا یوسف کما ذکر
وشاه رخ وهو المتملک فی یومنا هذا وبنت تدعی سلطان بخت
زوج سلیمان شاه کانت مترجلة لا تحب الرجال وذلک لما افسدها
النساء البغادیات لما قدمن سمرقند ولها تواریخ سوء احفاده
غالبهم انقرض الا اولاد شاه رخ وامثلهم اولوغ بیک حاکم سمرقند
وابراهیم سلطان حاکم شیراز وبای سنقر حاکم کرمان ماتا کلاهما
فی سنة ثمان وثلاثین وثمان مائة وجوکی وهو الذی مشی علی
اسکندر بن قرا یوسف وشتت شمله بعد موت قرا یلوک وذلک
فی شهور سنة تسع وثلاثین وثمان مائة ثم مات فی اواخرها
اخبرنی الشیخ علاء الدین البخاری تغمده الله برضوانه ان تیمور

مات

مات عن الطبقة الثالثة من الامراء والوزراء الذین انشاهم
فصل امرآؤه ووزراءه لا یحصون واشهرهم من ذکر فی هذا
الکتاب دواوینه الخواجه محمود بن الشهاب الهروی ومسعود
السمنانی ومحمد الساغرجی وتاج الدین السلمانی وعلاء الدولة
واحمد الطوسی وغیرهم منشئ دیوانه وهو عبارة عن کاتب السر
مولانا شمس الدین قاضی زمانه وفاضل اوانه فارسیا وعربیا
یصرف اخبار الانشا کیف شاء کان قلمه فی فتح اقالیمه انفذ من
سنان مخدومه ولما مات یتمور احتجب وطوی بساط الادب
فقیل له ضحکت البشرة الابتاشر وصفت العشرة فهلا تعاشر
فقال ذهب الذی کان یعرف قیمتی فانا لا اذهب فی خدمة الاحداث
حرمتی امامه عبد الجبار بن النعمان المعتزلی صدور مملکته
مولانا قطب الدین والخواجا عبد الملک وابن عمه الخواجا عبد
الاول وغیرهم قاری قصصه وتواریخه مولانا عبید الطباوه
فضل الله وجمال الدین رئیس الطب بالشام کان وغیرهما وکان
دائما یستعمل معاجین الاجباره وفی سنة ذلک یجتنی باکورة
الابکار منجموه لا یحضرنی اسماءهم فصل حصل فی ایام استیلائه
بسمرقند من الفقراء مولانا عبد الملک وهو من اولاد صاحب
الهدایة کان یلقی الدرس ویعلم الشطرنج والنرد وینظم الشعر
فی حالة واحدة ونعمان الدین الخوارزمی ابو عبد الجبار المذکور
کان یقال له النعمان الثانی وکان اعمی والخواجا عبد الاول
ابن عم مولانا عبد الملک انتهت الیه الریاسة فی ماوراء النهر
بعد ابن عمه ومولانا عصام الدین بن عبد الملک انتهت الیه
الریاسة فی یومنا هذا بعد ابن عمه عبد الاول ومن المحققین
مولانا سعد الدین التفتازانی توفی فی المحرم سنه احدی و
تسعین وسبعمائة بسمرقند والسید الشریف محمد الجرجانی توفی

بشیراز ومن المحدثین الشیخ شمس الدین محمد بن الجزری کان اخذه
من الروم وکان قد هرب الیها من مصر بعد توجهه من مصر
او بلاد الشام قبل الفتنة توفی بشیراز والخواجا الکبیر المفسر الحافظ
المحدث محمد الزاهد البخاری فسر القران الکریم فی مایة مجلدة توفی
بمدینة النبی صلی الله علیه وسلم سنة اثنین وعشرین وثمانمائة
ومن القرا هما ومولانا فخر الدین ومن حفاظ القرآن المجودین
قراءة وصوتا عبد اللطیف الدامغانی ومولانا اسد والشریف الحافظ
الحسینی ومحمود المحرق الخوارزمی وجمال الدین احمد الخوارزمی
وعبد القادر المراغی الاستاد فی علم الادوار ومن الوعاظ
والمتکلمین مولانا احمد بن شمس الائمة السرائی کان یقال له ملک
الکلام عربیا وفارسیا وترکیا وکان اعجوبة الزمان ومولانا احمد
الترمذی ومولانا منصور القاغانی ومن الکتاب المجودین السید
الخطاط ابن نبدکیر وعبد القادر المذکور وتاج الدین السلمانی
وغیرهم ومن المنجمین اناس برعوا الا اعراف اسمائهم غیر مولانا احمد
الطبیب النحاس المستخرج قال لی استخرجت من زایجة الطالع الی
مائتی سنة وکان هذا الکلام فی سنة ثمان وثمان مائة ومن
الصواغین الحاج علی الشیرازی والحاج محمد الحافظ الشیرازی
وغیرهما ومن الحکاکین طائفة جمة وامثلهم النون وکان ایة فی
فنه ینقش الفصوص ویحفر الیشم والعقیق بخط احسن من یاقوت
ومن الشطرنجیین محمد بن عقیل الخیمی وزین الیزدی وغیرهما و
علامة ذلک علاء الدین التبریزی الفقیه المحدث کان یحط
لزین الیزدی بیدقا ویغلبه ولابن عقیل فرسا ویرکبه ولقد داخ
تیمور الاقالیم شرقا وغربا وقمر فی دست مصافاته کل سلطان فکل شاة
مات عنده جدا ولعبا وکان یقول له انت فی ملک الشطرنج فرید کما
انا فی سیاسة الملک وحید وکل منی ومن مولانا علی شیخ فی فنه ذو

کرامات لم یوجد له ندید ولی وله فی لعب الشطرنج وعلم مناصبه
شرح وماکان احد یقدر ان ینتج ولا دفکره فی لعبه معه من غیر
طرح وکان فقیها شافعیا محدثا اریحیا حسن البهجة صادق
اللهجة حکی لی انه رای امیر المؤمنین علیا کرم الله وجهه فی
المنام وانه ناوله الشطرنج فی کیس فلم یغلبه بعد ذلک احد من
الانام ومن اوصافه فی لعبه انه کان لا یتفکر ویجرد ما یلعب
خصمه بعد التفکر والتامل الطویل ینقل من غیر ان یتدبر وکان یلعب
علی الغایب مع خصمین ویعلم مع الطرح لمن هو فی جهته علی الجهتین
وکان یلعب هو والامیر بالشطرنج الکبیر ورایت عنده
شطرنجا مدورا وشطرنجا طویلا والشطرنج الکبیر
فیه من الزواید ما مر ذکره وهذه صورته

رخ										
فیل										
الرخ سدف	الفرس سدف	الدبابه سدف	الطلیعه سدف		الرافه سدف		الفیل سدف	الجمل سدف	الوزیر سدف	البیدق سدف
رخ	فرس	دبابه	طلیعه	زرافه	زرافه	الشاه سدف	زرافه	طلیعه	دبابه	فرس
فیل		جمل		فردین	وزیر	شاه			جمل	فیل

وطريقة تعلّمه بالفعل اقوى وليس فى شرحه بالقول كثير جدوى
ومن المطوبين عبد القادر المراغى المذكور وولده صفى الدين
وختنه نسرين وقطب المواصلى واردشير الجنكى وغيرهم
ومن النقاشين كثير واعلاهم عبد الحى البغدادى ومن البحرية
شهاب الدين احمد الزردكاش ومن نقاشى الزجاج والنحاس و
غيرهم ما لا يحصى وهاؤلاء كل منهم كان علامة دهره واعجوبه
عصره ولو رصعت حلى الالفاظ بجواهر اوصاف هؤلاء الاعيان
لملأت الاكوان من فرايد الجمان وقلايد العقيان وهؤلاء من
حضرنى ذكره ممن اعرفه واما من لا اعرفه واعرفه ولا يحضرنى
ذكره فاكثر من ان يحصى واعز من ان يستقصى وحاصل الامر
ان تيمور كان جنى على كل حى وجبا الى سمرقند ثمرات كل شئ
فكان بها فى كل فن عجيب واسلوب من الصنايع غريب من هو
على جبين الفضل شامة وبرز على اقرانه فصار فى فنه علامة
فصل وكان فى سمرقند انسان يسمى الشيخ العريان فقير ادهمى
بشكل بهى وعزم سمى قيل ان عمره على ما هو فيهم شايع وبين
اكابرهم وكبارهم ذايع ثلاثمائة وخمسون سنة مع ان قامته
مستوية وهيئته حسنة كان المشايخ المعمرون والاكابر المعمرون
يقولون لقد كنا ونحن اطفال نرى هذا الرجل على هذه الحالة
وكذلك نروى عن آبائنا الاكرمين ومشايخنا الاقدمين
ناقلين ذلك كذلك عن اباآئهم والمعمرين من كبرائهم وكان
اطلس وله قوة ناهضة وحدة من رآه يتصور انه لم يبلغ
اشده لم يكن للكبر بوجهه تجعيد ولا اثر وكان الامرآء والكبرا
والاعيان والصلحا والفضلاء والرؤسا يترددون الى زاويته
ويتبركون بطلعته ويلتمسون بركة دعوته وفى سمرقند مسجد
يسمى مسجد الرباط يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط

والروح والنشاط قيل ان احد فعلته كان وليا يسمى الشيخ زكريا
وهو معتقد تلك البلاد ومزاره فى مكان مشهور على راس طود
من الاطواد قبره يستجاب عنده الدعاء وهو عن سمرقند نحو يوم
فى المداء وهو بالكرامات موصوف وفى كرخ هذه المقامات معروف
وهو فى ربوة ذات قرار فيه جنات تجرى من تحتها الانهار محفوف
باليمن والانس كانه اقتطع من حظيرة القدس يحكى انه لما كان
فاعلا فى ذلك البنيان وقع على جبهته نقطة من الطين فرأى
ذلك احد المباشرين واستمر ذلك الطين على هذه الحال نحو من
ثلث ليال فلما اراد واضع المحراب وقع الاختلاف فى الخطأ والصواب
وكثر فى ذلك الضجيج والاضطراب فقال الشيخ زكريا ضعوا المحراب
على هذه النقرة ولا تعدلوا عنها يمنة ولا يسرة فقال ذلك المباشر
لمن فى ذلك المكان حاضر يا للعجيبة والقضية الغريبة رجل لم
يغسل وجهه ثلثة ايام يرشد الناس الى معالم الاسلام فقال
ذلك العابد الزاهد او رجل هو من لم يتم ثلاثة ايام بوضوء واحد
ولكن تعال ايها الجاحد قف مكانك وثبت جنانك ولا تكن ممن
انكر وتولى وانظر الى عروس الكعبة وهى تجلى فنظر ذلك الذى
انكر فاذا الكعبة المعظمة امامه تتخترع ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه
وطلبوه ارضا وسماء فلم يجدوه وهذا المسجد فيه شئ عجب عدة
اسطوانات من خشب من جملتها سادية شجت ارتفاعا نحو من
خمسة عشر ذراعا وغلظ جسمها وبدنها فلا يقدر الرجل يحتضنها
وباقى السوارى بها قد حطن قيل انها شجرة قطن ولها خاصية
عجيبة طريفة غريبة من كان به وجع الضرس يضع عليه مقدار
حبة من خشب ذلك البرس فيسكن فى الحال وجعه جربته فصح
ويسأل من يدعى رؤية سمرقند عما رأى فيها من العجايب وشاهد
من علامات الطرف والغرايب فان اخبر برؤية هذه السادية

فائدة نفعه صح

الفائقة كانت رؤياه صادقة واعتد له بصدق هذا الكلام و
الا كانت رؤيته اضغاث احلام فصل سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع
يصان ولا يجرى على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان وانما معرفة
حساب ذلك عندهم بالميزان ورطل سمرقند اربعون اوقية كل
وقية بالمثاقيل مئة فيكون رطلهم اربعة الاف مثقال كل مثقال
درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال فعلى هذا رطلهم بالدمشقى
عشرة ارطال حكى لى مولانا محمود الحافظ المحرق الخوارزمى وسمى
بالمحرق لان سهام ترجيعاته كانت تصيب حبات الحشاشات اذ ترمى
ويفوق رنات اوتارها نحو اذان القلوب فتصمى طايرها ولا تنمى
فان صدعت من القلوب حجرا تطاير من اقتداحها فى الارواح شرار
فيحرق برناته الارواح ويشعل بنغماته الاشباح قال استصحبنى
تيمور فى بعض اسفاره فكنت ملازما خدمته فى ليله ونهاره فنزلت
عساكره على حصن لحصاره وضرب مخيمه على مكان عال ليشرف
منه على القتال ويتفرج فى صنع الرجال ففى بعض الزمان حضرت
عنده انا ورجلان وكان قد حصل له حمى اورثته كربا وغما وكانت
سماء النزال ذات حبك واحتباك ورماح القتال فى التواء و
اشتباك فاراد ان يطالع احوالهم ويشاهد افعالهم وافرطت
شهوته فى ذلك الى العيمة فقال احملونى الى باب الخيمة فدخل
ذلك الرجلان تحت ابطيه واوقفاه بباب الخيمة وانا بين يديه
فجعل يشاهد حربهم ويتميز طعنهم وضربهم ثم اراد ان يأمرهم بشئ
فقال لى يا محمود الى فاسرعت الى يده ودخلت تحت عضده
فارسل احد الرجلين الى عسكره يأمرهم بما عن له من عجزه وبجره
فكانه لم يبر عليلا ولم يرو غليلا فقال لناد عانى وعلى الارض
ضعانى فوضعناه فسقط كانه رمة بالية او لحمة على بادية
ثم ارسل ذلك الرجل الاخر اليهم وامرهم بما اقتضته اراؤه

واكد عليهم فبقيت انا وهو وحدنا لم يبق احد عندنا فقال لى يا
مولانا محمود انظر الى ضعف بنيتى وقلة حيلتى لا يدلى تقبض
ولا رجل لى تركض لو رمانى الناس هلكت ولو تركونى وحالى
ارتبكت لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا ولا اجلب خيرا ولا ادفع
شرا ثم تامل كيف سخر الله تعالى لى العباد ويسر لى فتح مغلقات
البلاد وملأ برعبى الخافقين واطار هيبتى فى المشرقين والمغربين
واذل لى الملوك الجبابرة واهان بين يدى الاكاسرة والقياصرة
وهل هذه الافعال الا افعاله وهذه الاعمال الا اعماله ومن هو انا
غير سطيح ذى فاقة لا باب لى فى الدخول الى هذه الافعال ولا طاقة
ثم بكى وابكانى حتى ملأت بالدموع اردانى فانظر الى هذا
الوبر كيف سلك بهذا القول مسلك القايلين بالخبر

وانشد وافيه بالفارسية بيتين وهما

نيم تنى ملك جهانرا كرفت ‌ چشم كشا قدرت يزدان ببين
پاى نه وتخت بزير قدم ‌ دست نه وملك بزير نكين

ترجمته فقلت دو بيت

قد اظهر قدرة بخافى حكمه ‌ من ملك شقا الدنيا فى قبضه
لا كف له والملك فى خاتمه ‌ لا رجل له والتخت موطى قدمه

فصل واما عساكره وطرايق سلوكهم فانهم على دين ملوكهم
كانوا قد استدرجوا من حيث لا يعلمون ورزقوا من حيث لا يحتسبون
مسخر لهم خفيات الدفاين مفتوحا عليهم خبيات الخزاين ميسرا
لهم مكامن المطالب والمعادن كل طرف منهم قد جال وسطا
وصار بطرق اللوم اهدى من القطا قد دربوا الامور
وجربوا احوال الدهور وقاسوا معاصر العصور وكابدوا المكاره
وعالجوا الشدايد ومارسوا الاشيا وذاقوا الناس والدنيا
وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه وادركوا مداركه ومعارجه

لايدهيهم داهية ولايطغيهم طاغية وربما يمرون بقفرا او
يجيزون بهمه صحرا شعر

لايفزع الادنب اهوالها ولاترى الضب بها بنجحر
فيقف بعضهم ثم تراه ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه ثم يقول
ليس هذا الثرى من هذا البرى ثم ينزل عن دابته ويأخذ من
ذلك التراب ويشمه ثم يلتفت الى جهاته الاربع فيقصد منها
جانبا ويؤمه ثم لايزال يسير بمن معه من الاعوان حتى يصلوا
الى مكان فيحفرونه ويخرجون كمين الدفان وما فى ذلك من
المخلفات والخزائن وكذلك اذا وصلوا الى عمائر او مروا على مقابر
يتوجهون الى النبش كانهم وضعوه بايديهم او اوحت شياطينهم
ذلك اليهم وربما يجيؤن الى مقام مر على ساكنيه فيه ايام ومضى
عليه فيه شهور واعوام وفيه شئ مطمور لم يكن لصاحبه
وساكنه به شعور فبمجرد دخولهم اليه يفتح ذلك عليهم ويطلعون
عليه وحين يطلع ساكنه على ذلك يأكل ندامة وحسرة يديه
وكان لهم درايات فى دهرهم عجيبة وسهام رايات فى عمرهم
مصيبة وكانوا يحملون البقر ويركبونها ويسرجون الحمر و
يلجمونها ويسابقون على ذلك اصحاب الخيل العراب الى قصبات
المغانم فيسبقونها ويطعمون الجمل لحم الكلب والحمل ويعتاضون
عن شعير الفرس بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس
وربما اعوزهم ذلك فى السفر فاطعموا وابهم لحا الشجر وحكى
لى القاضى برهان الدين ابرهيم بن القوشة الحنفى المذكور
رحمه الله تعالى ان قازان والتتار لما قدموا هذه الديار خرج
من له قوة الفرار فار من الشرور كما فعلوا فى قضية ثمود
ومن جملتهم تاجر بالصالحية كان فى عيشة رخية وله اموال
وافرة وفيه جمع ماله من صامت المال ووضعه فى قدرة فوان

ثم عمد الى بركة ماء فحفرها ووضع تلك القدرة تحتها وطمرها
ثم ردها الى مبانيها واعاد مياهها الى مجاريها وحين استتب
الوثوب وقدمت الدواب للركوب قالت له امرأته قد نسينا
قرطى واخاف ان يحدث عليهما فى الطريق شئ فانظر لهما مكانا
وحصل لنا بذلك امانا فقال امّا الامان فلا مكان ثم اخذهما
ووضعهما فى سقف سقيفة على خشبة لطيفة ثم ركبا وتركا
الديار وذهبا فلما حل بدمشق التتار نزل فرقة فى تلك الدار
فجعلوا يأكلون ويشربون وهم فى خوضهم يلعبون فبيناهم بعض
الايام فى النشاط قرض الفار احد تلك الاقراط فتدحرجت
لولوته وسقطت على البلاط فتبادرت الجماعة اليها جارية
كانهم يتسابقون الى قرطى مارية فسبقت الجماعة ودخلت
البلاعة فكشفوا عن وجه الارض سترخدرها فوجدوا الاموال
كما هى فى قدرها فاخذوها واللولوة واخرجوها وقصدوا باقى
القرطين واقتسموها وجماعة يتمور ايضا كذا كانت وكل معضلة
من القضايا اذا وصلت اليهم هانت وكل منهم كان على دين ملكه
فى فنه الى غايته عرج فان كنت محدثا عن احوالهم واخبارهم
فحدث عن البحر ولاحرج ويحكى ان واحدا منهم من اهل الدهاء
والكيد اراد فى فصل الشتاء التنزه فقصد الصيد فاخرج
مركوبه وهو بقرة فشد عليها سرجه وهو خشبة مكسرة
غرزه قضيب مدور وحزامه حبل مبتر ويتجمل بلباسه و
هو جلد فروة منهوش وبتاجه وهو طرطور من لبد منقوش
وشد كنانته وهى جلود ممزقة مشدودة بحبل وعليها خروق
ملزقة سهامها قد التوت وحنيتها قد استوت ومعه بازى
قد نتف القرناص ريشه وقلع عن حقل بدنه ذرع خوافيه و
حشيشه ثم ركب جواده وحمل بازيه وقصد اصطياده فرأى

جماعة من البط على ساحل غدير رحطٍ فرفع يده بالبازى ساعة حتى
عاين تلك الجماعة ثم وضع يده بخفض وارسل البازى على الارض
فصار يجول ويدا وقد اضمر للبط كيدا اذ لم يكن له قوة الطيران
ولا اجناح به يستعان فوصل الى الطير بسكون وهى آمن ما تكون لانها
لا تتوقع البلاء الا من جهة السما فدخل بينها فما نفرت عنه ولا هربت منه
فلم تشعر الا وقد وثب على واحدة وفلذها فادركه صاحبه واخذها
ولما ارتحلوا عن دمشق وقد مشقوا اوراق نفرها من اغصان
وجودها اى مشق كان مع بعضهم بقرة نهبها وحملها ما اخذه من
الاموال التى سلبها وادكبها اسيره وسار بها مدة يسيرة فبعد
سيرها يومين او ثلاثة قلقت ونادت بلسان حالها انها ما لهذا
خلقت فلما لم تجد مشكيا مما شكت توكلت على الله وبركت فانزلوا
الراكبة عنها وصاحوا عليها فلم تقم فحلوا احمالها وضربوها فلم تتحرك
فاوجعوها ضربا واشبعوها لعنا وسبا وتلك المباركة جاثمة باركة
فادموها وهم يضربونها الى ان كادوا يهلكونها فمن شاخطٍ بعقدتها
ومن جاذب بمؤخرها ومن متعلق بقرنها ومن منشبث باذنها وهى
جاثمة مشبهة فيل ابرهة فعجزوا عنها وايسوا منها فبينا هم على ذلك وقد
ضاقت عليهم المسالك واذا بشيخ كوسج كانه شجرة عوسج قد سلك
المشارق والمغارب ومرت به انواع التجارب وقاسى برد الامور وحرها
وذاق حلوها ومرها وعرف خيرها وشرها مر بهم وهم فى كربهم
فلما راهم اسارى عاجزين حيارى سكارى وما هم بسكارى قال
تنحوا عنها اى جنة ثم دنا منها دنو الراقى من ذى جنة واخذ كفا من
تراب الفم من عيش الشباب ثم قبض على قرنها وصبه فى اذنها ثم
هز رأسها فى مناخرها حتى وصل التراب الى صماخها فوثبت قائمة وهى
من ذلك الرغام راغمة وجعلت تنفض رأسها وزادت اضطرابها
وشماسها وطلبت المسير وكادت تطير فاعادوا عليها احمالها

وزادوا اثقالها فصارت تلك البليها تعدو ولا يقدر عليها
فصل وكان فى عسكره من الترك عبدة الاصنام وعباد النار
المجوس الاعجام وكهنة وسحرة وظلمة وكفرة فالمشركون يحملون
اصنامهم والكهان يسجعون كلامهم ويأكلون الميتة والدم
المسفوح ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح وناس حزاؤن
وزواجر خراصون ينظرون فى الواح الضأن ويحكمون بما يرون فيها
من احوال كل مكان وما حدث فى كل بقعة من الاقاليم السبعة من
الامان والخوف والعدل والحيف والرخص والغلاء والسقم والشفا
وساير ما يكون فلا يكادون يخطيون ولهم ايام وشهور واعوام
كل عام منسوب الى حيوان ويحسبون بها ما مضى من السنين فلا
يتأتى فيها زيادة ولا انقصان وفى الخطالهم خط يسمى دلوجين
رأيت حروفه احدا واربعين وسبب زيادته انهم يعدون
التفاخيم والامالات حروفا وكذلك البين بينات فتتولد الزوائد
وكل حرف زايد واى الجغتاى فلهم قلم يسمى اويغور وهو بالقلم المؤخر
مشهور وعدته اربعة عشر حرفا وهذه مقطعاته

ب	ف	ڤ	و	ه	ڤ
آ	با	قا	وا	سا	قا
د	ف	ڤ	ه	ر	ه
يا	كا	را	ما	نا	سا
ڤ	ع	و	ه	ح	ه
با	جا	را	شا	تا	لا
ه	ه	ڤ	ه	ڤ	ه
شا	ما	قا	تو	كا	رى

وهذه موصلاته

مسترت	صهرت
ابق	وسق
حسمر	مزت
يكد	منس
فلبوت	بهلاب
بجر	شتل
هسوسترت	صصوصو
وس شمق	نكد

وسبب نقصانه وانحصاره فى هذا العدد ان حروف الحلق يكتبونها على هيئة واحدة وكذلك تلفظهم بها ومثل هذا الحروف المتقاربة فى المخرج مثل الباء والفاء ومثل الزاء والسين والصاد ومثل التاء والدال والطاء وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم وفرامينهم ومناشيرهم ومكاتيبهم ودفاترهم ومخازينهم وتواريخهم واشعارهم وقصصهم واخبارهم وسجلاتهم واسفارهم وجميع مايتعلق بالامور الديوانيه والتورا الجنكيزخانيه والماهر فى هذا الخط لايبور بينهم لانه مفتاح الرزق عندهم فصل

وكما كان بينهم من جبل على الفظاظة والقسوة والغلاظة ومن هو قليل الرحمة بل وعديم الاسلام كفرة فجرة اوغاد اذلاء طغام اغتام قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا وستكبروا به فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا استجرهم كفرهم وجرهم اياه الى انه لو ادعى النبوة والالهية لصدقوه فى دعواه كل منهم يتقرب الى الله تعالى ببرة ينذر له اذا وقع فى شدة ويفى بنذره واستمر على اعتقاده الباطل وكفره مدة حيوته وبعد موته ينفل النذور ويقرب القربان الى قبره وكان ترقى معه فى

المصاحبة حتى وصل الى مقام المراقبة وقيل انه كان فرأى واحدا من العسكر كان الكرا عطف رقبته او السرى امال شقته او على حال لايتوجه عليه فيها لوم ولاعتب فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب فقال تيمور ترى ما تم احد قاطع يقطع راس هذا الفاعل الصانع ولم يزد على هذا الكلام فسمعه واحد من اولئك الكفرة اللئام واسمه دولت تيمور امير كبير مشهور قد البسه الله ثوب النقمة ولم يشمه شيئا من روايح الرحمة ففى الحال سل راسه من بين كتفيه وحمله الى تيمور ووضعه بين يديه فقال تيمور ويلك ماهذا الامر الافظع فقال هذا الراس الذى اشرت ان يقطع فاعجبته هذه العبارة وابتهج بان امره يمتثل بادنى اشارة وكان فيهم الظرفا والادبا والاذكيا والشعرا ومنهم فى الفضل اعلام وعلما وفيهم المحقق والباحث فى العلوم والمدقق ومن شارك فى كل العلوم ويبحث فيها بحثا شافيا من طريقى المنطوق والمفهوم ويقرر مذهب الصوفيه واحيا العلوم ومع هذا فبعضهم يمضى على مقتضى ماعلمه وكان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة وبعضهم كان مع رقة الحاشية والطافة الفاشية والعلم الوافى والظرف الشافى والجمال الفايق والكمال الشايق والكلام الرايق قلبه اقسى من الحجر وفعله انكى من ضرب الصارم الذكر يقولون من خير قول البرية ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية واذا وقع مسلم فى مخاليبهم او ابتلى غريب بتعذيبهم صنف ذلك العالم المحقق والحبر المدقق فى استخراج المال منه انواع العذاب واصناف العقاب واستحضر فى فنون تعذيبه كتبا ومسايل وسرد فى علوم تثريبه خطبا ورسايل فيصير ذلك المسكين يتكوى ويستغيث ويتلوى ويستجير بالله وآياته ويستشفع بكل ما فى ارضه وسمواته من ملك ونبى

وصديق وولى وذلك المليح يضحك ويتظارف ويتمايل ويتلاطف
وينشد لطايف الاشعار ويتمثل بطرايف النوادر والاخبار
وربما تحرق وبكى وتأوه لما يفعل بذلك من التعذيب وانتكى
وصار كبعض قضاة الاسلام المستولى على اموال الايتام يخطب
ويبكى وفعله فى قلوب المسلمين ينكى لما كانوا فى دمشق دخلوا الى
بيت واحد من الاعيان بزقاق العجم واذا هو مملو من النفايس
والخيرات والنعم شعر

قصر عليه تحية وسلام خلعت عليه جمالها الايام

فقبضوا على صاحب المنزل وربطوه وبانواع العذاب عذبوه
ثم احكموا رجليه شداً وعلقوه واستخرجوا النفايس واستجلوا
من حسانها العرايس واحضروا الذيذات المطاعم والمشارب
وقضوا من التفكه والتنعم مالهم من مآرب وجعلوا يأكلون
ويشربون ويلهون ويطربون واذا تحرك فى واحد منهم الخبث
او ثمل واخذه فى سكره العبث عمد الى ذلك المسكين وهو فى
شدة النكاد فسقاه الماء والملح وسقفه الكلس والرماد وكان
فيهم عالم متقشف عن تناول المسكرات متعفف كما قيل

عجبت من شيخى ومن زهده وذكره النار واهوالها
يكره ان يشرب من فضة ويسرق الفضة ان نالها

فكانوا اذا ادادوا القدح المزعفر احضروا له السكر المكرر
ووضعوله فى صينى الخوافق وصبوا عليه الماء الرايق ثم
يتوجه الى صاحب المنزل ويضحك عليه وهو فى اشد ما يكون
من العذاب ويسخر منه ويهزل ثم يتمايل على صوت المثانى
والمثالث ويتناول من تلك المآكل والمشارب ويقول بشر مال
البخيل بحادث او وارث وكان فى عسكره كثير من النسايل لجن
معامع الهيجاء ووقايع البأساء ويقاتلن اشد

فيسكرون هم بالاقداح القوادح ويسكروا ذلك الفاسق المحروم من الروايح صح

القتال ويصنعن ابلغ ما يصنع فحول الرجال فى المنزال من طعن
بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال واذا كانت احديهن
حاملا واخذها وهم سايرين الطلق تنحت عن الطريق واعتزلت عن
الخلق ونزلت عن دابتها ووضعت حملها ولفته وركبت دابتها واخذته
ولحقت اهلها وكان فى عسكره ناس ولداو فى السفر وبلغوا وتزوجوا
وجاءهم الاولاد ولم يسكن الحضر وكان فى عسكره ناس صلحا عباد
ورعون زهاد اجواد امجاد لهم فى الخيرات اوراد وفى وردها
اصدار وايراد دأبهم خلاص مأسور واجبر مكسور واطفاء
حريق وانقاذ غريق واصطناع معروف واغاثة ملهوف مهما
امكنهم ووصلت اليه يدهم اما بقوة وايد واما بنوع خديعة
وكيد واما باستيهاب واستشفاع او تعويض وابتياع وكانوا
سايرين معه بالاضطرار وايرين معه لهذه المعانى بالاختيار
حكى لى مولانا جمال الدين احمد الخوارزمى احد القراء المشهورين
المجودين المجودين وكان امام محمد سلطان فى حيوته وامام مدرسته
بعد وفاته ثم خطيب برو ساوبها ادركته المنية قال لى
سنة احد وثلاثين وثمان مية كنت فى سمرقند فى مدرسة محمد
سلطان اعلم مما ليكه واولاد الامراء القرآن فارسل اليه جدة
الظلوم وهو متوجه الى بلاد الروم ان يتوجه اليه ويفد هو
الامير سيف الدين عليه فامتثل ما به امر واخذ فى اعداد اهبة
السفر وقال لى هيئ مرافقك واقطع علايقك وخذ اهبة سفرك
واعمل مصلحة رهطك ونفرك ووافقنا فى المرافقة فان من حسن
المرافقة الموافقة فاستعفيته من الذهاب وفتحت له فى سد
خوخة السفر كل باب وقلت له يا مولاى انا رجل من اهل القرآن
والفاقة مالى بفتح باب السفر من طاقة لانى ضعيف البنيان رخو
الاركان لاجلد لى على الحركة وان كان فى صحبة مولانا الامير

كل خير و بركة خصوصا على هذه السفر البعيد الشقة الكثير المشقة
ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقة لاجمل لي في مناخ السفر ولا ناقة
واما انتم فالسفر عليكم حتم لازم وحق ملازم لايسعكم فيه التخلف
ولا يفسح لكم فيه المطل و التسوف فلم يعفني وتعلل لي بعلل علتني
فيها و لم يشفني فلم ار بدا من الاستعداد وتحصيل الرفيق والزاد
ثم سرنا حتى وافينا جدة وقد ركب في الجادة جده وجده ورأينا
من تلك العساكر بحارا لا اول لها ولا آخر ان انفرط احد منهم من
سلك جماعته اوضل معتزلا عن سنن سنته لايصل اليهم بالسيح
والشمم ولا يهتدي الى سنة جماعته الآن كان يوم الجمع فبينا
انا معهم اسير وقد وهن مني العظم الكسير واثر في النقب واخذ مني
النصب والوصب ومللت السرى وعدمت الكرا نفضت يدي
من الرفيق واخذت على فجوة من الطريق فلما خلوت هيمنت بالقرآن
العظيم وتلوت ثم استهواني الذوق والشوق فحلقت بمراشيق
حلقي الى فوق وكان صوته اطيب من رقيق المقطوع على رخيم
الموصول والذ من جمع شمول على كأس شمول بنسيم الشمال معلول
وبرضاب الحبيب مشمول قال واذا برجلين ضعيفين كالعوذ الباكي
نحيفين اشعثين اصفرين ذوي طمرين اغبرين بصرابي عن جنب
وعلقابي علوق الوتد بالطنب فجعلا يراقبان احوالي ويستمعان
لاقوالي فلما رمت زمزمتي وكففت هيمتي وكمنت في خزانته
صدري جواهر كلماتي وختمت بطابع دعائي زواهر آياتي بكيا
لمناجاتي وامنا على دعواتي ثم اقبلا نحوي وسلما واهتزا لما سماه
من تلاوتي وترنما وقالا احيا الله قلبك كما احييت قلوبنا وصوت
بما سطرت في الواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا ثم انهما
آنساني بالخطاب وجاريا بالسؤال والجواب واذا هما من صميم
الجغتاي وخالص عسكر تيمور ومن ضئضئ التتار وسنخ الفتن

والشرور ثم سألاني عن بجاري ووجاري وعن رفيقي في هذا
السفر وجاري فاخبرتهما عن مولدي ومحتدي ومسقط راسي
من بلدي واني من اهل القرآن واني مع محمد سلطان فقالا ياسيدنا
الشيخ انما جئنا اليك لتحسن الينا وانا سايلوك عن شيء فلا تجد فيه
علينا فقلت قولا وطولا فلن تجداني ملولا فقالا يا مولانا هذا
شيء يعنينا وان كان قد عنانا وكل من اشتغل بما لا يعنيه فقد ترك
ما يعنيه ووقع فيما يعنيه ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه
فبالله يا سيدنا قل من اين تاكل فقلت على حوان محمد سلطان فقالا
ماكول هذا العسكر حلال ام حرام ووبال فقلت الغالب عليه الحرام
بل كله والله مظالم واثام لانه من التاراج والنهب والغارات و
الغصب والاختلاسات والسلب فقالا والله يا امام لقد اسأنا
الادب اذ واجهناك بهذا الكلام ولكن انتم اهل العلم شيمتكم العفو
عن الجاني والحلم وانتم اولى بجبر الكسير وفك الاسير وتيسير الامر
العسير فقابل منا هذا الفحص بالصفح ولا تعامل هذا الالحاف باللفح
فقلت سلا ولا تسلسلا فقالا نسألك بالله الذي اصطفاك لحمل
كلامه الذي تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم حلاله وحرامه
لا تؤاخذنا بما فهمنا عليك به فان الشيخ المرشد كالوالد الشفوق
لا يؤاخذ ولده بقلة ادبه فقلت كلا سلاما شيئما وسلسلا مهما اردتما
فقالا يا سيدنا اما كان لك مندوحة عن مرافقة هؤلاء اللئام
والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام فقلت اني دخلت فيهم وانا
مضطر وخرجت معهم وانا كاره مجبر واكرهني محمد سلطان
وحاباني بما حباني به من الاحسان فصحبتهم وعين ذاتي من
كحل الراحة مرهمي وحملتني فرسي في سفري كرها ووضعتني
كرها فقالا ارأيتك لو امتنعت من الخروج اكانوا يريقون دمك
وياسرون اولادك ويسبون حرمك فقلت لا والله وحاشا لله

حباني

فقالا كانوا يضربونك ويحبسونك وفى مقام المصادرة يجلسونك
قلت انا امنع جنانا ان يسومونى خسفا وعذابا لانى حافظ القران
والقرآن حافظنى من هذا الخسران قالا فغاية فعلهم معك اذا راو
تعززك وتمنعك انهم كانوا يشتمونك ويعمدون الى معلومك
فيقطعونك ويسخطون عليك ويمنعون برهم الواصل اليك
قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا وتعززى وتمنعى مايحط من مكانتى
عندهم الى هذا الادنى ولكنهم حابونى فاستحييت وخادعونى
فانخدعت وليتنى ابيت فقالا لا يصلح هذا لك عذرا وحجة ولا
يسلك بك الى صحة الاعتذار بين يدى الله تعالى سواء المحجة
فهلا جلست فى مكانك واشتغلت بتلاوة قرآنك ومطالعة
علمك ومباحثة اخوانك وفرغت بدنك عن الكلال وملأت
بطنك من الحلال واحميت فى حمى دينك عن هؤلاء اللئام و
استرحت من الاضطرار الى تناول الكرام مع انا سمعنا من امثالكم
ماقد ضرب فى امثالكم اهل القرآن وقاصته اهل الله وخاصته
وانهم عتقاؤه بين خلقه وبيركاتهم ادر سحاب رزقه وان
السلاطين ملوك الناس اجمعين وانكم انتم ملوك الملوك
والسلاطين واذا اعتقكم الله واعفاكم الناس وصرتم لانسان
العالم بمنزلة القلب والكبد والرأس ولم يبق لاحد عليكم سلطة
ثم القيتم انتم انفسكم بايديكم الى هذه الورطة وتهافتم على
التهالك تهافت الفراش على النار وتشبثتم مع كونكم قادرين
على الخلاص باذيال القسر والاضطرار فكيف يصح الاعتذار وانى
ينجيكم هذا العذر من عذاب الملك الجبار وهل صرتم الا كما قيل شعر

معاشر القراء يا ملح البلد ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فقلت اما اذ حررتما القضية فكنا فى هذه المصيبة سوية شعر

بى مثل مابك يا حمامة فاندبى

وقيل بى مثل مابك يا حمام البان انا بالقدود وانت بالاغصان
فبكيا وانتحبا وناوحا وانتهبا وتنفسا الصعدا فقالا واين مابين قصتنا
وقصتك فى المدا فورب الخافقين ان بين القصتين لبعد المشرقين
ولكن ما للمقال مجال وما كل مايعلم يقال واين السر من الاعلان وان
الحيطان لها اذان فقلت هذا ايضا ليس بحجة فلا تعد لا عن سواء
المحجة فقالا نحن المضطرون جبرا الماخوذون قهرا وقسرا
فاننا مكتوبون فى الديوان مضافون الى واحد من اعيان الاعوان
اذا ورد علينا مرسوم بالبروز فى يوم عيد مثلا او نوروز ويكون
الخروج وقت الظهر وتاخر واحد منا الى وقت العصر لم يكن له جزاء
فيما ان تكبه الا الصلب او ضرب الرقبة فضلا عن ضرب وشتم
وشناعة او دفع عدل او تقديم شفاعة واين انت عن قعود ما او
تخلف او استتار بذيل توار او توقف فنحن مدا الدهر لمثل هذا
مستوفرون وعن مثل ماجرى على اضرابنا من البلاء متحرزون
مصيخون ابدا لما اشار وامر عاملون بمقتضى رحم الله من راى
العبرة فى غيره فاعتبر ويا ليتنا امكننا التحويل عن مملكته والرحيل
عن اقليم ولايته وسلطنته وكيف لنا بذلك وهى مسقط راسنا
ومحل اناسنا ومحط ايناسنا وايلاف رحلتنا ومزدرعات معيشتنا
ومدرج ابائنا ومخرج ابنائنا ومقام قبايلنا وعشايرنا ومثابة
قاطنينا وغابرنا ولو غاب من هوائم قبايلنا احد جدا فضلا عن بلبل
اوهدهد لجحف الباقين سيل الظلم والحيف ولتحكم فى رقاب
سايرنا صايل الموت بالسيف فاما اذا برزنا وعزمنا على المسير
معه وتجهزنا فسأل كم سنة يغيب واى جهة يريد ذلك المريد
المريب فناخذ اهبتنا لذلك المقدار وكل منا ابن عم للآخر وجار
وله جرابه فيه سويقه ومعه كلفة نفسه وفرسه وعليقه نصوم
مدى الدهر ونفطر على ماسد الرمق ونلبس مايستر العورة

من رث الثياب والخلق وكل ذلك من زرع ايدينا وكدنا وما بذلنا
فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا لا استقرض لمال احد ولا لعرضه
ولا انقف في طريق ابرامه ولا نفضه ولا لاحد عندنا نشب ولا بيننا
وبين احد علاقة ولا سبب ولكن يامونا البلاء الطام والمصاب
العام ثم دقصاد وسهم يمينا وشمالا وارتعدت فرايصهما هيبة
وجلالا وابيضت شفاههما واسودت جباههما واخذا في البكاء و
العويل وانتحبا الانتحاب العريض الطويل فوالله لقد ذابت نفسي
لديهما واستصغرت كبار المشايخ بالنسبة اليهما وتفكرت فيما هما فيه
من شدة الامر وعلمت انهما هما القابضان بكفيهما على الجمر ثم تاوهت
آها بعد آه وقلت بالله يا اخوتاه وما هذا البلاء الطام والمصاب
العام الذي ذكرتماه قالا اخيولنا ومواشينا وحوامل مهادنا وغوا شينا
نرفق بها في التحميل وما نركبها الا وقت الاعياء في الرحيل وارقضها
قصم ظهرنا واعجز امرنا واضطرنا الى الخوض في دماء المسلمين و
اموالهم والجانا الى رعي زروعهم وتحمل وبالهم وما ندري كيف
المخلص وانى ننجو من ذا المقنص فبالله يا سيدنا الشيخ هل تجد لنا
في هذا الامر العالي رخصة او هل من قطرة برود تطفئ من هذه
الحرارة وتسكن شرق هذه الغصة فقلت لا والله الا عناية الله وايم الله
لقد اشبعتماني شرا وجرعتماني صبرا ومقرا واوسعتماني نكدا
وضرا وكان هموم ما بي من نصبي وعذابي تكفيني الى يوم تكفيني
فقد زدتما بلاء على بلائي وعناء فوق عنائي فبالله من انتما وما اسمكما
وفي اي قطر ارضكما وسماؤكما ومع من انتما فحيثيتما ما حيثيتما فاخبراني
واختبراني لاجيء كل وقت اليكما واعوذ بالسلام عليكما فقالا يا مولانا
الحمد لله الذي برؤيتك حيانا ان معرفتنا لا تجديك شيئا وتبرك
وعدم المعرفة بنا لا يوذيك ولا يضرك والغالب على ظننا يا مولانا
انك بعد اليوم لن تروانا وان قدر اجتماع فنحن نسعى على رؤسنا

اليك وخليفتنا الله والسلام عليك ثم ودعاني وماوقفا واودعاني
اليم الفراق وانصرفا هذا من البحر قطرة ومن الطود ذرة ونسال الله
سبحانه وتعالى ان يصون عن الزلل اقوالنا وعن الخطل والخلل افعالنا
واحوالنا بمنه وبمنه آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا يا رب العالمين

خاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ادب عبده احمد فاحسن
تاديبه وخصه اذ رباه يتيما وانشاه غريبا بكل يتيمة وغريبة وظهر له
في بيان بديع المعاني منهج كل فن واسلوبه فاعجب اهل زمانه اذ
اعجزهم بما اتيهم به من كل اعجوبة احمد حمدا تفتقت في رياض
الآنه انوار فصاحته واشكره شكرا تعبقت في ارباض نعمائه
ازهار بلاغته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
طابق خبرها الواقع والاعتقاد واسندت الى حقيقة الصدق
فصارت حقيقية الاسناد فتمنطق الايمان باقوالها وتعلق الاسلام
بافعالها واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي انشا اخبار بعثته
على التوحيد وقصر فصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعبيد
صلى الله عليه صلوة باقية ببقاء اعجازه موصولة بطنب الاطناب
وصل فصيح الكلام بايجازه وعلى آله واصحابه وازواجه واحبابه
اما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه المعترف بتقصيره وخطاياه
المغترف من بحار كرمه وعطاياه الراجي في حدايق المغفرة ثمرة
العفو مما جناه احمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا العجمي لقبا
الدمشقي مولدا السني معتقدا عامله الله بما كان اهله وحفظ
عليه دينه وعقله لما كانت الدنيا دار انقلاب ومحل تغير و
اضطراب قدمت على الاخرى للاكتساب اما الجزيل الثواب واما
لوبيل العقاب وكان سيرها سريع الاحتثاث واذا مات ابن ادم

انقطع عمله الا من ثلاث اردت ان يخلد لى ذكر ويجول لى فى خواطر
الآخرين فكر لعل رحمة تتبعنى او دعاء صالح ينفعنى فنادانى لسان
الحال لاخيل عندك تهديها ولا مال واما الاولاد فليت صالحهم كفانى
شرّه ووازن فى حيوتى نفعه ضرّه فلم يبق الا علم ينفع او افادة ترفع
وقد صنّف العلماء فى كل فن من العلوم ما بلغوا فيه الغاية وتدرّجوا
فى تقريره وتحريره من البداية الى النهاية وعيّنوا معانيه متونا وشروحا
وبيّنوا خفاياه خفاء ووضوحا مع ان دروس العلم قد درست وحدائق
رياضها ذبلت ويبست وصار الكلام فيها عيّا والمستوى فى تحقيقها
وتدقيقها نيّا ولم يبق لطالب العلم به انتفاع الا انه اذا احتاج الى القوت
عرض كتبه لِتُباع غير ان بعض كبراء العصر ورؤساء الدهر وبقايا
الاكياس متشوّفون لتواريخ النّاس ومتطلّعون لمعرفة احوال من
ساس من دَنَبٍ وراس ومستشرفون لسالف الاخبار كيف كان
امر الناس فيه وصار ولم يكن فيمن مضى من هذه الامة وانقضى
من متقلّبها وبغاتها ومتمرّديها وطغاتها مسلمها وكافرها مقسطها
وجائرها غاويها وموابيها مصادقها ومعاديها صالحها وطالحها ساخرها
وبادرها غابرها ودارجها غابرها وخارجها مثل ثمود الاعوج ولا
اعبر منه فى العتوّ ولا اخرج سيره كلها عبر وكل غبرة مزدانة فيها سير
اموره اظهر من ان تخفى وما اضرمه من قبائل الفتن شرقا وغربا
اعظم من ان يطفى فقصدت ماذكرته وذكرت ما قصدته وتوخيت
الافادة والاعتبار لا التفاخر والاشتهار فاعترضتنى نوائب الخطوب
وكشرت دون مرامى اثباب القطوب وجهتنى يد الردع وصدتنى
قارعة المنع بان اكبر الكبائر فى هذا الدهر الدائر ادب اديب او فضل
اريب او علم عالم لاسيما غريب لقد كره الاديب والفقيه كراهية
التحريم لا التنزيه وقد تقرّر هذا فى الاذهان ورسخ ولهم الذنب
اذ يداهم اوكما وفوههم نفخ ثم ذكرتنى شانى وخاطبتنى بلسانى وقالت

اتصرف غضّ العمر فى طلب العلى فتظمئ اكبادا وتسهر اعينا
تقاسى صروف الدهر فقرا وغربة وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا
وعيلة اطفال ضعاف كانهم جوازل زغب انهكها يد الضنا
ففى مثل تلك الحال ماكنت ضايعا وكنت بنفس فقرها واسع الغنا
الى ان حباك الله فضلا ورفعة وحزت فنونا من علوم لها سنا
فصرت عزيزا فى البرايا مكرّما وطار الى الآفاق من صيتك الثنا
وقد سلّ فوق الرأس سيف مشيبه وهل بعد هذا غير معترك الفنا
اتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة فترهب من فقر وترغب فى الدنيا
فتبذل وجها طالما صنت ماءه لك الله لا تفعل وكن متمكنا
وهل فى الورى من يرتجى للمّة وان قيل من للمكرمات يقل انا
فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل على الله مولى لم يزل بك محسنا
فما ثمّ ذو فضل بصدر منشرح فحط عنك واستروح فضاعف الحال
تشتيتا وزاد الكبد تفتيتا واد تبكت فى عزمين واشتبكت بين همّين
بين ان اسكت فاضيع او ان اقول فلا يسمع فقدمت رجلا واخرت
اخرى واستنهضت جواد فكرى كرّا وفرّا فقوّانى صدق النيّة
فيما هممت وخلوص الطوية على ما عزمت وجمعت من بالٍ متفرّق
والفت من فكر متمزّق من قضايا ثمود الطويلة العريضة نبذة
وجبذت بكتف الافكار من قوس حكاياته جبذة ثلثت فى بيانها
من بديع المعانى الجعبة وسللت وقد صرفت نحو مشرق المنطق
سنان الكلام عضبه وشحذت غربه فجاء بعون الله تعالى
ظريفة المعانى كاملتها لطيفة المبانى فاضلتها قلت فى مراة الادب
بالفاظ الحاظ تشير الى التى تعلّم فنون السحر كيف يكون حوت
رقّة الجزل ورقّته ورياقة الغزل ورقّته ولطافة الادب وظرافة
الشعر وفصاحة البلغاء وبلاغة الفصحاء وحقايق الحكماء ودقايق
العلماء مع الامثال الفايقة والاستشهادات اللايقة والاستطرادات

الرايقه والتشبيهات الغريبه والاستعادات العجيبه ونوافث السحره
من علماء البيان ونوادر المهره من ارباب الديوان ومزجت جليل
التجنس فيها برقيق الغزل ونسجت جديد الجد بمعتق الهزل وطرزت
خلع ذلك كله باعلام الايات الشريفه ونقوش الاحاديث الكريمه المنيفه
اصبت بكل ذلك محز القصد وطبقت بحسامه مفصل المضرب

قلت فى مرآة الادب

كان النهى قد كان عنى ناعسا ،، فمر على اذنيه ما التفظ ،،
فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة ،، ففتح عنيه وجا يتلمظ ،،

فمن اراد التنزه فى التواريخ فعليه بمداومة تكرارها ومن قصد
التفكه فى رياض الانشاء فليقطف بهى ازهارها ومن سلك طريق
الادب فليجن فى حدايقها جنى ثمارها ومن رام التسلق الى ذروة
العلوم فليتشبث باذيال استارها ومن طلب الاعتبار بتقلبات
الزمان فليتأمل حقايق اخبارها ومن اعتنى بسياسة الملك فليتدبر
دقايق اسرارها مع انى لم او ثرها حقها فى التهذيب ولم تنل
استحقاقها فى حسن الترتيب والتشذيب لان الكلام كالدر المنتظم
والدر المنسجم لابد ان يتعانق لفظه ومعناه اولا واخرا ويتطابق
عبارته وفحواه باطنا وظاهرا والا اختل نظمه واعتل فهمه وانحطت
منزلته وسقطت من سلم الفصاحة درجته وهذا يحتاج الى
بحر ذهن صاف ومعدن علم بكفالة ما يتم به عقود جواهره واف و
ذوق احلى من العسل وفكر امضى من الاسل ويحتاج كما قيل الى
حاضر من التوفيق ومعاون من النية فان غروب الالسنة ربما جاوزت
الى ما ينبت على القائلين الحجة ومن لى بذلك وانى يتيسر لى سلوك هذه
المسالك وكنت طالما افوق سهم النظر فى بيداء التأمل نحو قنص معنى
دقيق واصوب غواص الفكر فى دماء التدبر الى جوهرة قصد دقيق
حتى اذا قلت فاز القناص وحاز الغواص واذا بقاطع الشواغل قطع

بترس الحوادث على سهم خاطرى الطريق وبمساح الهموم التهم غواص
فكرى فاذا هو فى بحر الغموم غريق فتسدد فى وجه قصدى المسالك
واصير من نهار ازهر الى ليل حالك قلت شعر

،، فانى اشتقى للنظم درا ،، ولم تظفر يدى منه بود عه ،،

لكن لما كان الشروع ملزما واتمام ما شرعت فيه محتما لم ار بدا
من الحام ما اسديته واصماء ما انميته فصرت فى وعوره اقع واقوم
وفى بحوره اغطس واعوم ان راق راكد الخاطر او حمى الفكر الفاتر
وتذكرت من الكلام اوايله الحقت بكل منه ما شاكله واذا ازعجه
من الزمان الجفا فتكدر منه ما صفا وتبلدت الافكار وتولدت
الاخطار وتساوى عند بصر البصيرة الليل والنهار قلت
اكمل كل سطر بعد شهر ،، وابنى كل بيت بعد عام ،، فلا اضع المحمول
الا وقد حمل الموضوع ولا اذكر الخبر الا وقد نسى المبتدا قلت مضمنا
والفكر كالبحر يبدى لى جواهره ،، مع الصفاء ويخفيها مع الكدر ،،
فتخرم القاعده ويختلط راس المال والفايده فقل لى انى ينتظم لى
قال وقد افرط نظام الحال هذا وان الكلام له مقامات ولكل من
الفصاحة والبلاغه درجات ، قلت قديما مترجما
ما استوى فى موقف افصاح منطيق ولو قد سحا سحبان واصمى الاصمعى
فافتكر فيما ترى فى منزل اعيى الورى هل ترى تبت تحاذى بنى ارض ابلى
واين من يوفى المقامات حقها ويعطى كل مستحق منها مستحقها ولقد
سلكت فى هذا الكتاب مسلك ابناء العصر وطريقة اولاد الدهر
فان الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم ولو اخذت فيه اخذ العرب
العربا والبسته فى الفاظه ومعانيه ثوب الاستعصاء والاباء فابرزت
ما قصدته من المعانى الجزله العجيبه فى قوالب الفاظ فخله غريبه
لما التفت اليه ولا عول لقصور الهمم والافهام عليه ولما كانت
المجازات المشهوره خيرا من الحقايق المهجوره والغلط المستعمل

اولى من الصواب المهمل ابرزتها فى اشارات دقيقة وعبارات
دقيقة وعملت فى بعض المواضع بقولى

عد اكسوت مرهبا مغثمرا ولو اشاء حكته محبترا

ثم ان بين هذا الكتاب وبين ما صنفه قبله ذوو الآداب لبوناً
مديداً وامداً بعيداً بوجوه منها ان زمانهم كان بالرفاهية يساعد
وانا فى عصر لا ساعد لى فيه ولا مساعد ومنها ان وقتهم كان فيه من
يربى الفضل واهله ويحل كلا منهم محله من الملوك والاكابر وذوى
الفضائل والمآثر وارباب المناصب والمفاخر واقل من فيهم
كان يحب السماع ويميل الى الفضل والادب بالطباع فكان الفضل
فضيلة والادب خصلة جميلة واما الآن فقد انقلب باهله الزمان
فصار حامل الفضل والادب من رهطه والمنتظم من العلم فى سلكه
وسمطه كانه سارق عملته تحت ابطه الا شرذمة وفقهم الله وهو لهم
وقليل ما هم ومنها ان الافهام كانت مدركة وكانت لذلك قريحة
المتكلم متحركة فلقد صارت الافهام جامدة والقرايح خامدة ونارها
هامدة ومنها ان غالب ما صنف اخبار كاذبة وسهام اغراض غير
صائبة لانه لا واقع يطابقه ولا خارج يوافقه فعمد مصنفها الى ما
عقدته مخيلته وتوهمته مفكرته فالف حسبما اراد واستن على
مقتضى اختياره ما شداه وشاد واما هذا الكتاب فاخباره صادقة
وكلماته بالصدق ناطقة اذهى فى الواقع للخارج مطابقة فابداها
منشئ الخاطر واعاده على طبق ما اريد منه ووفق ما اراد وليتنى
فى هذا وهذا كفافا اخلص من خيرها وشرها معافى ولئن ساعد
الزمان بترفيه الحال وخلا من سكان الهموم ربع البال لاتبعن
اثاره ولاستنن بقدر الامكان عواره ولا بذلن الجهد فى ترقيحه
واصلاحه وتنقيحه والا فالصفح مأمول والعذر عند كرام الناس
مقبول والمسؤل من صدقات ذوى الادب البالغين فى البلاغة

اعلى الرتب ان يسبلوا ذيل الاغضاء عليه وينظروا بعين الافادة
والاستفادة اليه ويقيلوا العثرة ويقبلوا العذرة فيشدوا اسره
ويجبروا كسره ويرقعوا خلله ويحققوا امله راجين من لطف الله تعالى
ما ارجو منهم لعل الله سبحانه ان يعفو عنى وعنهم مع انا كلنا فى الهوى
سواء وانما الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى الحمد لله حمدا يملاء اردان
الامكنة ويعطر خياشيم الازمنة وصلى الله على سيدنا محمد
صلوة تبلغ قايلها مأمنه وتحله بشفاعته فى الفردوس الاعلى مسكنه
وعلى آله واصحابه الذين استمعوا القول فاتبعوا احسنه
ونستغفر الله من حصايد الالسنة وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم

تم بحمد الله وحسن
توفيقه

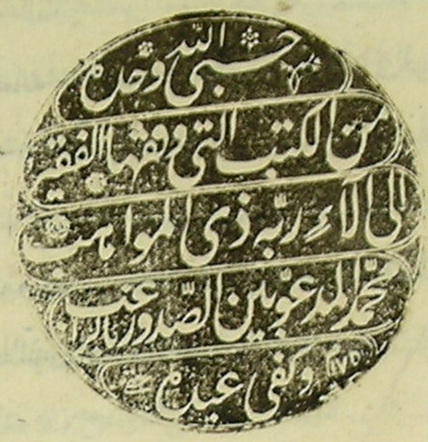
حسبی اللہ وحدہ
من الکتب التی وقفہا الفقیر
الی الاء ربہ ذی المواہب
محمد المدعو بین الصدور عبد
وکفی عبدہ